

يمان ملوك

دراسة

في

الأيديولوجيا الصهيونية

١٠٠٣٠٨٤

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب

قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية

ياشرف

الأستاذ الدكتور طيب تيزيني

١٠٢٩



دمشق

١٩٨٤ - ١٩٨٣

( ٩ - ١ )

مدخل إلى اليهودية

( ٢٠ - ٨ )

الجزء الأول

اليهودية والصراع الطبقات في أوروبا :

٨ )

لجنة من تراس ماردس البكر

١٢

تلمحات تاريخية من الصراع الطبقي

٢٣

تشريع بلقي ليهود أوروبا

٢٧

تمهيدات وشيعة عن قومية يهودية

٣٢

دور اليهود في صراع الطبقات الأوروبية الحديث

٣٤

اليهود الليبراليون في النمسا

٣٧

الهجرة اليهودية لانصار نفسها

٤٢

اليهود والصراع الطبقي في روسيا

٤٤

موقع يهود روسيا

٥٠

يجب أولا أن توجد الأمة

٥٦

قراءة قومية في أيديولوجيا غير عربية

( ٧١ - ١٢٥ )

الجزء الثاني :

٧١

السوق القومية الصهيونية

٧٩

اقتصاد طفيلي وسلع مصطنعة

٨٨

الاقتصاد الطفيلي والصراع

٩٤

غطاء أيديولوجي فوق سلطة النخب

١٠٠

الحدود الآمنة تسد أبواب الصراع

١٠٥

كان لدى مائير أسباب أغرب

١١٤

ثم جاء وقت التمسك

( ١٢٦ - ١٦٩ )

الجزء الثالث :

١٢٦

الصهيونية فترة غير يهودية

١٢٧

القاعدة المانية لصهيونية الأوروبية

- ١٣٩ خريطة 'نكليزية' للدولة العبرية  
١٤٤ المظهر اليهودي للحركة الصهيونية  
١٥٣ وأرغ الديماد ليست خيارا يهوديا  
١٥٥ ضباط من الغرب وجنود من الشرقي  
١٥٩ محاولات في التلقين الايديولوجي  
١٦٤ من جورج اليوت الى احياء صهيون

( ١٧٠ - ٢١٤ )

#### الفصل الرابع

- ١٧٠ اللا سامية وتكوين الوعي الذاتي  
١٧٥ بنسكرو التحريض الذاتي  
١٧٧ اللا سامية رباط الوحدة  
١٨٢ التكوين المصطنع للخطاب الصهيوني  
١٨٦ أهداف غير مألوفة للخطاب الايديولوجي  
١٩٠ مظاهر اللا سامية في اوروبا  
١٩٢ الحملة السادسة لليهود في الثقافة والاعلام  
١٩٨ حملة في نطاق الايديولوجيا السائدة  
٢٠١ حرب بين مسيحيين  
٢٠٨ لماذا المص...

( ٢١٥ - ٢٣٦ )

#### الخاتمة

- ٢١٥ لمحة عن المفهوم المادي للمسألة اليهودية

( ١ - ٨ )

#### الملحني

- ١ نصوص مختارة من كتاب ( دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية )

## مدخل الى البحث

سوف أوجز اتجاه عملي على النحو التالي ،  
انني أنوي أن انشئ بحثاً في الصهيونية ( أيديولوجيا وحرثة )  
من خلال نقد لبعض التصورات والآراء عن الصهيونية كما تبدو  
في الفكر السياسي السري السائد .  
وأحد مبررات مثل هذا الاتجاه يستند الى الواقع الثنائي الراهن  
فمكتبة الصراع العربي - الاسرائيلي أو المكتبة الفلسطينية ،  
إذا صحت مثل هذه التسميات ، تكاد تغرس بالموضوعات المتشابهة .  
لذلك فإن أي بحث آخر حسب الأنماط السائدة ، حتى لو استلحاق  
التخلص من الأطار الانشائي أو العاطفي ، فإنه لن يكون فسي  
أحسن الأحوال أكثر من بحث أضافي ، ومن الناحية السلبية لا لزوم  
له .

ويكاد يكون من المسلمات أن الجدل في قضايا الفكر يولد أفكاراً  
جديدة . وبالطبع من السابق لأوانه الحديث عن فوائد تتمدى  
النزلاق المحدود . والأجدي الآن هو الحديث الأغر بالإنفس ،  
أن شعور الباحث أنه يستلزم أن يجد حجة لمقارعة حجج أخرى  
هو بعد ذاته شعور انساني دافع على المناظرة ويجعل المسائل  
أقل عناء . وإذا كان الهدف من السحتم الوصول اليه ، فليكن  
الحكم ، إذن ، على جدوى الدليل عند نهاية السالك ،  
سأختار كموضوعات قابلة للنقاش مجموعة محددة من الأفكار  
والآراء ، أخصها في البنود الستة التالية ،



أولاً - الصهيونية (الأيديولوجيا) هي الفكر السياسي للملينة  
البورجوازية اليهودية . ولقد ظهرت هذه الأيديولوجيا  
كتعبير من هذه الدبقة بسبب صراعها على المصالح  
الاقتصادية مع الدبقة البورجوازية الأوروبية المسيحية ،  
ولما كانت السوق الأوروبية مغلقة لصالح البورجوازيات  
الأوروبية المسيحية ودولها التومية ، لذلك غششت  
البورجوازية اليهودية عن سوق تومي خاص بها خارج  
التارة الأوروبية .

ثانياً - لا تختلف الصهيونية (الحركة) عن أية حركة تومية  
أوروبية . وفكرها (أيديولوجيتها) مسائل لا تكثر  
التوميات الأخرى . ومنما كان هدف الحركات  
القومية الأوروبية توحيد أوطانها المجرأة ولم تشمل  
شعبها في دولة تومية واحدة ، كذلك عملت الحركة  
الصهيونية لهدف مشابه : لم تشمل اليهود المبعثرين  
في مختلف دول العالم وجميعهم في وطن آبائهم  
وأجدادهم ، أي في فلسطين . فالصهيونية (فكرة وحركة)  
هي بالتحديد المسألة الوطنية للشعب اليهودي المنتشت  
في جميع انحاء العالم .

ثالثاً - أما الاتجاهات اللاسامية ، هي الفكر والسياسة ، التي  
ظهرت على الساحة الأوروبية عند نهاية القرن التاسع  
عشر كاتجاهات معادية لليهود ، فقد كانت تعبّر عن  
تناقض المصالح بين مسيحيين ويهود . أو هي تقريباً  
الهجوم الأيديولوجي البورجوازي المسيحي ضد النشوء  
الاقتصادي للبورجوازية اليهودية .

رابعاً - لم تكن الصهيونية ( الحركة ) مجرد أداة استخدمتها القوى الامبريالية الأوروبية لتحقيق مصالحها في الشرق العربي . وانما هي قوة اجتماعية طبقية ( طبقة بورجوازية ) لها مصالحها الخاصة . وكانت علاقتها مع القوى الاستعمارية علاقة تحالف عمادي ولكن فقط حليف من درجة أدنى ولا يختلف " وعد بلفور " للحركة الصهيونية بزعامة وايزمن عن " وعد مكماهون " للحركة القومية العربية بزعامة الشريف حسين .

خامساً - من الخطأ الظن أن الحركة الصهيونية حركة رجعية وإذا كانت بعض مظاهرها الايديولوجية توحى بذلك مثل العودة الى قراءة التوراة والتلمود أو التمسك بشعارات وطقوس منى عليها اكثر من ألفي سنة ، فما ذلك الا ظواهر شكلية . فالحركة الصهيونية هي حركة حنارية ذات مضمون علمي تقدمي بورجوازي ، وأكبر دليل على ذلك نجاحاتها المتواصلة وانتصاراتها .

سادساً - الحركة الصهيونية بعد أن أقامت سوقها القومي ودولتها القومية بدأت تفتش عن السلام . ودولة اسرائيل الآن ( ١٩٢٠ - ١٩٢١ ) تجنح نحو السلام فعلاً لأنهم يخدم مصالحها الاقتصادية . فهي دولة صناعية وبحاجة ماسة للاسواق العربية لتصريف بضائعها وللحصول على مواد أولية . وإذا ظهر في ايديولوجيتها أو دبلوماسيتها ما يشير الى استمرار نزعتها العنصرية فما ذلك الا مناورات شكلية . فهي في حقيقة امرها

نريد إيقاف الحرب مع العرب لأن التبادل التجاري بينهما وبينهم يفيدنا أكثر .

أن وجهات النظر المعروضة في البنود الستة المذكورة أعلاه ، هي تلخيص - أرجو أن يكون عادلا - للأفكار الواردة في النصوص المنتخبة ( انظر الملحق في نهاية الدراسة ) من كتاب " دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية <sup>(١)</sup> " لمؤلفه الدكتور صادق جلال العظم ، استاذ الفلسفة حاليا في جامعة دمشق وقد شغلت هذه الآراء ، بين التقديم لها وشرحها ونقد الآراء السابقة عليها والصارفة لها ، مساحة / ١٤٧ / صفحة من الكتاب المذكور ولايقول المؤلف ، والعق يقال ، انه هو وحده مؤسس منذ ، الاقتدار عن الصهيونية بل منممل وجب . أو هذا هو بالاحرى الانباع الذى يحصل لدى القارئ فور شروعه بالقراءة بدءا من المقدمة والسألة هنا في غاية البساطة ، " وضع كارل ماركس الأسس الأولية للنقد المادية التاريخية الى التاريخ اليهودى فى كراسه المبكر " المسألة اليهودية <sup>(٢)</sup> . وأتى بعد ماركس أحد شراح ماركس البارزين في هذه المسألة بالذات ، كما يجب ان يفهم التاريخ ، وهو ابراهيم ليون ، " لاشك أن الدراسة التلخيصية التلاسيكية للتاريخ اليهودى من ضمن الاسس التي وضعها ماركس نفسه هي التي تركها لنا ابراهيم ليون ( المفهوم المادى للمسألة اليهودية <sup>(٣)</sup> ) قبل أن تصفيه النازية <sup>(٤)</sup> " .

- (١) العظم ، صادق جلال ، دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية ، دار الدليمة ، بيروت ١٩٧٠ . ( من الآن وصاعدا يشار الى هذا المصدر اختصارا ( دراسات يسارية ) ) .
- (٢) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ٢٠
- (٣) المصدر نفسه - ص ٢١
- (٤) ليون ابراهيم ، المفهوم المادى للمسألة اليهودية ، ترجمة عماد نويهض ، طبعة أولى ، دار الدليمة ، بيروت ١٩٦٩

أما مؤلف "دراسات يسارية" فيبعد عن جانبة بدراسة المسألة اليهودية ما يفهم منه أنه على خلاف ماركس - ليون ، أو بحسب المنهج المادي التاريخي " . فيقول : " وغايتي الأولى هي توثيق الظواهر المفروضة دراستها ، بتقدير الامتنان ، عن طريق التاليف العيني للمنهج الماركسي في فهم المسائل وتفسيرها (١) " .

قلت في البداية أن القصــد هو مناقشة بعض الآراء السائدة عن الايديولوجيا الصهيونية والحركة الصهيونية . وأعني هنا بأفكار سائدة تلك الأفكار التي بعد أن تصدر عن مصدرها أو مؤلفها يتم تعميمها على نطاق واسع أو تداولها في الدوائر ذات العلاقة ، الثقافية والأكاديمية ، بحيث تصبح بمثابة مراجع أو مصادر لها صفة المصداقية الثقافية والأكاديمية . ومن هذا المعنى يتألف من بعض الجوانب على مجموعة الآراء المتعددة هنا للمناقشة لأن هذه الآراء قد تحولت على اثر صدورها في "دراسات يسارية" الى مرجع نقاشي وأكاديمي . بحيث صار من المؤلف استفاداً إليها ان تسمى الحركة الصهيونية عند بعض الباحثين القريب باسم " الحركة البورجوازية الصهيونية " أو " مشكلة البورجوازية اليهودية في أوروبا (٢) " . وصار أيضاً من الممكن ان يتقدم داليل في الدراسات العليا للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة أجنبية على أساس دراسة ذات عنوان ملفت للانتباه ، " البذور الدلالية للحركة الصهيونية " . وهو يعتمد في بحثه على مرجعين

(١) دراسات يسارية - الصدر السابق - ص ٦

(٢) الهندي ، ثاني ، حول الصهيونية واسرائيل ، دار المطبعة ، بيروت ١٩٧١ - ص ٢٤ - ٢٥

أساسيين، " المفهوم المادي للمسألة اليهودية " و " دراسات  
يسارية " . يتناول هذا الدارس الذي يسمى الصهيونية باسم  
" الدعوة القومية البورجوازية " ، وهو يلخص فكرته حول سبب ظهور  
الصهيونية ، أن " الدافع الرئيسي إذن خلف هذه الدعوة القومية  
البورجوازية كان في الأساس نمو الطبقة البورجوازية اليهودية  
الى جانب ميلتها البورجوازية المسيحية وحاجة كل من هاتين  
الطبقتين الى توحيد سوق مستقلة خاصة بكل منهما (١) " .  
ولا يتعلق الامر بمناقشة افكار مر عليها زمن وتوثقت عن التأثير  
والتداول ، فهذه الافكار ما تزال مطردا معتمدا لدى بعض  
الباحثين العرب حتى اليوم . وفي دراسة صدرت مؤخرًا (١٩٨٤)  
حول الصهيونية ومشاريعها الاستيعابية يوم كد الموء لف الجديد  
في مقدمته انه استفاد فائدة كبيرة " من كتابات صادق الماسك  
حول " الصهيونية والسراع الديني " لما اشتملت عليه من  
تحليلات علمية مادية كان لها اكبر الاثر في فتح الميدان  
من الاتفاق الجادة أمام هذه الدراسة (٢) ..

وأكثر ما تأثر بهذا الباحث الجديد على ما يلهو بفكرة مؤلف  
" دراسات يسارية " حول وجود طبقة بورجوازية يهودية كقوة  
اجتماعية لها مصالح مستقلة تختلف عن مصالح البورجوازيات  
الأوروبية المسيحية بحيث يمكن ان تتناقض أو تتحالف معها  
حسب الظروف والأحوال . وتكاد هذه الفكرة ان تكون محور دراسة  
كلها . يقول أمين عبد الله محمود في مقدمته : " أما الفكرة

- 
- (١) مجلة شؤون فلسطينية - عدد ٣٦ - آب ١٩٧٤ ص ١٠٠  
(اعتبارا من الآن سأرمز لهذا المصدر بالحرثيين (شرف)  
(٢) محمود ، أمين عبد الله - مشاريع الاستيعاب اليهودي  
الاجل والوطني للثقافة والآداب - الكويت ١٩٨٤ - ص ٩

الرئيسية التي تدور حولها هذه الدراسة ، فهي إبراز عمق  
 المسئلة التي تربط بين الرأسمالية الشرية والبورجوازية  
 اليهودية ، وما ترتب على هذه المسئلة من طرح للمشاريع  
 الاستبدادية اليهودية في فلسطين وخارجها (١) .

وبالامانة الى كل ذلك فان هذه الاثثار تلقى على شكل دروس على  
 طلبة قسم الفلسفة في جامعة دمشق ، مما يعم تأثيرها على  
 الأجيال القادمة . والنصوص المنبثقة في الملحق من هذه الدراسة  
 متضمنة بكاملها في الكتاب الجامعي " الفكر السياسي المعاصر " (٢)  
 ومعلوم ان هناك علاقة بين سيادة الاثثار وسيادة اصحاب  
 الاثثار والدكتور السالم هو ايضاً صاحب مناصب أكاديمية وثقافية  
 متخصصة وبارزة فهو " الاستاذ في الجامعة الامريكية في بيروت  
 والجامعة الأردنية سابقاً " ( انظر ش.ف - عدد ٢ - ص ٢ ) وهو  
 " مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في مركز الابحاث " (ش.ف عدد ٩ -  
 ص ٣ ) وهو عضو هيئة تحرير مجلة شؤون فلسطينية " الصوت الشهري  
 الوحيد للثورة الفلسطينية " التي ابتدأت بالصدور عن مركز  
 الابحاث في بيروت اعتباراً من عام ١٩٧١ . وكان الدكتور السالم  
 يتابع شهرياً في المجلة جانب " القضية الفلسطينية الدولية " .  
 ويظهر انه منذ البداية كان يشعر بما سيكون لاثثاره من تأثير  
 وهذا ما يجلبه كما يبدو يخرج عن قاعدة التواضع الشكرى .

فهو يومئذ قد أن كل ما كتبه السرب حول الصهيونية ونشأتها  
 وأدائها قبل نازيته هو ، أو على وجه التحديد قبل " هزيمة حزيران  
 ١٩٦٧ " ما هو الامراء . يقول : " ان السواد الاعظم مما كتبته

(١) المصدر السابق - ص ٦

(٢) السالم ، صان جلال - الفكر السياسي المعاصر - جامعة  
 خالد بن الوليد - دمشق - ١٩٨١ - ١٩٨٢ - ص ٢٠١ وما يليها

العرب عن الصهيونية لم يكن أكثر من هراء . وقد يعني  
بالتالي أن مداهم الانتذار المنتشرة بيننا والشائسة في أوساطنا  
حول الصهيونية مشوشة ومشوبة وغير واقعية ، وأنها أقرب  
إلى الخيال والتخيلات والمخالف مما هي إلى الواقع التاريخي  
والحقيقة الموضوعية (١) .

ربما يفهم من الانطباع الأول وكأنني أنوي أن اتسع دراسة  
في دحض آراء سوء لف " دراسات يسارية " عن الصهيونية . لكن  
مدني هو في الواقع أبعد من هذا الهدف المحدود الذي هو بالطبع  
ضمن أهداف هذه الدراسة . إن الانتذار المستفيدة من كتاب  
" دراسات يسارية " والمنبئة في هذا التدخل تقوم بدور الخلاصة  
النكربة التي سوف أطور بدءاً من مناتنتها بحثاً في الأيديولوجيا  
الصهيونية أكثر شمولاً وأبعد مدى في الاستقصاء والتحليل  
للافتكار ولمصالح التوى ذات العلاقة . فالانتذار المنتخبة  
التي ستكون موضع نقاش تستخدم إذن كمبرر وتكلمات في الاتهام  
حتى لا ينعرف مسار البحث عن الاتجاهات المطلوبة الوصول على  
مدىها إلى بحث في الأيديولوجيا الصهيونية لا ينعج عمن  
هذا الهدف .

وحتى يكون مصالح أيديولوجيا محدد السنن في هذه الدراسة  
فإنني أشير إلى تبني رأي فرانسوا شاتوليس في تحديد منسب  
أيديولوجيا ، فهو يقول : " عندما أقرأ مقالاً ويظهر لي ، على الفور  
أنه يسير عن مصالح طبقات أو مجموعات اجتماعية أو مصالح شخصيات  
تساندها طبقات اجتماعية ، فإنني سأحتفل بدقة بأسماء  
أيديولوجيا لهذا النمط من المنسب (٢) " .

- (١) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ٢٥  
(٢) فاديه ، ميشيل - الأيديولوجيا - المنشورات الجامعية  
في نرنسا ١٩٧٣ ، بالفرنسية ، ص - ٢٠

وعلى ذلك فان السنج الذي سأتبعه في هذا البحث سيتكون منـــــــــــــــــ  
دراسة العلاقات بين السمالج وبين الاعذار التي ترمز أو تشير  
عن تلك السمالج . فانا أعتقد ايضاً ان ما هو أصيل في الحياة  
الانسانية هو العلاقة و العلاقة بين انسان وانسان ، بين نثف  
ونثف ، بين طبقة وطبقة ..... الخ ، وفي هذه الدراسة  
تحتي العلاقات على وجه التحديد العلاقات الاقتصادية والسياسية  
فحينما توجد علاقة من هذا القبيل تشير عن نفسها بقول أو بخطاب  
ايديولوجي ، لذلك فان استقصاء هذه العلاقات في التاريخ  
وتوثيقها ، بعيداً عن السوافف سيكون الخط الأول في الســـــــــر ب  
الـــــــــمل .



## الفصل الاول

### الصهيونية وصراع الطبقات في أوروبا

#### لمحة عن كراس ماركس المبكر

بما أن مؤلف "دراسات يسارية" قد اتخذ من كراس ماركس "المسألة اليهودية" نقطة انطلاق في عرض افكاره عن الصهيونية ، لذلك من الضروري هنا أن تبدأ المناقشة اعتباراً من نقطة الانطلاق ، من كراس "ماركس المبكر".

ربما يكون مفاجئاً لبعض الناس القول أن كراس ماركس "المسألة اليهودية" ليس بحثاً في المسألة اليهودية كمسألة يهودية . ولكن الحقيقة هي كذلك فعلاً . فقد وضع ماركس كراسه بمناسبة المسألة اليهودية ، وليس بحثاً فيها . فـ "المسألة اليهودية" هو مرجع ماركسي في نقد السياسة ، فهي فلسفة السياسة إذا شئنا ، وليس مرجعاً في المسألة اليهودية أو في التاريخ اليهودي وعلاقات اليهود ... الخ . وفيما يلي بعض المقاطع من كتاب "ماركس ونقده للسياسة" ، وهي من بحث "أندريه توزيل" أحد ثلاثة باحثين اشتركوا في وضع هذه الدراسة عن "المسألة اليهودية" : يقول الباحث الفرنسي "هذا النقد [المسألة اليهودية] الذي كان موضوعه الحق والدولة الدستورية الحديثة" يعتبر مرحلة في انتقال ماركس من مواقع الديمقراطية الجذرية الى مواقع الشيوعية " (١)

تعتبر "المسألة اليهودية" ( ١٨٤٣ ) "بمثابة مدخل" لنقد الاقتصاد السياسي . في المسألة اليهودية "يبدو التحرر السياسي نفسه غير كاف وهو تحرر تقوم به الدولة التمثيلية الحديثة في صراعها ضد الدولة نصف الاقطاعية ، كان ماركس يفكر بتحويله الى تحرر اجتماعي ، أي الى الشيوعية " (٢) . اما "المسألة اليهودية" فهي نقد يقتصر على الديمقراطية السياسية كتجربة واغتراب ، وذلك باسم لشيوعية كتحرر اجتماعي وإنساني " (٣) . في المسألة اليهودية أراد ماركس أن يتجاوز الدولة الديمقراطية البورجوازية ، والعربة الديمقراطية البورجوازية ، في هذه الدولة : "إذا كان التحرر السياسي متوافقاً مع سحب السياسة في هذه الدولة ، إيتيين باليبار ، لوپوريتي سيزار - ماركس ونقده

(١) أندريه توزيل ، إيتيين باليبار ، لوپوريتي سيزار - ماركس ونقده للسياسة ، ترجمة جوزيف عبدالله - دار التنوير - بيروت (١٩٨١) ص ١٢

(٢) المصدر السابق - ص ١٣

(٣) المصدر نفسه - ص ١٤

\* الرجل الخاص البورجوازي ، وبالتالي محدودا بها ، فهو تحرر غير كامل ومخادع ، وهو يستنصر اغترابا سياسيا \* (١) .

لقد كان كارل ماركس "المبكر" ، اذن ، بمناسبة المسألة اليهودية وليس بحثا فيها ، وهذه واقعة تاريخية تقريبا معلومة : - في ١٨٤٣ كتب الناقد الالماني ومناصر ماركس ( بروتوباور ) مقالا رد فيه على بعض اليهود الالمان الذين كاتوا يطالبون بالتحرر ، وكان ذلك يحتمل مطالبتهم بالمساواة مع المسيحيين في مسائل التملك والعمل والمساواة امام القانون . الخ . والفكرة المحورية في مقال باور يمكن ايجازها بعبارات بسيطة : "لما بقيت الدولة مسيحية وطالما بقيتم انتم يهودا ، فلا يمكن ان يحصل اى تغيير لافى اوضاعكم ولا في اوضاعنا نحن الالمان المسيحيين " . يجب على الدولة ان تخرج من دينها المسيحي اولا ويجب عليكم انتم ان تخرجوا من يهوديتكم ثانيا ، حتى يصبح الكلام عن التحرر كلاما مستحولا " . في المانيا ، ليس ثمة انسان متحرر سياسيا . ونحن انفسنا لسنا احرارا . فكيف نستطيع تحريركم ؟ انكم معشر اليهود ، لأنانيون حين تطالبون لانفسكم ، بسبب من انكم يهود ، بالانتماق خاص ، فمليكم ان تملوا بوصفكم المانيين ، على الانتماق السياسي لالمانيا (٢) . هكذا افتتح برونوباور رده على يهود المانيا المطالبين بالتحرر .

كارل ماركس ، وبمناسبة نقد باور ، رد بمقال مطول في ( الحوليات الالمانية - الفرنسية ١٨٤٣ ) . وقد افتتح مدخله بالسؤال : "بأى نوع من انواع التحرر يتعلق الامر ، واية شروط تقوم في جوهر التحرر المنشئ (٣) اذا كان المقصود التحرر السياسي ، اى المساواة الحقوقية امام القانون فان مسألة اليهود من هذه الناحية اصبحت محلولة تماما في الدولة الديمقراطية البورجوازية ، والذي كان نموذجا المكتمل آنذاك يتمثل

(١) المصدر السابق ص ١٨

(٢) ماركس ، كارل - المسألة اليهودية - ترجمة محمد عيتاني - بدون ذكر

دار النشر وبدون تاريخ - ص ٥

في الولايات المتحدة الأمريكية \* فليس ثمة في الولايات المتحدة وبين  
للدولة ، ولا دين معلن بوصفه دين الاغلبية ، ولا تفوق لدين على آخر .  
فالدولة مستقلة عن جميع الاديان (١) . " ان التجبر السياسي - يقول  
ماركس - يشكل في الخلاصة تقدما عذاما ، انه والحق يقال ، ليس آخر  
شكل للتحرر البشري . ولكنه اخر شكل للتحرر البشري في امر النظام  
الاجتماعي الحالي ، ولنتفاهم جيدا : نحن نتحدث هنا عن التحرر  
الواقعي ، عن التحرر العملي (٢) .

ما هو اليهودي ؟ انه التاجر . ومن هو الهه ؟ انه المال . واذا  
كان اليهودي قد حصل على الحرية في الدولة الديمقراطية البورجوازية  
ذلك لان اليهودي خرج من دينه ، والدولة المسيحية خرجت عن دينها ،  
" انما لان اله اليهودي ، وهو المال ، اصبح اله الدولة المسيحية  
البورجوازية ، لان دين اليهودي الذي هو المتاجرة اصبح دين الدولة  
البورجوازية . وعلى ذلك فان تحرر اليهودي المرتافه لا يثنى له ،  
لان المالموب الان تحرير البشرية من المتاجرة والمال وليس فتا . تحرر  
اليهودي . هذا كل ما يتعلق بالمسألة اليهودية في " كراس ماركس  
المبكر " عن المسألة اليهودية . ومن اجلها جادل ، ولدعم رأيه سابق  
الشواهد والاقتباسات من دساتير الدولة البورجوازية ، ( فرنسا ،  
انكلترا ، امريكا ) وشواهد من آراء المؤرخين والفكرين البورجوازيين  
ولم يكن بينها شاهد او اقتباس من التاريخ اليهودي او للتدليل على  
مسألة لليهودية صرفة . " ما هو الاساس الدنيوي لليهودية ؟ المسألة  
العملية والمنفعة الشخصية . اذن فالمهد الحاضر بتحرره من المتاجرة  
والمال ، وبالتالي من اليهودية الواقعية والعملية . انما يحترق نفسه  
ايضا " . والتناقض الاجتماعي الذي يلغى الشروط الضرورية للمتاجرة ،

(١) المصدر السابق - ص ١٦

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥

وبالتالي يلبي امكانية المتاجرة ، سوف يميل ويود ، لليهودى مستحيلا  
والشعر الديني لليهودى سوف يتلاشى ، سنيل بنار تائه ، في - - -  
المجتمع الحقيقي (١) . وحتى عبارات مثل " يجب ان لا نبحث عن سر  
اليهودى في دينه ، بل فلنبحث عن سر الدين في اليهودى الواسي (٢) .  
او " لقد عاشت اليهودية ليس ضد التاريخ ، وانما - - - تاريخ (٣) .  
وهي تكثف بعدد محدود من الكلمات معنى تاريخ اليهود في اوروسا  
المسيحية ، اسلوب مسيشتهم وعلاقاتهم الاجتماعية مع الاثريين ، خلال  
اكثر من الف عام ، لم يذكر ماركس كلمة واحدة في توضيحا ركن  
تركها بالدلع للذين يتحدث منهم : المؤرخين والمفكرين الالمان  
والاوروبيين . لقد كانت الاعتبارات للبرلمان على معنى الثانى  
ومعنى التحرر في الدولة الديمقراطية البورجوازية . " ان المساواة  
( دستور ١٧٩٥ الفرنسي ) تقوم في ان القانون واحد بالنسبة الى  
الجميع ، سواء حين يحمي او حين يماقبا والامن ؟ يتول دستور  
١٧٩٣ " المادة الثامنة : يقوم الامن في الحماية التي يمنحها  
المجتمع لكل من اعضاء لحفظ حياته وحقوقه وملكياته (٤) . ولكن  
اذا وقف من يملك ومن لا يملك امام القانون ، فكيف يكون القانون  
واحدا بالنسبة لهما ؟ واذا وقف متخف وجائع امام القانون فكيف  
يمكن ان يحصل كل منهما على حقه في الحماية الاجتماعية المتساوية ؟  
" ان التحرر السياسي ليس هو النمط المطلق الكلي للتحرر البشرى (٥) .  
" ان الدولة تستلبح ان تكون دولة مرة ، دون ان يكون الانسان فيها  
حرا (٦) .

- (١) المصدر السابق ص ٥٤
- (٢) المصدر نفسه - نفس الصفحة
- (٣) المصدر نفسه ص ٥٨
- (٤) المصدر السابق ص ٤٢
- (٥) المصدر نفسه ص ١٨
- (٦) المصدر نفسه ص ١٩

عنه في تقريرها هي المسائل الاساسية التي حاول فيها ماركس (بروتوباور) الذي كان قد جعل من المسألة اليهودية مسألة "لاموتية" مسألة السلافة بين مسيحي ويهودي ، علاقة التباغض والتكراه (١) .

ومما له دلالة ان كارل ماركس ( ١٨١٨ - ١٨٨٣ ) ، ومنذ صدور مقالته ( ١٨٤٣ ) حتى وفاته ، لم يتلرق للمسألة اليهودية من قريب او بعيد . هذا مع العلم انه عندما توفي كان الممهيون هم ، من غير اليهود ومن اليهود ، قد شرعوا بتشويش سماء اوربا بالزعيق عن المسألة اليهودية وما ذلك الا لان ماركس كان يعتبر المسألة اليهودية كمسألة يهودية هي مسألة اذا لم تكن نافذة مفتعلة فلا تستحق حتى الالتفات اليها مرة اخرى . وهذا ينطبق ايضا على زميله وشريكه في وضع مذبحه ، فريدريك انجلز الذي عندما توفي ( ١٨٩٥ ) كان مرتزل بهم بوضع كراسه " القومي " المتيد ( الدولة اليهودية ) . فقد كانت المسألة ، من وجهة نظره ، مسألة منتفية . وهذه حقيقة اكدتها فيما بعد اسحق دويتشر ( ١٩٠٧ - ١٩٦٧ ) اليهودي البولوني الماركسي ، وهو حجة في المسألة اليهودية ، فتد قال : " في حياة ماركس ، في عصر التمثل ( الاندماج ) كانت الهوية اليهودية في الحقيقة في دور الاختفاء ، في غرب اوربا على الاقل ( ٢ ) . " في غرب اوربا بعد الثورة الفرنسية ، تمتع اليهود بمساواة رسمية في نزار القانون ( في سنة ١٨٤٨ ) ، انتخاب لعضوية مجلس العموم ليونيل روتشيلد ، اول عضو يهودي في البرلمان ) . وقد سارت المساواة القانونية يدا بيد مع الاستيعاب ( اندماج اليهود ) المتناسي للثلاثة اليهودية ، لانه حتى تلك الفئات التي احتضنت بدينها ووعيدها اليهودي ، استوعبت من خلال تبنيها لغات البلدان التي عاشت فيها ( ٣ ) .

لكن الا يمكن الاستناد الى كراس ماركس ( المسألة اليهودية ) فيما يخص مسائل اليهود والصهيونية ؟ كيف لا ، " والمسألة اليهودية " كتب بمناسبة جدال حول المسألة اليهودية ؟ لكن فقد بشرا : عندما

(١) باور - ماركس - حول المسألة اليهودية - ترجمة الياس مرقس -

دار الحقيقة - بيروت - بدون تاريخ ص ٦٩

(٢) دويتشر ، اسحق - دراسات في المسألة اليهودية - ترجمة مصطفى

الحسيني - دار الحقيقة - بيروت ١٩٧١ - ص ٤٢٠ ( ) ( واعتبارا من

الان سأشير الى هذا المصدر اختصارا باسم - دويتشر )

(٣) المصدر نفسه - ص ٥٧

يكون المطلوب البرهان ان كل ما هو " قومي يهودي " دينسي  
أو عسباني ، اذا لم يكن غير مشرف ، فهو غير جيد على الانطلاق  
نعم ، ولكن عندما يكون المطلوب البرهان على ان كل ما ينتج عن الانطلاق  
اليهودي انما هو اوعام باطلة . اى تماما عندما يكون المراد  
استنتاجه هو على انه لمكسستاما: مما اراد استنتاجه  
مؤلف دراسيات يسارية انطلاقا من " كراس ماركس المبكر " .  
هل اقول لكم الحق ؟ .. هل تريدون ان تكونوا رجالا ممتازين ، شرفاء  
نجوم في سما ل الانسانية ، مثل سينوزا وهاينه وماركس  
وروزا لوكسبورغ وتروتسكي وفرويد ؟ .. اذا كنتم ترغبون في  
ذلك فعليكم ان تخرجوا من اوعامكم القومية اليهودية . لان اولئك  
المنظماء " ذهبوا جميعا الى ماوراء حدود القومية و وكلهم وجدوا  
اليهودية شديدة الضيق ومماته ملثية بالقيود ، وكلهم بحث عن مخرج  
عليها وتحقيقاتها فيما وراءها <sup>(١)</sup> . هكذا قال اسحق دويتشر الى مستمعيه  
في المؤتمر اليهودي العالمي عندما دعي لالقاء محاضراته عام  
١٩٥٨ . فقط ، عندما اراد اسحق دويتشر ان يقول لبعض مستمعيه  
من المتحمسين الذين تصف في رؤوسهم الرياح القومية ، انهم  
" ملثمة " وليس امة أو قومية والى اولئك الذين اصابهم بلوننة  
تلك الابداعات الخرافية والاسطورية التي تم تصنيفها بدقة في  
دوائر التمنيع الايديولوجي ، حول سرقاتهم وسرالمهمات الالهية  
التي يمكن ان تستنتج منها الفتاوى التي تسمح بقتل الآخرين  
والردم من ديارهم ، فقط عند هذه النقطة ، شعر اسحق دويتشر  
انه من المناسب ان يستند الى مقالته ماركس في " السالة اليهودية "

نقال " اعتقد ان ماركس قد وصل الى لب الموضوع عندما قال

" ان اليهودية قد عاشت ، ليس رغما عن التاريخ ، وانما من خلال التاريخ  
وانها مدينة ببقائها للدور المتميز الذي لعبته كعلاء لانتصاد نقدي  
في محيط يميني ظل اقتصاد طبيعي (١) . " اعتقد ان ما مكن اليهود من البناء

كطائفة منفصلة هو كونهم قد مثلوا اقتصاد السوق . . . . .  
... شعب يميني اقتصاد طبيعي (٢) . فلم يكن هناك اية معجزة لا

بخصوص "الوعد" ولا بخصوص "جمع شمل المنفيين" وراء بقاء اليهود خلال  
الفين من السنين منذ خروجهم من فلسطين . فلنلن ننكذا مدد ، هدف غير  
قومي وغير اسطوري ، يمكن بالفعل استخدام " كراس ماركس المبكر " .

كذلك يمكن الاستناد الى كراس ماركس " السألة اليهودية " عندما يكون  
الهدف هو توجيه الحجارة ، على المتشوف هذه المرة ، الى تلك الرؤوس  
" القومية الصهيونية " الباحثين عن " وان توبي " و " سون قومية " .

فعندما اراد يورى ايفانوف ان يفند المزاعم الصهيونية القومية  
و " خرافة الرغبة الباردة لليهود في السودة الى فلسطين (٣) " ، وخرافعة  
التاليف بين الطرق التي سلكها اليهود عبر القرون مع " فكرة السودة الى

فلسطين (٤) . او ايضا فكرة " قدوم المسيا واجتماع شمل المشردين " .  
وبمها " السودة التي لا تقهر " (٥) ، التي اوثقت التاريخ عن الحركة التي

سنة ، وحفالت الصهيونيين من التلف عبر تقلبات الاحوال والمصور ، عندما  
اراد - ايفانوف - ان يسحب بساط الحجج القومية من تحت اقدام الصهيونيين  
ويبرهن لهم ان بقاءهم في " الشتات " لم يكن بسبب سر تسكهم بالمخنيين

الى " ارس المبدأ " ، رأى من المناسب ان يستشهد بكراس ماركس ، نكتب  
" ان اليهودية بقيت ليس خلافا للتاريخ بل بفضل التاريخ " " ان اليهودية

نبتت الى جانب المسيحية ليس فقط كنقد ديني للمسيحية ، وليس فقط كنقد  
مجدد في السألة الديني للمسيحية ، بل وكذلك لان الروح اليهودية " اليهودية "

(١) المصدر السابق - ص ٢٤

(٢) = نفسه - ص ٣٢

(٣) ايفانوف ، يورى - احذروا الصهيونية - منشورات ثورستني ١٩٦٩ - ١٥

(٤) المصدر نفسه - ص ١٨

(٥) = نفسه - ص ١٩ - ٢٥

(التجارية) قد بقيت عمليا في الميثاق المسيحي بالذات وحتى انبا  
بلنت لنا أعلى مستوى من تطورها (١).

ولما كانت المسألة هنا تتطلب بحثا حيا في وتائع التاريخ اليهودي ،  
فقد رأينا مشهدا رائعا من اشياء التاريخ في الممرين القديم والوسيط  
يستعرضه امامنا احد اولئك الناس الذين كان مارتس يربيه ، كتابه الذي  
امثالهم عندما كتب " المسألة اليهودية " ، فقد تطلب الامر ، ترميز  
عبارة مارتس " ان اليهودية بقيت ليس غلثا للتاريخ " ، ان يتقرا  
ايشانوف التاريخ اليهودي لدى تلك الادمغة العالية التي سجلت أهم  
احداث تاريخ المصريين ، القديم والوسيط ( فيلون الاسكندري ، الفيلسوف  
والسؤرخ - ابن خرداذبة ، السياسي والسؤرخ العربي صاحب البريد في  
بغداد - سيمبل روت - ليوناردشتاين - اولمستد - مؤلفوا تاريخ السور  
الوسلي في جامعة كمبردج ، الخ ) (٢) .

ونعلم هنا بالمناسبة ان السؤرخ العربي " ابن خرداذبة " هو الذي - حل  
في كتابه " المسالك والممالك " ان طريق التجارة اليهودية في القرن  
التاسع الميلادي ، بين الصين واسبانيا ، لم يكن يمر عبر فلسطين . وانه  
في تاريخه سجل واقعة ان يهودي تمني تاجر (٣) منذ ذلك الوقت وعلى  
خط التجارة ذات . وبما ان ابن خرداذبة كان له مصادر " تاريخ السور  
الوسلي المؤلف في كمبردج " ، فيشتمل ان مارتس ماغ نشرته عن " الروي  
اليهودية " التي تمني ( الروي التجارية ) استنادا الى تاريخ ابن خرداذبة  
" ان احد اسباب التجارة - قال ايشانوف - التي يئنها الدهاينة لمارتس  
يمكن تفسيره بان مفهوم " اليهودية " الذي استخدمه مارتس يحتوي على  
ومفحي ينشأ البتاع عن الاوساط القائمة في الاساطيل اليهودية بدنتها  
الاكثر نموذجية في اثة التجار المعاملة المحسية للواء " اليهودية " (٤) .

(١) المصدر السابق - ص ١٦ و ٢٥

(٢) = نفسه ١٦ - ٢٠

(٣) = = = ٢١



ومن المؤكد ان ماركس ، وقبل الآخرين بزمان طويل ، قد "ارغى المسألة اليهودية على قدميها في وقت كانت وانفة فيه على رأسها في ايدي المنكرين المتألبين" (١) ، كما قال مؤلف دراسات يسارية . ولكن بشرط ان يكون الخطاب موجهاً ضد المزاعم الصهيونية عن " الروح النومية لدى اليهود كما نحل الماركسيان اسحق دويتشر ويورى ايثانوف .

اما ان يوصلنا الخطاب ، انطلاقاً من كراس ماركس المبكر ، الى المواقفة على واقعية " دعوة كالبشر الى لم شمل اليهود والسبئيين وجميعهم نفسي وحدة متماسكة في الارض المقدسة " (٢) ، فهذه مسألة قد تتجلى بدراسات اخرى ، ونتائجات اخرى ، ولكنها سلماً لا تتبدل بـ " المسألة اليهودية " لتكارل ماركس .

---

(١) دراسات يسارية - المبدع السابق - ص ٢٠

(٢) = = = = = - ص ٩٢

## كلمات تدارية عن الصراع الطبقي

في مسائل الطبقات والصراع الطبقي رأيدولوجيا الطبقات ، يمكن ان يبيننا تجار الكلام ( الايدولوجيون ) اية سلطة على انها هي السلطة المملوكة . والكلام هنا غير موجه البتة نحو " دراسات يسارية " والذنب في ذلك ليس كله ذنبنا نحن السرب ، فالعلاقات الدولية الماصرة أو مصالح القوى الرأسمالية والصناعة الحديثة ، بالانفاة الى شرط اجتماعية داخلية ، لم تمنح المجال امام تطور قوى طبقة في المجتمعات الغربية كما فعل في أوروبا الماصرة . ولهذا فان السربي لا ينهم الحديث عن الطبقات بالبساطة التي يفهم فيها انسان اوروبي . فالسربي عندما يقول له ، طبقات وصراع طبقي ، طبقة غربية بورجوازية ، ايدولوجيا قومية بورجوازية .. الخ ، يفهمها تقريبا بنفس الطريقة الناعمة التي يفهم فيها عبارات او مصطلحات مثل قاعدة صناعية ، علم وتكنولوجيا ، مرحلة مدارية .. والمبرر . اعني انه اذا لم يسئل فكره لمدة طويلة في هذه المفاهيم ، على طريقة المستخدمين ، فقد يدان انه فهمها . بينما هو لم ينهم عنها شيئا . فالقوى الدلتيية لم تتبدور في بلادنا ، ونحن نستشير ثقافتها ونحاول تطبيق غايمها ومصطلحاتها على واقعنا الاجتماعي المتخلف وغير المطابق . وهذا ما يسبب الالتباس والنموس في المصارات الثقافية في بلادنا . يقول الدكتور غالي شكرى : " ولدت البورجوازيات الغربية في همن السوق والاختراع والمدينة لذلك وجدت نفسها بمواجهة الكنيسة والاقلاص والسرم والنبلاء دفعة واحدة " ويضيف موضحا اسباب التباس المفاهيم عندنا ، فيقول : " اما في بلادنا ، فقد اعتلج الاسر تماما ان " تبرجيز " الاقلاص القبلي الشائري نفسه بالاعتماد الدلي على تكنولوجيا السرب ورأساله المالي . لم تكن هناك كشوف ولا اختراعات تدكس اختياها اجتماعيا لدى شريعة تدارية او صناعية جديدة ، وتطالب بتدابيرا

فكرياً يتنافس بورجوا مع الابنية الايدولوجيا السائدة " (١) .

وكان هذا الامر ( امر الاقذار ) قد التبس على ابرز المفكرين السرب  
 الممارسين ، الذين نيل اليهم انهم يفكرون انطلاقا من الواقع الاجتماعي  
 في بلادهم بينما كانوا في حقيقة امرهم يفكرون امسنا خلال واقع متصور عز  
 واقع السمات الاوروبية الذي يحلمون في فرارة نفوسهم ان تصل بمسماهم  
 المتخلفة الى درجاته من التطور . وكان عبدالله السروي قد كشف عن هذه  
 الواقعة الهامة في دراسته للفكر السياسي السربي الساصر ، فقد كتب  
 : " في فرارة كل ايديولوجيا من ايديولوجياتنا يوجد حقا مدلول بلبتي ،  
 لكنه لا يتسلف بالدرجة الاولى ببنية المجتمع السربي " . فان فكرنا  
 يستند باديء بدء الى بنية اجتماعية تستثيرنا من بعيد . هذا الواقع  
 لا ينبغي نسيانه البتة ، اذا اردنا ان نمسك بطرف السلسلة " . وانما :  
 " وراء كل نبي من انبيائنا الجدد يختفي جبريل يمس له بالابائنا  
 ونداءاته : لوتر وراء محمد عبده ، ومنتسكيو وراء لطفي السيد ،  
 وسنسر وراء سمة مرسى " (١) . وبيت القصيد هنا ليس التفتيش عن البطل  
 الايديولوجي للطبقة البورجوازية القومية في اوربا ، وليس اينما  
 التفتيش عن ابطالنا الايديولوجيين القوميين الحاليين ولكن تحريك  
 الذين وتنبههم حتى لا نقع في الالتباس ومن نفتش بين الطبقات الاوروبية  
 عن الطبقة البورجوازية اليهودية المفترضة وعن ابطالها الايديولوجيين  
 المفترضين ، الصهاينة .  
 فقد كتب مؤلف " دراسات يسارية " ان " الكلام الباد " عن " الامة اليهودية "  
 و " الدولة اليهودية " ، ولد من اتون " صراع اقتصادي سرير ودام " بين  
 البورجوازية اليهودية والبورجوازيات " الاوروبية المسيحية " وان موضوع  
 هذا الصراع " كان بكل بساطة لئمة السيس " (٢) .

(١) السروي ، عبدالله - الايديولوجيات السربية الممارسة - دار المتيقة

بيروت ١٩٢٠ - ص ٧٢ - ٧٤

(٢) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ٨٩ و ١٣٨

اننا هنا ، كما هو واضح ، نقرأ في مصطلحات نظرية الصراع الطبقي التي  
لا تزال مسجلة على اسم ماركس . والمؤلف ( دراسات يسارية ، يستخدم  
مفردات ومفاهيم ماركسية خالصة ولا تحتاج الى تأويل اخر .

لنفحص اذن ذلك الصراع المميت المزعوم ، نظرياً في البداية وتجريبياً  
بعد ذلك ، عن طريقة استقراءه على الساحة الأوروبية حيث توجد التباينات  
اليهودية ذات العلاقة .

لقد تصور ماركس ان الصراع الذي دلزبين السبيد واسياد السبيد هو الذي  
يلور مجتمع المبودية الى مجتمع الاقطاعية ، وان الصراع الذي دار بين  
الافنان واسياد الارض هو الذي نقل المجتمع من النظام الاتطاعي الى النظام  
البورجوازي . وتصور ماركس ان الصراع في زمنه والزمن القادم سوف يدور  
في المجتمع البورجوازي بين مالكي وسائل الانتاج وبين البروليتاريا ،  
وتنبأ بانتصار البروليتاريا التي ستحقق الشيوعية وفي البناء المطلق  
للملتية الفردية لوسائل الانتاج .

هناك مسألة محورية في فكرة ماركس يمتثل تبسيطها على النحو التالي :  
في مجتمع السبودية لم يكن كل انسان اما مالك عبيد واما عبد . كما  
انه في العهد الاتطاعي لم يكن كل انسان اما قن ارسا او فلاح محرم واما  
مالك ارض او ارس مع اثنان . لنقل مثلاً انه كان هناك دائماً فئات اخرى  
: صاحب محل رمونات ، تاجر ، حرفي ، صاحب خمار ، صاحب بيت لهو ،  
عائس من اللهوا ، جندي ، فلاح صغير غير محرم .. الخ .. الخ .

والسألة المعنية في نظرية ماركس ان التاريخ لا يتحول بدءاً من الصراع  
بين هذه الفئات البشرية : مثل الصراعات التي تحدث لاسباب آنية او  
للارثة بين حرفيين وتجار او بين فلاحين واصحاب خمارات او بين  
واولئك السائمين من اللهوا . التاريخ هنا يتحول بدءاً من الصراع بين  
أغلبيات ، بين النوى الاساسية ، بين قن الارض الذي لا يملك شيئاً على  
الافلاق ولا حتى حريته الشخصية ، وبين مالك وسيلة الانتاج الاساسية ،  
سواء الارض التي يعمل عليها الاثنان . طرفاً هذه الساداة ملايين او مئات الوف  
المالكين وتنفذ باستمرار ، تتبادل ملايين من غير المالكين يترايدون

بالمطارد . وفي زمن من التاريخ يعد بالانبيال والقرون تشرع الدولة  
بين الاغلبية المظلمة التي لا تملك اي شيء والاقلية التي تملك كل شيء .  
بالتوتر ، اي ان وسائل العيش الاساسية ( المأكل والملبس والسكن )  
بالنسبة للملايين المحرومة تصبح غير مؤمنة او من الاستحيل تأمينها  
من خلال الملاقة القائمة ، علاقة الامتيازات التي ينبتها القانون ، بين  
قن الارس - سيد الارس . في مثل هذه الحالة يبدأ التاريخ بتوليد قوتهم  
اجتماعي جديد ، طبقة جديدة ، لعل هذا الاشكال الاجتماعي . وهكذا يبدأ  
التحول باتجاه نظام ارقى عبر سلسلة من الحركات الاجتماعية والسياسية .  
وتقريبا ، كان هذا هو المسار الوضحي الذي يمكن توصفه بولادة الطبقة  
البورجوازية التجارية ومن ثم الصناعية وهي الطبقة التي أنشأت الدولة  
القومية والسوق القومية ، وفيما بعد أنشأت السوق الامبريالية .  
" ان تاريخ المجتمعات الانسانية هو تاريخ نضال بين الطبقات " . هذا ما  
قاله ماركس في البيان الشيوعي لعام ١٨٤٨ . وبين المؤكد ان لينين ، وهو  
معلم وبسط الماركسية للشعب الروسي ، كان قد لاحظ ان بعض الناس  
يلاتون صوبة في فهم معنى الطبقة ، فشرحها كما يلي : " تسمى طبقات  
جماعات كبيرة من الناس ، تتمايز بالموقع الذي تشكله في نظام محدد  
تاريخيا من الانتاج الاجتماعي ، وبمسلاتها ( التي غالبا ما يثبتها  
ويكرسها القانون ) مع وسائل الانتاج ، ودورها في التنايم الاجتماعي  
للعمل ، وبالتالي بوسائل حصولها على القسط الذي تتمتع به من الثروات  
الاجتماعية وحجم هذا القسط " (١) . وفي مكان اخر أكد لينين على طرزي  
المعادلة ، مالك وغير مالك ، في مفهوم الطبقة ، فقال : " تشكل وسائل  
الانتاج اهم شرط من شروط حياة المجتمع ، ولذا فان وضع الطبقة يتوقف  
على كونها تملك وسائل الانتاج او انها محرومة منها " (٢) . ولم يكن كسل  
ذلك سوى تمهيد ، لاننا اعتبارا من الان صار ممكنا ان نقرأ باستيعاب

(١) مرقس ، الياس - الماركسية والمسألة القومية - دار الطليعة

بيروت - ١٩٧٠ ص - ١٦٦ - ١٦٧

(٢) الطبقات والصراع الطبقي - ترجمة فؤاد المرعي - منشورات دار النجر

أكبر الوفاء الميداني للفس الطبقي على الساعة الأوروبية دنا سبيلها  
ماركس في البيان الشيوعي لعام ١٨٤٨ ، أي تقريبا على عقربة من الزمن  
الذي من المفترض ان تكون قد دارت فيه الممارس الملاحضة من اجل " لثة  
الميس " بين البورجوازية اليهودية والبورجوازيات الأوروبية المسيحية  
يتول البيان : " ان تاريخ المجتمعات الانسانية هو تاريخ نضال بين  
الطبقات ... ولكن ميزة العصر الحالي ، عصر البورجوازية ، هي انه يسلط  
التناحر الطبقي . فالمجتمع اخذ في الانقسام ، اكثر فائتر ، السبي  
مستترين متعاضدين ، الى طبقتين كبيرتين متعاضدتين : البورجوازية  
والبروليتاريا " .

" ان البورجوازية هي نتيجة تطور طويل وسلسلة من الثورات في اساليب  
الانتاج والوسائل . لقد لعبت البورجوازية في التاريخ دورا ثوريا  
عاليا . سحقت تحت اقدامها العلاقات الاتباعية والبليريركية والمعاظنية ..  
وهي لا تستطيع ان تعيش الا اذا قلبت ثوريا ادوات الانتاج ، بصورة دائمة  
وبالتالي علاقات الانتاج ومجمل العلاقات الاجتماعية .. انها تخفي اكثر  
ناشر على تبسّر وسائل الانتاج والسلتية والسكان . لقد تمت الاتاليم  
في امة واحدة تحت حكومة واحدة ، وقانون واحد ، ومصلحة قومية واحدة  
طبعية ، ورا . حاجز جمركي واحد . تهرت نظام الملكية الاتعاعي الذي اصبح  
عائقا امام نمو قوى الانتاج واقامت محله نظام المزاخمة الحرة والقيادة  
البورجوازية " (١) وتحدث البيان عن ( الهوامس الاتعاعية ) فقال : ان  
الطبقات الوسطى ، صغار الصناعيين والباعة بالمفرق والمرغيين والنزعين  
تتأرب البورجوازية لانها خلعت على وجودها كطبقات متوسطة . فهي ليست  
ثورية بل معاذلة ورجسية ، تسمى الى ارجاع عجلة التاريخ الى الوراء .  
وحين تكون ثورية ، تكون ثورية اعتبارا منها لانتقالها الوشيك الى  
البروليتاريا " (٢)

(١) مرقور ، الياس - الماركسية والشرق - دار المطبعية - بيروت ١٩٦٨

اذن ، ها نحن قد وصلنا اخيرا الى مشهد سي نادر ، ولا يستلح احد  
ان يدعي انه غير قادر على تحديد هوية العناصر التي يراها امامه .  
ان جميع العناصر التي هي محل جدال مع مؤلف " دراسات يسارية " ، تنحصر  
نفسها امامنا . وكل فريق يحمل علمه الخاص ، تماما كما يحدث عندما  
نتفرج على مهرجان رياضي . نحن الان في منتصف القرن التاسع عشر ، حيث  
انتشرت الطبقة البورجوازية انتشارا كاملا في اوربا الغربية كلها ،  
وكانت في تلك اللحظة ، لحالة صدور البيان ، تشرع في انتصار على  
ساحة اوربا الوسطى ايضا . واول عمل قامت به ، بعد النصر ، —  
توحيد ارضها القومية التي كانت مجزأة ومعهها شعبها الذي كان مجزأ في  
امة واحدة . ثم سبقت سوقها القومية الخاصة بها ( حدود وطن الاسنة  
التاريخي ) بالحدود الجمركية ومنعت بضاعة الاخرين من الدخول اليها .  
ونرى هذه الطبقة البورجوازية وهي تقف على يمين السلب ، آخذة كامل  
عنتها ومستعدة للسراك . وهي تملك جميع وسائل الانتاج ، الارض والمناجم  
والمصانع ووسائل المواصلات ، ولا تترك للاخرين سوى النفايات .  
وفي المقابل اخذ ينتظم في مواجهتها ، والى يسار السلب ، تلك الطبقة  
التي ولدت من احشائها ، الملايين التي لا تملك سوى قوة عملها ( ايديها  
وعقولها ) ، الطبقة البروليتاريا . وهي تلوح بقبضتها وتهدد بالسراك  
هي الاخرى . وبالامانة الى هذين المسكرين الجبارين ، نشاهد على خطوط  
التماس الخارجية بمس الهوامش : مجموعات غير منتظمة من الناس من  
مختلف الاصناف والمهن ، مثل " صغار الصناعيين والباعة بالمشرق والغرفيين  
والفلاحين " وما شابه . وهذه الهوامش التي هي بين المالكين وغـير  
المالكين تسمى عادة باسم " البورجوازية الوسطى " في الاعلى و " البروليتاريا  
الصغيرة " في الاسفل . وهذه الشريحة الاخيرة لا تنتج شيئا تقريبا .  
وبالامانة الى هذه الشرائع الهامشية توجد مجموعات اكثر ضحالة من  
" حالة البروليتاريا " أو من " العائشين من هوا " . وكل هذه الهوامش  
تميز حياة قلقة ، اقتصاديا واجتماعيا ، لانها تتأرجح بين الخوف من

الابنة البورجوازية القوية والخوف من الانقلاص النهائي والمتوط السوي  
النوع البروليتاري . ومن المحتمل ان يكون مؤلف " دراسات يسارية " قد  
وجد بسر الصعوبات في ايجاد مئذان ملائم للابنة البورجوازية اليهودية  
على المسح الطبقي الاوروبي في ذلك الزمن الطبقي الخرج ، حيث كانت  
الطبقات في حالة تبلور وتمايز ظاهرين . والدليل على ذلك هو التسديد  
الملحوظ في الاسماء التي يلقبها على تلك الطبقة فهي مرة " البورجوازية  
اليهودية " ومرة " البورجوازية المتوسطة والصغيرة على وجه التحديد " (١)  
ومرة اخرى هي " البورجوازية اليهودية الصغيرة " التي سوف تبحث " تبحث  
قيادة البورجوازية المتوسطة وبتحالف مع الرأسمالية ( اليهودية ) الكبيرة (٢)  
عن سون قومية خاصة بها .

وسرة نالفة هي " البورجوازية اليهودية الكبيرة " التي ستقوم بدفع  
" البورجوازية اليهودية الوسطى " (٣) لقيادة الحركة الصهيونية . الخ .  
ولكن بالرغم من كل هذه الصعوبات في تحديد مكان الطبقة واسماؤها ،  
وهي صعوبات مفهومة ، فان المناورة مع مؤلف دراسات يسارية يمكن ان  
تستمر بدون صعوبات كبيرة : بداية ، فان طبقته البورجوازية ، يختلف  
تسمياتها ، الباحثة عن " سون " قومية ، غير موجودة حكما الى يسار  
الملك الطبقي حيث يتف اولئك الذين لا يملكون ما يبيعونه سوى قوة  
علمهم . اذن ، يجب ان نبحث عن تلك الرؤوس القومية اما على يمين  
المسح واما على الهوامش .

### تفريخ طبقي ليهود أوروبا

وسرة اخرى ، الى شهادة اسحق دويتشر فهو ماركسي وحجة في دراسة اليهود  
طبقياً . ولقد وصف دويتشر التكوين الطبقي لليهود في أوروبا خلال القرن

### التاسع عشر كما يلي :

(١) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ٨٩

(٢) المصدر نفسه - ص ١٤٣

(٣) - المصدر نفسه - ص ١٤٤ .



في غرب أوروبا : " كان اغلبيه اليهود تجارا يديرون اعمالهم على نطاق واسع في كثير من السواحل الغربية ، وكان بعضهم صياغة ثبار ، وكساد بيت روتشيد يصنع رمزا للبورجوازية السليا اليهودية " (١) التي كانت عبارة عن " جزء صغير من طبقة الرأسماليين " (٢) الاوروبيين . وكان الى جانبهم " قليل من العمال اليهود ، وعدد غير كبير من الحرنيين وبصر اصحاب الحوانيت " (٣) .

في شرق أوروبا وروسيا : " الاغلبيه السليا من اليهود كانوا كادحين فقراء ، وحرفيين بدائيين ، وعمالا غير مهرة ، وغياطين ونجارين وعمال ممان ( غالبا سكرية ، وصناع صفائح ، وصناع اغفال ) . وكان هناك التليل من " البورجوازية والتجار واصحاب الحوانيت (٤) . ومن الطريف ان الدكتور العالم ، بعد سنتين فقط من وضع كتابه " دراسات يسارية " ، يصف التكوين الطبقي ليهود أوروبا باوصاف مشابهة لتفسير اسحق دويتشر ومخالفة لما ورد في " دراسات يسارية " ففي عام ١٩٢٢ عندما كلف الدكتور العالم بمراجعة كتاب (الفكرة الصهيونية) على صفحات مجلة شؤون فلسطينية ، كتب يصف التكوين الطبقي لليهود ، فقال : " تركز يهود أوروبا في القرن التاسع عشر في قطاعات الانتاج الوسيطة والثانوية بدون ان يكون لهم اية قاعدة اساسية في القطاعات الارلية من عملية الانتاج . وبما ان المصادر الحقيقية والاولية للنياة هي القطاعات الانتاجية الاولى ( الزراعة والصناعة مثلا ) ، تبدو الفئات الاجتماعية غير المرتبطة بهذه القطاعات وكأنها تبيس من لا شيء او " من الهواء " كما تبدو عديمة الاصول والذور والنبات " (٥) . ان اناسا بهذا

(١) دويتشر - المصدر السابق - ص ٥٦

(٢) المصدر السابق - ص ٦١

(٣) - نفسه ص ٥٦

(٤) - ذات الصفحة

(٥) مجلة شؤون فلسطينية - عدد ٩ - مايو ( ايار ) ١٩٢٢ ص ١٥٣ -

اعتبارا من الان سأشير الى هذا المصدر ب ( ش . ف )

نأنهم ، لا ينتجون شيئا في الزراعة والصناعة ، كان من المفروض ان لا ينتشوا عن سون قومية لافي " الخارج (١) " ولا في الداخل حسب ما ورد في " دراسات يسارية " . اذن ، وبسبب ملئ " البورجوازية السليما " التي كانت في الواقع مندمجة في الطبقة الرأسمالية الأوروبية ، باعتبارها كما قال دويتشر " جزء صغير من طبقة الرأسمالية " الأوروبية ، نصل الى نتيجة وهي ان جميع يهود أوروبا ، غربا وشرقا ، كانوا تقريبا ينفون على خطوط التماس الخارجية في مسن الصراع الطبقي الأوروبي خلال القرن التاسع عشر . او بالانرى خلف خطوط التماس . لانه لا يوجد بينهم حتى من اصناف تلك الشرائع ذات القيمة مثل " صغار الصناعيين " او " صغار الفلاحين " . انهم اليهود ، كانوا اضعف خلق الله بالنسبة للتصنيف الطبقي الماركسي ، ولا يتجراون على الاشتباك مع احد ، ناهيك عن الاشتباك مع الطبقة البورجوازية المسيحية .

ويوضح ذلك اكثر دراسة حجمهم العددي البائس فوق ذلك المسرح الذي كان يتقابل فيه الملايين : - فبحسب ارقام الدكتور جمال حمدان ، كان عدد يهود أوروبا ، غربا وشرقا ، (٥٠) مليون يهودي سنة ١٨٨٠ . وفي ١٩٠٠ وصل العدد الى ٧ ملايين كان منهم في الامبراطورية النمساوية - المجرية اقل من مليونين منهم (١٧٦) الف في العاصمة فيينا . وكان

في روسيا (٦٠٠) الف

في ألمانيا ٦٠٠ - ٧٠٠ الف

في فرنسا ١٨٠ الف

في بريطانيا ٦٠٠ الف

في إيطاليا ٥٠ الف (٢)

ومن المحتمل ان تكون بعض هذه الارقام غير دقيقة . اذ من المؤكد ، حسب مصادر اخرى ، ان يهود بريطانيا وصل عددهم عند نهاية القرن التاسع عشر الى ربع مليون ويبدو ان رقم الـ ١٠٠ الف كان يخطئ العاصمة لندن وحدها .

(١) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ٨٩

(٢) حمدان ، جمال - اليهود انثروبولوجيا - دار الناخب العربي - ١٩٦٧

وابراهيم ليون يذكر ارتفاعا اعلى قليلا ، فهي حوالي ٧ ملايين يهودي  
في عام ١٨٨٠ وحوالي عشرة ملايين في عام ١٩٠٠ (١) . وتوجد ارتفاعا اكثر  
دقة لعدد يهود المانيا غداة توحيدها على يد بسمارك ١٨٧١ حيث وصل  
عددهم الى حوالي نصف مليون . وكان هذا اكبر تجمع حتى ذلك الوقت في  
دولة قومية واحدة خارج روسيا واوروبا الشرقية . اما نسبتهم للمواطنين  
الالمان فكانت ١٢.٥ ٪ . وكان في العاصمة برلين (٢٣٧٢) ونسبتهم الى  
سكان العاصمة ١٢ ٪ وفي عام ١٩١٠ وصل عددهم في برلين الى (١٤٤) الف  
وارتفعت نسبتهم الى سكان العاصمة فبلغت ٣.٦ ٪ . وما هو جدير بالملاحظة  
ان الارقام والنسب المذكورة تعود الى تلك الدول الكبرى التي ولدت في  
عواصمها ( لندن ، باريس ، برلين ) الحركة الصهيونية .  
ما نحن ، اذن ، وبمسح جولة تفقدية ، نظرية وحسية اختبارية ، نسي  
الساعة الدلالية لاروپا القرن التاسع عشر ، وكان بعدها تدمير مكان  
وحجم اليهود في لسبة التاريخ الطبقي تلك ، وملنا في نهاية المطاف  
الى التعرف الى مجموعات ( شرائع ) من البشر (اليهود) ، لا يسع لهم  
دورهم الهامشي في عملية الانتاج ولا نسبتهم شبه السهلة الى عدد السكان  
ان يكون لهم اي اثر مستقل ( كيهود ) في تلك الدراما الدلالية الهائلة  
التي كانت تتجابه فيها قوى اجتماعية تعد الملايين .  
ولا يستقيم مع الواقع النظري او العملي اتجاه عرض الاراء في " دراسات  
يسارية " حيث يكون على القارئ بحكم انغلاق السرطان ينال مقيدا الى  
الشعور وكأن ماركس في " المسألة اليهودية " او " ماركس نفسه " على  
لسان شارح المفترس ابراهيم ليون ، قد قال : ان الحركة الصهيونية ،  
التي كانت من اكبر ادوات الصراع على الساعة الدولية في الحربين  
العالميتين ، والتي يسبب الان جيشها الرعب للشرق الاوسط بأسره ، قد  
ولدت من الاحتكاك الطبقي بين هؤلاء التمساء ، اليهود ، " العايشين من  
الموا " في غالبيتهم وبين الطبقة البورجوازية الاوروبية المسيحية ،

وهي الدلبة التي انتقلت في زمن ولادة الحركة الصهيونية الى ايدى العالم بأسره بواسطة جيوشها ورأسائها وبنائها . وأنه لتصور وحسب ولا أساس له في البنية الطبقة لاوروبا القرن التاسع عشر ، ان يقرر مؤلف دراسات يسارية ان الصهيونية هي " ودة فعل قوية ضد البورجوازية الأوروبية المحلية ( المسيحية ) التي دخلت منها في صراع اقتصادي مرير دام في ظل نظام التنافس الحر " (١)

### تصورات وهمية عن قومية يهودية :

لقد تصور مؤلف دراسات يسارية ان الصهيونية هي " الحركة القومية البورجوازية اليهودية " وان صراعها مع البورجوازية الأوروبية دنسها " نحو البحث عن سوق وبلدية خاصة بها لا يزاخمها عليها احد " (٢) خارج التارة ، اى في فلسطين . وترد الدكتور بديحة أمين بنده على فكرة ان تكون الصهيونية أيديولوجيا مابقة لبورجوازية يهودية ، فتقول : " من الصعب جدا ان نوافق الدكتور السلام على هذا " اى ان تكون " الصهيونية هي التعبير الايديولوجي والقومي للبورجوازية اليهودية " (٣) . كيف يمكن الموافقة على ذلك فعلا ؟ ان ابراهيم ليون وصادق جلال السلام واخرون ممن يستنتون فكرة قومية بورجوازية يهودية ، انما يخترعون تاريخا للسراع الطبقي في اوروبا غير الصراع الطبقي المسجل في تاريخ اوروبا . فالمسألة اليهودية برمتها ، باعتبارها مسألة اقلية دينية كانت تعاني في مختلف البلدان من التمييز والاضهاد داخل اطار العلاقات الاجتماعية ، قد بدأت بالتبخر والاختفاء شيئا فشيئا في نظام العلاقات الرأسمالية ، هذا النظام الذي توج باقامة الدولة القومية البورجوازية الجديدة المنتصرة . فمن اى صراع وهمي يجرى الحديث ؟ . كتبت بديحة أمين " ولكن الذى حدث عند اكتمال تكون الدلبة البورجوازية الأوروبية

(١) دراسات يسارية - ص ٨٩

(٢) = = المصدر نفسه ص ٨٨ - ٨٩

(٣) أمين ، بديحة - المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية -

( المسيحية ) وانتشار علاقات الانتاج الرأسمالية هو ان تلك المشكلة اليهودية كانت قد انتفت كليا وفي كل بلد بعد اخر من بلدان اوروبا الغربية \* . لا بل ان البورجوازيات المسيحية ، في جميع بلدان اوروبا الغربية ، رأت ان من مصلحتها او \* لمصلحتها المشتركة \* ان تخلط اموال اليهود \* البورجوازيين \* فوق اموالها . او بالاصح ان تدمج اموال المصرف مع اموال المصنع . وهذا الاندماج المالي الصناعي ، اليهودي والمسيحي ، هو الذي يفسر ان المشكلة اليهودية \* بدأت بالظهور اولا في البلدان الأوروبية التي كانت اكثر تقدما في المجال الصناعي والتجاري والبحري من بقية بلدان الجزء الغربي من القارة . كما كان الامر بالنسبة لانكلترا وبلجيكا وهولندا \* .

\* اقول ان هذا الاعتقاد يعتمد كثيرا عن الحقائق التاريخية وعن واقع الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي وجدت ضمنها التجمعات اليهودية في بلدان اوروبا الغربية - تلك الظروف التي ادت الى \* تلاشي الهوية اليهودية \* في نفس الفترة التي بدأت في اواخرها الحركة الصهيونية بالظهور \* . هل يمكن ان يولد حوت من مدارة صنيرة على الشاطئ ؟ .

\* ان اعتبار الحركة الصهيونية على انها الحركة الثورية للبورجوازية اليهودية وانها وسيلة للبحث عن ( سوق وطنية ) او اقامة ( وطن قومي ) ، انما يبدو كمن يقطع رأسه ليبتاز بابا دون قامة ارتفاعا \* . فاليهود كانوا في القرن التاسع عشر ينتمون \* بصورة رئيسية الى الطبقة البورجوازية الصغيرة \* . وهي طبقة اعجز من ان تحمي نفسها ناهيك عن تلك المداخل الاستثمارية الخطرة مثل التفتيش عن مستعمرات . انما الحيتان القادرة ، البارونات \* البورجوازية العليا \* فقد كانت ينشئ عن اختراع قوميات خاصة بها واسواق خاصة بها ، لانها كانت قد اندمجت بالبورجوازية الأوروبية وان اسواق ومصادر المواد الخام في الشرق الاسوي - الاتريقي قد فتحت امامها اوتوماتيكيا عن طريق اندغام رساميلها بالرساميل الأوروبية ( المسيحية ) \* (١) .

" ان البورجوازية اليهودية ، العليا او الصغيرة على حد سواء ، لم يكن لديها سبب يدفعها الى ان تنحصر صراعا اقتصاديا مريرا ودائما ضد البورجوازية الأوروبية المسيحية ، كما ولم يكن لديها سبب يدفعها الى البحث عن سوق وطنية خاصة بها ، كما يقول الدكتور المظلم . " (١) والبرجوازية اليهودية العليا ذات المطابع الكوزيمبوليتاني قد وجدت بالفعل اسواقا واسعة لها في كل انحاء العالم ، بما في ذلك أوروبا الشرقية والشرقية . اما البورجوازية الصغيرة ، فانها طبقة غير منتجة وبداية الحال ، فان اية طبقة غير منتجة لا تحتاج الى سوق وطنية . " اما الحديث عن السوق الوطنية لتصريف منتجات الطبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة اليهودية ، فانه نوع من مفارقة تاريخية او الحديث عن امر غير قائم على انه قائم فعلا . " وبشكل غير مباشر تشير المؤلف الى ان حذايات خيالية عن فتح سوق لبضاعة غير موجودة ( بضاعة البرجوازية الصغيرة ) ، يشبه الى حد كبير حديث الصهاينة عن الاسواق والاولمان التوتية لـ "افتخاف" وبكلمة اخرى ، ان قادة الحركة الصهيونية كانوا باختصار يذهبون الى امره امام الحصان تماما - فقد كانوا يتحدثون عن السيطرة الاقتصادية والاستثمار قبل ان تكون لديهم قاعدة انتخابية وقبل ان تكون لديهم منتجات في انتظار سوق تصرف فيها " (١) .

قال الدكتور اسعد رزوق ان " الصهيونية من ابرز الحركات النكرومية في تاريخ العالم الحديث ... اذ ينكشف مضمونها الاخير عن تصميم دقيق على دفع عجلة التاريخ مئات السنين وعشرات القرون الى الوراء . " حتى لانها تريد للتاريخ ان يعود التمهتري . " ومؤلف دراسات يسارية يرى ان هذا الحكم على الحركة الصهيونية غير صحيح ولا يلائم الا مثلاً من الناحية الخارجية دون لناميتها الحضارية التقدمية . فيقول : " يمكن الخلط الاساسي في هذا الحكم في عدم التمييز بدقة بين المضمون التاريخي الواقعي للحركة الصهيونية ومشاريعها وبين مضمونها الفئوي

والغربية والشمالية " . والدوام التي تدعت اسد رزق هي سلوت  
 الحركة الصهيونية في " استعادة ارض الابداد " و " العودة الى التراث  
 والقيمة الروحية اليهودية " والعودة الى ممارسة دافوس كان مسؤولا بها  
 قبل الف سنة . ولا يوجد هنا ما هو غير طبيعي وغير عادى . فالدكتور  
 العظيم طالما رأى في الحركة الصهيونية حركة قومية للابنة البورجوازية  
 اليهودية ، لذلك كان امرا عاديا ان تأخذ بالنسبة له الصفة المضاربة  
 التقدمية ، فالحركة الصهيونية ، يقول الدكتور السلام " كانت تريد دوما  
 اقامة دولة مرتبطة بالقوى الاستعمارية السائدة وذات مستوى بورجوازي  
 رأسمالي عبرى جدا وقائم على اخر منجزات الحضارة الاوروبية الحديثة في  
 كافة الميادين " (١) . ومرة اخرى لا يوجد شيء غير طبيعي او غير عادى ،  
 على الاقل من خلال السياق الذى يندرج فيه الدكتور السلام للصهيونية .  
 فالنضال القومي البورجوازي في اوربا هو باني الحضارة الحديثة والدولة  
 الحديثة ، وهي دولة الحرية والعدالة والمساواة . وكان هذا التطور  
 (البورجوازي) انتقال في سلم الحضارة لا مثيل له . ولا يوجد خلاف على هذا  
 الامر حتى في السجلات الايديولوجية الأكثر تسارفا . ففي الوقت الذى كان  
 فيه بسمارك يكتسح حدود الدويلات الاقلامية الالمانية ويبارد البيسوس  
 الاجنبية من بلاد الالمان ويوحدهم في دولة قومية واحدة تحت سلطة الديكة  
 البورجوازية الالمانية ، اعلن ماركس وانجلز من موقف اليسارية الثورية  
 وكانا ياريين من بسمارك ، " ان بسمارك يقوم بجزء من عملنا " (٢) .  
 وفيما بعد قال لينين وهو باني اول دولة عمالية في التاريخ ، أن " كل  
 الديمقراطيين الشرفاء والثوريين وكذلك كل الاشتراكيين " (٣) " يشتركون  
 في النضال القومي من اجل التحرير " .

(١) دراسات بسمارية - المصدر السابق - ص ١٣٦ - ١٣٧

(٢) الماركسية والسألة القومية - المصدر السابق - ص ٤٣

(٣) المصدر نفسه . ص ٢٢٩

لا خلاف اذن على الضمون الحضاري والتقدمي للنضال القومي البورجوازي  
ونجاح هذا النضال ، الدولة البورجوازية القومية ، لان في هذا الاطار  
تم تحرير السقل من اساره وتم تحرير قوى الانتاج عن اسارها . وهكذا  
بكلمة واحدة حدث بناء الحضارة الصناعية المتقدمة . لكن الخلاف هو  
: هل الحركة الصهيونية هي الحركة القومية للديانة البورجوازية  
اليهودية في الامة اليهودية ؟ وهل الدولة الاسرائيلية هي الدولة  
القومية البورجوازية للامة اليهودية ؟ وذلك حتى تستحق الحركة  
الصهيونية ودولتها تلك الاوصاف التقدمية التي توصف بها البورجوازية  
ودولتها في العصر الحديث ، لا يستطيع مؤلف "دراسات يسارية" ان يأتي  
بواقعة واحدة لها صفة الواقعة الموضوعية تثبت ان الحركة الصهيونية  
تستحق مثل هذا الشرف القومي . " ان الحركة القومية - كتبت بديانة  
امين - كانت تستهدف للنضال على التبشر القومي وتوحيد امة واحدة  
موجودة فعلا ولها تاريخ مشترك وثقافة مشتركة ولغة مشتركة وتبشر  
فوق ارض واحدة الا انها ارس مجزأة سياسيا واقتصاديا بسبب السيطرة  
الاقليمية . اما الحركة الصهيونية فلم تكن تمتلك ايا من المتومات  
الاساسية لفهم الامة القومية " (١) . لقد اعلى الدكتور المذموم صفة  
التقدمية للحركة الصهيونية لانه يساوي ، تمسقا وبشكل غير مشروع ،  
بين ظاهرتين غير متساويتين : فقد ساوى بين الحركة الصهيونية التي  
ولدت من احتجاجات دولية وعملت منذ تأسيسها على الاستيلاء على ارض  
نسب آخر ، وبين الشركات القومية الاوروبية التي عبرت عن تطلعات  
ونمالات شوب اوربا التي طمحت الى توحيد اوطانها التاريخية التي  
كانت ممزقة والى توحيد قواها الاقتصادية والسياسية في دال دول موحدة  
ينعم جميع مواطنيها بالحرية وحماية القانون .

---

(١) المشكلة اليهودية - المصدر السابق - ص ١٤١



## دور اليهود في صراع الطبقات الأوروبية الحديث

كان الحديث عن الهوامش وخطوط التماس الخارجية في السبب الطبقي الأوروبي يهدف إلى دحض الفكرة النيبالية عن وجود طبقة يهودية (طبقة) خاصة ولها مصالح مستقلة ومتنافسة مع مصالح القوى البنية المتنافسة على ساحة الصراع الطبقي الأوروبي في القرن التاسع عشر. يقول الدكتور السيري: "لم تكن هناك طبقة عاملة يهودية لها مصالح مستقلة، فانخرط المال اليهود في صفوف الحركات الثورية المختلفة، وتم استيعابهم فيها استيعابا كاملا، مثلما استوعبت المسيحية

البورجوازية (القومية) البورجوازية اليهودية" (١).

ناليهود، رغم قلة عددهم ومماشيته الاقتصادية، إلا أنهم كانوا مواطنين في تلك البلدان. وقد شاركوا مع مواطنيهم في الصراعات الاجتماعية والسياسية حسب الأدوار التي خصها لهم التاريخ وحسب فئاتهم: فقد ذهب الاشتراكي مع الاشتراكيين، وذهب الليبرالي (البورجوازي الصغير والمتوسط) مع الليبراليين، كما انداز أصحاب بيوت المال إلى اقترانهم من الرأسماليين.

ناليهود، وبشكل التصور الثنائي لإبراهيم ليون عن "الشعب - الطبقة" (٢)، متواجدين من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار على ساحة الصراع الطبقي في أوروبا القرن التاسع عشر. بل وإيماننا بأننا كانوا متواجدين بأثر من جانبهم الاجتماعي أو نسبتهم العددية. وإذا تابعنا قراءة التاريخ مع اسحق دويتشر، فالأثرياء والمتمولون كانوا يشكلون، كما ورد من قبل، "جزء صغير من طبقة الرأسماليين". أما الفقراء جدا، الذين لا يملكون شيئا على الإطلاق فقد كانوا، خاصة في مكان وجودهم الكثيف في روسيا وشرق أوروبا، يشكلون جزء من طبقة المال وأعزائها الثورية،

(١) السيري، عبد الوهاب - الأيديولوجيا الصهيونية - ج ٢ - المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت ١٩٨٣ - ص ١٦٣

(٢) المفهوم المادي - ط ١ - المصدر السابق - ص ٢٧

بل تأنوا بنا بالذات يمثلون أكثر من عيهم ، أما أولئك الذين  
 بين بين ( البررجوازية المتوسطة - التجار ، والبورجوازيين الصناع )  
 فقد غمت بهم الانزابات الليبرالية في كل مكان وخاصة في غرب أوروبا ،  
 وتأنوا بنا اينما يمثلون أكثر من عيهم . " وتأن ال روتشيلد يمثلون  
 السلاطة والسيطرة السالية للبررجوازية السالية بين الطبقات الوسطى  
 الفرنسية والبريطانية والالمانية " ويقابلهم من الناحية الاخرى " التادة  
 الاشتراكيون البارزون ذووا الاصل اليهودي مثل ماركس ولاسال " (١) .  
 ففي مقابل ميرس وغيننتسبرغ واوينهايم ، في برلين وفيينا وسان  
 بطرسبورغ ، كان هناك مارتوف اليهودي في زعامة الحزب المنشي  
 الروسي ، وتأن هناك تروتسكي اليهودي في زعامة الحزب البلشفي الروسي ،  
 وكانت هناك روزا لوكسبورغ في زعامة الحزب الاشتراكي الالمانى . ولقد  
 كان هؤلاء " مصممين تماما على جذب الشمال اليهود الى نضال رغاتهم  
 الروس ضد القيصرية وقد النشام القديم الذى كان دائما في شرق  
 أوروبا ، وكانت روزا لوكسبورغ ، تلك المرأة الثورية الشهيرة ، ذات  
 الاصل اليهودي ، تتبنى نفس الراى ، بل كانت أكثر من لينين ومارتوف  
 تمسكا باستبداد اليهود (٢) .  
 " لقد ساد بين يهود شرق أوروبا المشهور بأنه ليس غير الثورة للاطلاقة  
 بالقيصرية ، طريقا الى الخلافة من التفرقة والاضهاد اللذين كانوا  
 يتمرغون لها ، فلعب اليهود دورا بارزا في الحركة الثورية " (٣) .  
 كان يهود أوروبا ، شرقا وغربا ، واعتبارا من النصف الثاني من  
 القرن التاسع عشر بشكل خاص ، قد خرجوا من قلوبهم اليهودية منبرنين  
 كفيرهم في تيار المجتمع البورجوازي الجديد الصاعد ، وكانت جميع  
 قوانين هذا المجتمع تنطبق عليهم وخاصة قوانين التمايز الطبقي .

(١) دويتشسر - المصدر السابق ص ٦٠

(٢) المصدر نفسه ص ٦١ - ٦٢

(٣) " " " " ص ٦٣

وهم في ذلك لا يختلفون عن أمثالهم من الاتليات والسنابر التومسية  
والدينية الأخرى . ولم يقل أحد أنه ينبغي على اليهود قوانين خاصة  
غير قوانين التاريخ ، إلا الصهيونيون ، الذين كان من مصلحتهم دائما  
ازاحة قوانين التاريخ جانبا ووضع القوانين بدلا عنها \* .  
" ان الحديث عن ( الجماعة اليهودية ) ككيان شامل ، اذن ، امر  
لا معنى له وبالنسبة للماركسي ، هو كذلك مرتين : ان الماركسي يرى  
كل المجتمعات أولا من وجهة نظر انقساماتها الطبقيّة ، لكن الطائفة  
اليهودية لا تضم فقط طبقات اجتماعية متضاربة وحسب ، بل لقد انتسبت  
جغرافيا ايضا ، ففي كل بلد كان اليهود فيه اقلية ، أثر فيهم التراث  
الثقافي القومي على نحو مختلف ، وبلغ مندلسم الفكري بلابع مختلف (١)  
وفي مرس الحديث عن الاندماج الثقافي والقومي ، يذكر اسحق دويتشفسر  
ان اليهود الالمان اخترعوا الكثير من الفئات المزعة ضد يهود أوروبا  
الشرقية . وذلك كدليل ان كل جماعة يهودية في ان مكان كانت خدجينة  
آنذاك في الاطار الاجتماعي والثقافي لجماة البلد الذي تيسر فيه .

### اليهود الليبراليون في الغرب

ومثلما انحاز في الشرق الاشتراطيون مع الاشتراكيين ، كذلك في  
الغرب انحاز الليبراليون مع الليبراليين . في الغرب ، حيث دارت  
أكبر السارك التومية الطائفة على الساعة الأوروبية ، في ألمانيا -  
النمسا - المجر - إيطاليا ، كان يهود هذه البلدان قوميون قسرا  
ولكنهم لم يكونوا قوميين يهود ولكن قوميين المان ونمساويين وسجريين  
وايطاليين .. الخ .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦

\* يقول بن غوريون : " عندما نقول : امة يهودية موحدة ، ينبغي ان  
نقصد واثق تشتت الامة اليهودية في كل انحاء العالم ، وكسبون  
اليهود الذين يتدانون هذا البلد او ذاك هم مواطني تلك الدول  
التي يسكنون فيها " (الذروا الصهيونية - ص ١٤٥ )

واقرأ في دور اليهود القوميين الليبراليين عند الباعث السري اسد  
رزوف ومن كتابه - " الصهيونية وحبون الانسان السري " : " قضي  
النورات والانجازات التي شهدتها اوربا عام ١٨٤٨ كان اليهود يؤمنون  
منذ البداية طليعة الثائرين والاحرار في سبيل القضاء على يميننة  
الرجعية والحكم المطلق " . وآنذاك ناشد شاعر السانيا اليهودي  
( هايزيخ مانيه ) يهود بلاده ، قائلا : " على اليهود ان يدرئوا  
اخيرا بانهم ليسوا يحققوا بل لتحل التام الامتيازات المسيحيون تحررهم  
بصورة تامة ومضمونة . ان قضيتهم مطابقة لقضية الشعب الالمانى ، ولا  
حاجة بهم الى المطالبة كيهود بما يحق لهم منذ زمن طويل كموالطيين  
المان " . كما شارك اليهود الالمان في برلمان ( فرانكفورت ) الذى  
اعلن الحقوق الاساسية للبلدية البورجوازية الديمقراطية الصاعدة ،  
" المساواة المدنية التامة وحرية الوجدان الاجتماعى " . وقد اعلن  
نائب رئيس البرلمان غابريل ريسر ( ١٨٠٦ - ١٨٦٢ ) باسم جميع  
يهود المانيا : " نحن لم نأت البلاد مهاجرين ، بل مولودين فيها ،  
ولاننا من اهلها ، فلا يحق لنا ادعاء ان مكان اخر كوطن . نحن اما  
المانيون او بلا وطن " (١) . وكان هذا اول جواب سياسى من التوسيع  
اليهودية المزعومة على بداية السناداة بالفكرة الصهيونية التي كانت  
تدلتها آنذاك الدوائر السياسية العليا في لندن وباريس .

" ولم يكف يأتى السام ١٨٦٢ حتى كان اليهود قد حققوا التحرر التام  
في المانيا والبلاد التابعة للإمبراطورية النمساوية - المجرية . اذ  
شهدت اوروبه آنذاك ذروة انتمار الليبرالية في جميع سرائق الحياة  
والتفتخير " . وبذا يعني ان حوالي مليونين ونصف من اهل ثلاثة ملايين  
يهودى في اوروبه الغربية كلها ، كانوا قد دخلوا آنذاك في حومة  
ذلك الصراع الوطنى من اجل حرية الانسان وتوحيدهم وتوحيد بلادهم  
المجزأة تحت النير الاقلامى في دولة واحدة ، ديمقراطية وبورجوازية .

(١) رزوف ، اسد - الصهيونية وحقوق الانسان السري - ج ١ -

\* وسارع اليهود الى اعلان ولائهم للشركة الجديدة القائمة بتوحيد

عموم مناطحات المانيا ودويلاتها تحت راية بسمارك وتأسيس الرايخ

الثاني او الامبراطورية الالمانية في ١٨ غليوم الاول\* .

\* كما وقفوا الى جانب الليبراليين في صراعهم مع الاكثريوس ومناولتهم

انتزاع تلك الامتيازات الهامة من الكنيسة والبابوية في حقول الزواج

والتعليم والملكية ، ولاغرو فان يهود المانيا - النمسا - المجر ،

كانوا ينتسبون الى الطبقات التجارية داخل البورجوازية المساعدة في

عالم المال والاقتصاد والتجارة . والوحدة القومية مع ما يرافقها

من ازالة الحواجز الاقتصادية والعقبات المحلية ، تعود عليهم بشئى

المنافع والمكاسب\* (١) .

\* فقد استطاع اليهود البورجوازيون في المانيا والنمسا ان يطالبوا

بين دسوحهم السياسي وطمس البورجوازية الالمانية والنسارية على

السموم\* . . . وهكذا احتلت البورجوازية اليهودية في اوربا الغربية

مراكز مرموقة في عالم المال والتجارة والاقتصاد ، وتغلقت ثمار الليبرالية

والنفوذ السياسي المنشود على اكمل وجه\* (٢) .

ما هو اذن ، المكان الثاني بعد روسيا واوربا الشرقية للتركيز

اليهودى الكثيف ، وهم هنا جميعا تقريبا من صنف " البورجوازية المتوسطة

والضخيرة على وجه التحديد " ، يشتركون مع اقربانهم ، البورجوازيين

المسيحيين ، في وسط اوربا ، في تلك الدراما القومية السطوية ، التي

قمت نهائيا على ما تبقى من سمات النظام الاقطاعي في اوربا الغربية

باسرها ، حيث انشئت الدولة القومية البورجوازية الالمانية تحت زعامة

بسمارك . وقد رأى فيها اليهود البولجوازيون الالمان دولتهم القومية

وسوقهم القومي ، بل وتحركهم الدامل من نظام الامتيازات الاقطاعي .

وبسبب هذه الحرية ومن اجلها غنى لهم شاعرهم وشاعر المانيا القومي

هانيه . وفي مؤتمر بنسبورغ للكنيس الاملاحي اليهودي (١٨٨٥) ، اعلن

(١) المصدر السابق - ص ٢٤ - ٢٥

(٢) = نفسه - ص ٢٦ - ٢٧

الناخاميون الالمان والنمساويون : " نحن نرى في السر السديست  
عصر حضارة العقل ... نحن لا نعتبر انفسنا امة بعد اليوم ، بل  
جاعة دينية . ولذا لا نتوقع عودة الى فلسطين " (١) ، وكان هذا  
ثاني رد منعم من الكنييس اليهودي في وسط اوروبا على جوتة "الكالاي"  
وال "كالبشر" ، التي كانت قد شرعت آنذاك بالبناء عن " الوعد "  
و " ارض الميعاد " وعن مجد " الله الذي اختار صهيون " .

### البورجوازية لا تصارع نفسها

ان حديثنا عن " التنافس الاقتصادي الهاري مع البورجوازية  
اليهودية " ، وان بورجوازية ما ( اليهودية ) ، لكي " تحرر نفسها  
من الحصار الاقتصادي المفروض عليها من قبل البورجوازيات السليبية  
ودولها " (٢) تنظر للرحيل الى مكان اخر ، الى فلسطين مثلاً . وان مثل  
هذه الاساطير يمكن ان تدون على صفحات الكتب السرية او البرائيد  
السرية وذلك لنفس الاسباب المار ذكرها . وليس من الضروري ان يكون  
الكلام موجهاً بالتحديد الى " دراسات يسارية " .  
ان ذلك يعني ان البورجوازية ، الطبقة البورجوازية الواحدة في  
الدولة الواحدة ، يمكن ان تتقاتل مع نفسها . وهذا لا يمكن بالطبع  
ان يحدث في العلاقات الدبقية الواقعية . فالبورجوازية هي ، في  
مناهرنا الاقتصادية المحض ، انتمار للاقتصاد النقدي ، المالي ، على  
الاتتماد اللببي ، الميني والسلي ، الاقلاعي . وقد انشأت الطبقة  
البورجوازية مؤسستين اساسيتين متخصصتين بحفظ وتداول الملكية ،  
وهما البنك والبورصة . فالبورجوازية ترمز الى ملكيتها بالاوراق  
النقدية والاسم البنكية التي يتم تداولها بواسطة سوق الاوراق المالية -  
البورصة . فالعلاقة بين البورجوازي والبورجوازي الاخر في هذا النظام  
هي علاقة اسيبة - نقدية ، وليست علاقة دينية او عرفية . ففي البنك

(١) بزوفه ، اسم - الدولة والدين في اسرائيل - مركز الابحاث -

بيروت ١٩٦٨ ص ٢٢

(٢) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ١٣٨ - ١٤٣

تحفظ ايرتام حسابات جميع المالكين البورجوازيين ، بصرفه المنظر عن  
 شأنهم الاخرى . وذا كانت مثل هذه النقطة البسيطة غير منهومة ، فان  
 اى حديث عن البورجوازية يصبح حديثا عموميا وغير محدد . والمهم هنا  
 فهم ايسر علاقات ، - ان شخصين ( بورجوازيين ) يمكن ان يتصارعا اقتصاديا  
 مستخدمين في صراعهما جميع السبل الاقتصادية ، ولكن ليس بوصفهم مسا  
 ينتميان الى دين معين ، يهود ومسيحي مثلا ، ولكن بوصفهما مالكيين  
 للنقد والاسم البنكية ليس الا .

وكان مرتزل ، وهو شخص خيالي ولا يوصف ابدا بأنه مكين في فهم الرئاس  
 الاقتصادية ، ولكن باعتباره اوروبى وابن تاجر من الاثرياء ، عن الطبقة  
 الوسطى في فيينا ، كان بإمكانه ان يدرك هذه العلاقة تماما . فقد  
 قال انه " في الساني " في الزمن الاقطاعي ، عندما كانت ثروة اليهود  
 تتمثل على شكل مجوهرات وذهب وفضة ، كانوا قد " انتزعوا من اليهود  
 مصافهم " ، اما الان ، في الزمن البورجوازي ، فبأى شكل يمكن  
 " انتزاع اموالهم المنقولة حين تكون مضمرة عنها على تصاصات الورق  
 المحتفظ بها في مكان ما ، وربما حتى في الخزائن السيجية " . كما  
 ان مرتزل ، وايضا باعتباره اوروبى وبورجوازي ، قد ادرك ان الطبقة  
 البورجوازية لا تتقاتل مع نفسها ، لان الطبقة باعتبارها طبقة لها  
 مصلحة مشتركة داخل حدود الدولة القومية . فقد قال مرتزل وهو يصف  
 الموقف البورجوازي من اليهود في البلدان الاوروبية : " وجدنا انفسنا  
 بعد الانتماء في دائرة البورجوازية . . ولم تكن البورجوازية المسيحية  
 ضد رمينا فريسة للاشتراكية ، الا ان ذلك ما كان ليساعدها كثيرا . .  
 نحن نحول ، ان نفلس ، الى بروليثاريين ثوريين ، مومنين بجميع  
 الاحزاب الثورية بنسبها لصف<sup>(١)</sup> . فالطبقة الواحدة في السوق الواحدة  
 والدولة الواحدة ، لا تتقاتل مع نفسها والا كانت كمن يسعى الى حتفه  
 بالله كما يقول مثل عربي قديم .

وفي تاريخ السهيونية وقائع ذات دلالات شبه تمليمية لبساتها ورتوبها  
؛ ان مرتزل ، ونو من المفروض ان يكون بال المراع القومي البرجوازي  
اليهودي ، حسب الدستور النظم ، كان قد اجري حوارا بورجوازيا عرنا  
مع جهة بورجوازية صرفة غير يهودية ، ولكن لاسباب غير صراعية البنية ،  
بل على السكس ثانت ودية للناية .

ان مرتزل باعتباراه من اصل الماني ، وكان مشبها بالثقافة الالمانية  
ومفهما بمحبة الالمان\* ، كان يعلم في البداية بانشاء دولة يهودية  
السانية تحت حماية السانيا . وكان اول من قابل من حكاهم اوروا لمرس  
مشروعه " دوق بادن الاكبر " عم الامبراطور غليوم الثاني .  
قال مرتزل للدوق : ما رأيك يا سيدى الدوق اذا اعطنا مشروعا مشتركيا  
" محبة السانية " يهودية في فلسطين ، تحول نفسها بنفسها . المال من  
يهود السانيا الاثنياء وايضا من البيوتات السالية اليهودية الكبرى  
في العالم " ، والرجال من اولئك اليهود المهاجرين القادمين من  
السانيا من اوروا الشرقية وروسيا ، وتكثا نكون قد شربنا عشورين  
بحجر واحد ، فمن ناحية نكون حولنا " سيل المهاجرين الستدفق من

---

\* - كانت طبقة النبلاء الالمان وخاصة البروسيين في المثال الاعلى  
لنمود مرتزل . وقد سجل في مذكراته في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ :  
" ان كان هناك شيء اصبوا اليه فهو ان اكون احدا من طبقة النبلاء  
البروسية العريقة " . وقد فكر في البداية باقامة دولة يهودية تحت  
الحماية الالمانية وسجل في مذكراته يوم ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨  
: " ان نعيش تحت حماية دولة السانية التوية والسذلية والاثلائية  
والرائنة الحكم والوثيقة التنظيم - فهذا ليس من شأنه الا ان تكون  
له افضل الانصار في الشخصية القومية اليهودية " .

( س . ف - عدد ١٥ - تشرين اول ١٩٧٢ - ص ٧١ )



اوروبا الشرقية الى فلسطين بدلا من الحاخامية . ومن ناحية ثانية  
 نتون قد خلصنا المانيا من اولئك اليهود الذين " يبدو انهم يرتسمون  
 على الارتقاء في احضان الاغزاب الثورية " . لان الحركة الصهيونية ، كما  
 اصبح مرتزل ، " باتت توجه نفسها ملزمة في كل مكان بشحن معركة قاسية  
 وبريرة ضد الاغزاب الثورية ، اذ ترى فيها عدوا لها عاقا " . ولها كانت  
 الطبقة البورجوازية الالمانية ، اسوة بالبورجوازيات الاخرى ، قد صعدت  
 من عتبة التجارة الحرة الى الاحتكارية ، ومارت تشني مثل غيرها او اكثر  
 من غيرها ، اغنية الرجل الابيض " المانيا فوق الجميع " وتفق المضارة  
 الجرمانية . لذلك غنى مرتزل ، البطل القومي اليهودي المزعوم ، متلبسا  
 من الاغنية المطرية : " سوف ينقل اليهود معهم الى الشرق عنصر الشئانية  
 الالمانية . والدليل على ذلك : - الكتاب الالمان - من اصل يهودي - تم  
 زعماء الحركة . فالالمانية لغة المؤتمر الصهيوني . والاكثرية الساحقة  
 لليهود تولف اجزاء من الثقافة الالمانية " (١) .

كما يقول المثل ، الاثريون اولى بالمعروف . فمرتزل باعتباره الماني  
 عرش مشروعه في البدء على ابناء جلدته الالمان . وباعتباره " بورجوازي  
 عرش الامر على البورجوازيين . وكان هذا اول " كلام جدى " عن " الالة  
 اليهودية " و " الدولة اليهودية " يصرح بشكل رسمي " بعد تأسيس الحركة  
 الصهيونية رسميا . ولكنه - الكلام الجدى - لا ينبع من موقف صراعي بين  
 بورجوازي يهودي وبورجوازي مسيحي ، بل من موقف السامع البورجوازية  
 المشتركة ضد الفقراء من اليهود الباشيين عن لقمة العيش " وبالبس  
 ضد الثراء من غير اليهود ايضا .

صرفت الادارة الالمانية النار في جيله عن مشروع مرتزل لان علاقتها مع  
 السلطان النماني تحقق مداىب اكبر . وبعد اكثر من نصف قرن من ذلك  
 الحوار البورجوازي والامبريالي ، كتب الزعيم الاسرائيلي المستدل أورى  
 أفنيرى ، وهو يهودي الماني من هانوفر ، كتب بلهجة تنم عن الاسف

(١) الصهيونية وحقائق الانسان - المصدر السابق - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١

لان السانيا رفعت في سينه مشروع منزل ، فقال : " ماذا بوسع منزل  
ان يقدم الى غلبوم الثاني ، افضل من مجتمع اوروبي يرتكز على تقاطع  
طرف الشرن ، كدليغة للمالح الالمانية والثقافة الالمانية " (١) .

---

(١) - أنجيري ، أوري - اسرائيل بدون صهيونية - بالفرنسية -

## اليهود والصراع الطبقي في روسيا

عند نهاية القرن التاسع عشر كان نصف يهود العالم يعيشون في  
الامبراطورية الروسية - خمسة ملايين من أصل عشرة ملايين في العالم  
كله .

وقبل قليل قرأنا عن تركيبهم المهني حسب تصنيف اسحق دويتشر . حيث  
لا يوجد سوى عدد قليل من " البورجوازية والتجار " وهو تصنيف يشمل يهود  
روسيا وبلدان أوروبا الشرقية عموماً .

لدينا الآن لائحة طبقية للوضع في روسيا تعود لعام ١٩٠٤ يرسمها لينين  
بالذات . وعندما يحدد لينين أين كان يقف مختلف اصناف الناس في  
ساحة الصراع الطبقي . حيث تان هو يقاتل كقائد لأند المسكرين ، يصير  
مثل هذا التعديد ليس مجرد وائقة تاريخية وحسب ، وانما وائقة تاريخية  
ومعها مدلولها السياسي او الايديولوجي \* . وعندما يتكون الحديث عن  
الانزاع الرئيسي للتمسعات اليهودية ( نصف يهود العالم في دولة واحدة )  
فانه يصبح من المفهوم تماماً ماذا يعني اي حديث عن فكر يهودي قومي  
او ليبرالي او اشتراكي . وأبداً بلينين وسأعود اليه مرات عديدة :

في الثاني والمشرين من كانون الثاني ١٩١٢ قرأ لينين في اجتماع  
للسامال السويديين في زوريخ تقريراً عن ثورة ١٩٠٥ في روسيا التي  
اندلست في يوم " الأحد الدامي " ( ١٩٠٥/١/٢٢ ) . عندما تقدم عمال مدينة  
( بارسابورغ ) بمطالب تتعلق بتحسين ظروف معيشتهم الى القيصر الروسي  
وكان يتودم أحد الكهنة " الكامن غابون " . فقد رد القيصر في

---

\* - لا تعدل شهادة لينين اية شهادة اخرى في مجال الصراع الطبقي في  
روسيا . فهو اكثر من مؤرخ ومصلح ومفكر . فقد كان قائد أحد  
المسكرين الطبقيين البارزين المتقابلين . وباعتبار ان النصر  
كان حليفه في ذلك الصراع فان تصنيفاته الباقية عن المفروضات  
تؤخذ كوثائق تاريخية غير قابلة للدحض .

(نصر الشتاء) من النمران النوازي على السيرة السالبة بالسلان  
الرماس نقتلوا على النور الف عامل وجرحوا اكثر من النين . ثم  
اندلعت الشرارة في الامبراطورية الروسية كلها . ويمكن ان نقرأ في  
اللائحة الدليقية التي حدها لينين آنذاك على النحو التالي :

١ - التيسر " رئيس الدليقة السائدة ، دليقة تبار الملاكين الستاريين  
والمستعدين للدفاع عن استكارهم وامتيازاتهم واربابهم بكسل  
وسائل السنف "

٢ - " مليونين او ثلاثة ملايين من البروليتاريين " تحت قيادة مثلماتهم  
الثورية وفي دليقتها حزب لينين .

٣ - ظهور بوادر حركة ثورية " في اعلى اعماق ذلك الجمهور السدى  
يتراى تعداد بين ٥٠ و ١٠٠ مليون من الفلاحين " :

وهكذا ، كما يتول لينين ، " دخل بلد شاسع بعد ١٣٠ مليون نسمة في  
الثورة . وهكذا غدت روسيا الثائية روسيا البروليتارية الثورية  
والشعب الثورى " (١)

وفي اشارة الى ابرز الوقائع ، فقد تجاوز عدد المنربين من عمال  
الصناعة " نصف مليون " بالاشارة الى " عدة مئات الالاف من عمال السكك  
الحديدية ومستخدمى البريد والبرق " . ان الاشراب السام الذى شنه

عمال السكك الحديدية اوقف حركة النقل الحديدية في عموم روسيا وشل  
قوى الحكومة بصورة قاطعة " (٢) . كما توقفت الدراسة في كل الجامعات  
واصبحت قاعات المحاضرات منتديات للقوى النائرة ضد القيصرية . وخلال

هذه الالداث " مر بعض المدن في روسيا بمرحلة جمهوريات محلية صنيعة  
كنست منها سلالة الحكومة " . وفي " خريف ١٩٠٥ ، اتسمت حركة الفلاحين  
كان اكثر من تلك الاثنية في البلاد مسرحا لما يسمى بـ " الاشرابات

الفلاحية " ولانتفانات متتقة شنها الفلاحون . فاحرقوا قرابة الف عتار  
ونقاسوا الخيرات التي انتزعها الضواري النبلاء من الشعب (٣) .

(١) لينين - المختارات - م ١ - ج ٢ - دار التقدم - موسكو ١٩٦٦

٤٥٤ - ٤٥٦

(٢) المصدر السابق - ص ٤٦٢

(٣) = نفسه - ص ٤٦٨

\* واشتدلت حركة التحرر الوطني بين الشعوب المظلومة في روسيا  
فان اكثر من نصف سكان روسيا ، ٥٧ ٪ على وجه الدقة ، يمانون من  
الاضهاد القومي ، وليس لهم حق التكلم <sup>بلشفيهم</sup> بالأم بكل حرية ، وتجري  
رؤسيتهم ( جعلهم روسا ) بالقوة . فان المسلمين ، مثلا ، الذين  
يعدون بمشرات الملايين في روسيا ، قد اسوا آنذاك عصة اسلامية  
بسرعة رائدة \* (١) .

موقع يهود روسيا : ثم حدد لينين موقع يهود روسيا في هذه الثورة  
وفيما يلي الفترة الكاملة من تقريره عن اليهود : " ان حقبة  
القيصرية قد تحول ضد اليهود على الاخر . فمن جهة ، كان عمولا  
يتقدمون نسبة عالية جدا ( بالقياس لعدد السكان الاجمالي ) من قيادة  
الحركة الثورية [ نسبتهم آنذاك لعدد سكان روسيا ٢ ٪ ] .  
وللأسف تجدر الاشارة الى ان مأثرة اليهود تتقوم اليوم ايضا  
في انهم يقدمون نسبة عالية من ممثلي التيار الاممي بالقياس الى  
ما تقدمه الشعوب الاخرى . ومن جهة اخرى ، كانت القيصريّة تعرف  
بيدا جدا كيف تستغل اوهام ضد اليهود عند اشد السكان  
جهلا وتنظيم مذابح اليهود ، ان لم تقصروا بنفسها ( في تلك الفترة  
بلغ عدد القتلى في ١٠٠ مدينة اكثر من ٤٠٠٠ وعدد المشويين اكثر  
من ١٠٠٠٠ ) أي هذه المذابح الفظيعة الفاتكة باليهود الانيين  
وبنصاليهم والفقاهم ، التي استنارت اشد الاشمزاز في الساليم  
المتمدن باسره \* (٢) . وقبل ان يختم لينين حديثه اشار بطريقة غير  
مباشرة الى ان الرأسماليين الشربيين لم يكونوا بعيدين تماما عن  
مذابح اليهود في روسيا . فالرأسماليون الفرييون الذين كانوا  
يستثمرون روسيا بواسطة تدمير الصناعة ورأس السال ، كان ممن  
مصلحتهم ايضا توجيه القوى في الامبراطورية الروسية بمكس المسار

(١) المصدر السابق - ص ٤٦٩

(٢) = نفسه - ص ٤٧٠

الذي يتضارب مع مصالحهم : "إن اليهودية تسرف جيدا جدا كيف  
تجمع بين انوارها المنافقة ضد "الظلال الروسية" وبين اوتش  
الصفقات المالية ، ولا سيما التأييد المالي الذي تسديه للتبصرة ،  
والاستثمار الامبريالي لروسيا بواسطة تصدير الرساميل" (١) .  
في هذه الدراما التطبيقية الهائلة الاتساع ظهر يهود روسيا ( نصف يهود  
العالم ) وبسبب من بنيتهم المهنية ( خارج حدود الصناعة والزراعة ) ،  
واينما لظالة حجمهم ، وكانهم على هامش الصراع تماما . وكل ذنبهم انهم  
وجدوا أن املم في الحرية ، وهو أمل يشترطون فيه مع ٥٧٪ ممن  
القوميات الاخرى غير الروسية في الامبراطورية ، يرتبط بانتصار ذلك  
المستتر الذي يقف على اليسار والمؤلف من عشرات الملايين .  
ولكن هذا النوع البائس لليهود الروس لم يمنع القيصر ولبقة النبلاء  
الاقبالاعيين وحلفائهم الرأسماليين الاخرين ، ومن خلف الحدود ، من تحويل  
الممركة باتجاههم . وقد سلكوا هنا نفس السلوك الذي يبر عنه الممثل  
الشعبى الدارج عندنا في الارياف والذي يقول : ان من لا يستطيع  
ركوب الجمل يركب فوق برذعته . فقد حزنوا الجهلاء ورعاع الناس ضد  
اليهود وهم فئة اجتماعية خارج المجابهة كليا ، فسبوا لهم مجزرة  
مروعة .  
لدينا هنا شهادة من لينين بالذات أن اللاسامية التي جرى التعبير  
عنها بشك المجزرة الرهيبة ضد اليهود الروس ، ولدت من عملية تحويل  
للممركة التطبيقية قام بها المالكون ليس ضد اعدائهم الديتبيين  
الحقيقيين ، " ثلاثة ملايين بروليتارى " او " خمسين الى مئة مليون  
فلاح " ، بل ضد عدو بديل هم يهود روسيا الذين لم يكونوا قادرين على  
ان يكونوا اعداء لاية جهة من تلك الجهات المتصارعة والهائلة الحجم  
والقوة . واكثر من ذلك يشهد لينين ان البوليس القيصرى كان يقوم  
بتنظيم مثل هذه المذابح لليهود .

وعلى ذلك ، فان تلك الرواية عن " تهور بوارد السداء للسامية " بسبب او " من جراء التنافس الاقتصادي الناري " بين بورجوازية يهودية وغير يهودية ، انما هي رواية غير واقعية بالنسبة لنصف يهود العالم آنذاك .

وكان الكاتب الياس مرتسر ، وهو خبير في مسائل الثورة الروسية والصراع الطبقي في روسيا ، قد اشار الى هذا الاتجاه التحويلي في ولادة اللامامية في روسيا ، فقال : " لقد بدأت سياسة الحكومة التبعرية في ايجاد فتاة لتصريف الذئب الشعبي المستغل بواسطة " اللامامية " واتهام اليهود بالقتل والتخريب " (١) .

اما بالنسبة للمادة الصهيونية الذين يمثلون ، بنسب " دراسات يسارية " قوة من " قوى التاريخ الحية " (٢) التقدمية وغير " النكوصية " فلدى الروس البلاشفة وثائق ذات معنى طبقي ودلالة مختلفة تماما . ولديهم مثلا تميم بوليسي صدر في ١٩٠٦ عن رئيس البوليس القيصرى " زوباتوف " الى جميع اقسام الشرطة ، يتول فيه : " يجب مساعدة الصهيونية وبشكل عام الشرب على وتر المشاعر القومية " (٣) . ولديهم وثيقة " بيان " صدر عن اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية بحضور نشاط المنظمة الصهيونية " يوآلي نسيون " التي أنشئت في عام ١٩٠٦ في روسيا ، اشارت فيه الى ان ابطال الصراع الصهيونيين لم يكن عداهم الصراع مع بورجوازيين مسيحيين او " محليين " وانما مع جبهة العمال والبروليتاريا المؤلفة من مسيحيين ويهود ومسلمين . قال البيان : " ان مشروع فلسطين ومحاولة صرف جماهير الشنيعة اليهود عن النضال الطبقي بالدعاية للهجرة الجماهيرية الى فلسطين ، ليحاط فقط نوميين وبورجوازيين صغيرين ، بل هما ايضا في جوهرهما معاديان للثورة " (٤) .

---

(١) الماركسية والشرق - المصدر السابق - ص ٥١٢

(٢) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ١٢٢

(٣) احذروا الصهيونية - المصدر السابق - ص ٦٩

(٤) المصدر نفسه - ص ٦٩

ان اولئك الذين تانوا يتودون مستر اليسار المطبق تانوا يشاءدون  
في مواجعتهم الرؤوس الصهيونية متحالفة مع مختلف انواع السالكين ،  
من نبلاء القيصر الى الرأسماليين الثبار والصغار ، والمتدنيين  
المسكربين ضد الثورة الروسية ، ومع البوليس وكل من له مصلحة في  
التحالف ضد مستر اليسار . " ان جميع القوى الرجعية - كتب اينانوف -  
في اوروبا ، وبنوع خاص في روسيا ومن بينها جميع المشتركين في المصلحة  
التنكرية الصهيونية " كانت في تلك الاوقات الحاسمة في التاريخ تشهد  
بكل اسرار " عزل اليهود في عمر ادت فيه السألة بذل معنى الكلمة  
الى من سيق الى هذا الجانب ، ومن سينتقل الى الجانب الاخر من  
التاريخ الثورية " . فقد كانت السألة آنذاك تحدد بالسؤال : " هل  
سيتمكن الصهاينة والقوميون اليهود الاخرون (بتأثير الاسامية ) من  
تحويل الشئيلة اليهود في كل بلد ، حيث عاش اليهود ، الى عنصر  
" يسمي اختلاط الدمى وعزلته " ، الى احتياطي للبورجوازية ،  
وقاعدة لشبكة عملاء للمبريالية ، او هل ستكون الحركة الثورية  
والتضامن الاسمي اللبتي للشئيلة في نهالهم ضد العدو المشترك - طبقة  
الاستنمرين - حبر عنزة في طريق مثل هذه المحاولة ؟ وبكلمة اخرى ،  
كانت القضية في كل بلد مدركة على نتيجة تصارع قوى الثورة والثورة  
المنادة \* (١) .

ولدى البلاشفة الروس ونائين تؤكد ان الصهاينة تانوا في السرب الانلية  
على الجبهة المقابلة من خط المواجعة . وانهم كانوا خلفاء لجميع  
اصناف البورجوازية وممثلها المسكربين وحتى اولئك الذين كانوا  
يشاركون في تناليم المذابح ضد اليهود : " لقد اشترك الصهيونيون  
بمكومات دينيكين ، والقائد سكوروبادسكي وبتيليبورا المزعومة وقاموا  
باعدال نشيدة من اجل خلق الفمائل العسكرية الصهيونية التي شهت  
السلاح في وجه السوفيات . ونشير هنا الى انه با بين ١٩١٨ و ١٩٢١ ،  
نظم اتباع دينيكين ، وبتيليبورا ، وبولاك - بولاخوفيتس ، واتباع  
ماخ ، (١٥٢٠) مذبحه عذب وقتل فيها عشرات الالف اليهود " .  
ولكن السداء للثورة الروسية وكذلك قتل اليهود " لم يسرقل مطلقا  
التماطف الفكرى والاقتصادي والسكرى لقادة الوكالة اليهودية الدالية  
مع هذا النشاط \* (٢) .



لقد وعد مؤلف "دراسات يسارية" منذ البداية انه سوف يقوم بعملية  
تصحيح للتاريخ اليهودي - "اعادة الناز من جديد في المفاهيم  
السائدة حول اليهود وتاريخهم .. بقية تعديلها بصورة تجعلها اقرب  
الى واقع الامور" (١). والحال ان ما فعله ، كما رأينا أنه متحدث  
عن تاريخ لليهود في القرن التاسع عشر غير تاريخهم الاجتماعي  
والسياسي ، فقد تصور صراعا طبقيًا واثوميا بين يهود وغير يهود لم  
يحدث إطلاقا <sup>فيهم</sup> الشرب كانوا في الواقع مندمجين تماما مع جبهة  
القوى الصاعدة التي أنشأت في اوروبا الدولة القومية البورجوازية  
والديمقراطية البورجوازية . ولم يظهر الابطال الثوميون المزعومون ،  
المهاينة ، الا في نهاية المطاف ، ولكي يرضوا خدماتهم على مساهمة  
الدولة القومية البورجوازية ، وعلى وجه الخصوص لكي يبدوا استعدادهم  
لتقديم الخدمات السياسية والعسكرية خارج القارة الأوروبية .  
اما في الشرق ، حيث يوجد اكثر من نصف يهود العالم آنذاك والذين  
كانوا برمتهم تغريبا منحازين الى مسكر القوى الاشتراكية الجديدة ،  
فقد كان المهاينة يتفنون على خط المجابهة في الجبهة الاخرى ضد غير  
اليهود واليهود على السواء .  
ولا مجال هنا للتلاعب بالاثارة ، ففي نفس الوقت ، عندما كان اليهودي  
البلشني الروسي تروتسكي يفود الجيش الاحمر لاسقاط القيصرية بهدف  
تحرير جميع المدثومين من اليهود وغير اليهود ، كان الابطال المهاينة  
يقدمون الخدمات كمرافقين لتلك الجيوش التي ارسلتها دول الرأسمالية  
الشرقية للتدخل ضد الثورة البلشنية . ولا يوجد لدى المهاينة سوا  
يدافعون به عن انفسهم في تلك اللحظات الحرجة من التاريخ ، اقيموا  
الدنيا وأقصدوها . لا تجعلوا احدا يسرف الحقيقة من الباطل . قولوا  
عن الابيض اسود وعن الاسود ابيض . " انشروا الخبر على نطاق واسع  
بين يهود مناضلكم ، وأقيموا الاجتماعات الشعبية ، واتخذوا القرارات ،  
(١) (١) دراسات يسارية - المصدر السابق ، ص ١٠

أبرتوا . ميركاز " . هذا هو نزع برقية لجنة بتروغراد الصهيونية  
الى لجنة كييف في ١٧ تشرين الثاني ١٩١٧ ، تزف اليها النبأ  
السيد " وعد بلفور " . وتطلب تسميم الخبر على جميع يهود  
روسيا واقامة الاعراس . وكان هذا ، كما يتول اينانوف ، " في نفس  
فترة الشروع السلمي بالمحادثات بين الانكليز والسكرتات الامبريالية  
الاخرى حول التدخل المسلح ضد الجمهورية السوفياتية الفتية " (١) .  
فلدى الشكوب ونائق تؤكد ان الصهيونية ليست " السألة الوطنية " (٢) .  
للبورجوازية اليهودية أو للشعب اليهودي ، ولكنها في التاريخ  
والنائق كانت تحمل كجهاز سياسي وأمني يعمل على تطلاق دولسي  
ويقدم خدمات حربية .

---

(١) - احذروا الصهيونية - المصدر السابق - ص ٧٥

(٢) - دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ٨٩

يجب اولا أن توجد الامة

ان البضاعة الثقافية عن " قومية يهودية " او " قومية بورجوازية يهودية " وهي التي جرى ترويجها في اسواق الايديولوجيا السرية في السنوات الاخيرة ، كانت قد عرضت قبل ثلاثة ارباع القرن في اسواق اوروبا . والذين يمنهم الامر ، ابطال الصراع السياسي والايدولوجي كانوا آنذاك قد صنفوا هذه السلسلة وسجلوا اوصافها وكشفوا عن نوية المصانع التي كان لها مصلحة في تدميرها ولربحها في السوق اليهودي في ذلك الزمن . وبالنسبة لأولئك المتحمدين أشار الجدل الى أن المسألة بسيطة وتتم عن ظهر قلب : فلكي توجد القومية يجب اولا ان توجد الامة ، ولكي توجد الامة يجب اولا ان توجد ارض الامة ولتلك الامة وايضا ونذا ضروري تاريخ الامة . اى انه يجب ان يكون قد مر على هذه الامة تاريخ مشترك اقتصادي وسياسي وثقافي لكي تشر في الوقت المناسب ، او في الاوقات الصعبة على الاقل ، ان تتألمها مشتركة وان روحها الجماعية موحدة .

ومنذ وقت مبكر ( ١٩٠٣ ) شن لينين هجوما على حزب العمال اليهودي الروسي " البوند " ، لان هذا الحزب تبني " فكرة امة يهودية " . فقد كتب لينين : " ومن سوء الحظ ان هذه فترة صهيونية خاطئة تماما ورجسية في جوهرها " . واستشهد لينين بالسؤرخ الروسي اليهودي كارك كاونسكي الذي أكد ان اليهود قد كفوا " عن الوجود كأمة " ، هي التي لا يمكن ان يقوم لها كيان بدون ارض " . فالتمريف المللي " لمفهوم القومية " عند كاونسكي يقتضي وجود شرطين " الدنة والارض " . وبما شرطان تفتقدهما القومية اليهودية المزعومة . ويتابع لينين ويحو يستشهد بالكاتب الاشتراكي الفرنسي الفريد ناكيه : " وهذا ما كتبه ايضا بحرف يهودي فرنسي ، الراديكالي الفريد ناكيه ( في صحيفة باريسية ) في جداله مع اللاساميين والصهيونيين . فهو يقول عن

برنار لازار الصهيوني المعروف ، اذا كان حلا لبرنار لازار ان يعتبر نفسه مواطنا من شعب خاير ، فهذا شأنه . اما انا فاني اصح ، انا الذي ولدت يهوديا .. بانني لا اعترف بقومية يهودية .. وليس لي تومية غير القومية الفرنسية .. بل يشكل اليهود شعبا ؟ انني احيى ، وبذلك بالرغم من انهم شكلوا شعبا في ماضي انهم منذ عهد بعيد ، جوابا قاطعا كلا . \* فالشعب يستلزم مقدما عدة شروط غير متوفرة هنا . لا بد له اولا من ارض يتطور عليها ، ولا بد له ، في ايامنا هذه على الاقل ، وبانتظار الاتحاد العالمي الذي سيوسع هذا الاساس ، من لغة مشتركة . والحال ان اليهود لم يعد لهم من ارض ولا من لغة مشتركة . ولا اعتقد انني احيى شيئا جديدا ، اذا قلت ان برنار لازار ، مثله منلي ، لا يعرف كلمة واحدة من العبرية ، وان الصهيونية ، اذا تيسر لها النجاح ، ستواجه كبر العرج في التفاهم مع مشايخها من الاجزاء الاخرى من العالم . \* . ان اليهود الالمان والفرنسيين متمايزون تماما عن اليهود البولونيين او الروس . واذا سمعنا لانفسنا ان نزع مع دريمون ( من زعماء الحركة الاسلامية في فرنسا ) ان اليهود يشكلون امة فان هذه الامة ستكون ممتلئة \* (١) .

وفي ١٩١٣ كتب لينين في رده على اولئك الذين كانوا ينادون بالاستقلال الذاتي القومي الثقافي ليهود روسيا . واستشهد ايضا بالمؤرخ كارتسكي \* ان يهود غاليسيا ( منطقة مشتركة بين روسيا وبولونيا ) وروسيا هم طائفة اكثر منهم امة ، والمحاولات المبذولة لتأسيس الصناعة اليهودية في امة محاولات تكريس لطائفة \* (٢) . ومفهوم بالطبع مني ان لينين كان يتحدث عن اكثر من نصف يهود العالم حيث المئتان الوحيد الذي كان لليهود فيه وجود اجتماعي محسوس .

(١) - لينين - نهوض حول المسألة اليهودية - ترجمة جورج طرابيشي -

دار الطلبة - بيروت ١٩٧٢ - ص ٣٥ - ٣٦

(٢) - المصدر السابق - ص ٤٩

وفي عام ١٩١٣ ايضا رد لينين على ليمان من قيادة " البوند " ، غوته  
بانه غير اشتراكي بل " بورجوازي صهير تومي النزعة " ليجرد ان ليمان  
هذا حاول ان يجادل في مسألة اندماج الشمال اليهود في وحدة واحدة  
مع عمال جميع القوميات في الامبراطورية الروسية آنذاك . فقد كتب  
لينين " من اصل الملايين المشرة والنصف من اليهود في العالم قاطبة  
يمس ثراثة النصف في العالم المتحدن ، في شروط احد أقصى من التمثلية  
( الاندماج ) ، بينما يعيش يهود روسيا وغاليسيا ، التسماء ، البرفقون  
المحرومون من الحقوق ، المسجوقون من قبل " المئة السود " ( حزب  
القيصر ) الروس والبولونيين ، يعيشون وخدم في شروط أدنى من  
" التمثلية " وحد أقصى من الخصوصية ، الى حد فرض " منطقة اقامة يهيرة " .  
على اليهود ، والى حد تعيين " معدلات ونسب مئوية " لدخول المدارس ،  
" ان اليهود في العالم المتحدن لا يشكلون امة . فهم قد تمثلوا اثر  
من غيرهم كما يقول كاوتسكي و أ . باور . ويهود غاليسيا وروسيا لا  
يشكلون امة . فهم ما زالوا لسوء المنطاطافة ( لا بجزيرتهم بل بجزيرة  
المئة السود ) " . " فلام يدل هذا ؟ انه يدل على ان اولئك الذين  
يقيمون الدنيا ويتمدونها على " التمثلية " [ يقصد الصهيونيون الذين  
يرفعون شعار عدم الاندماج ] انما هم فقط اليهود البورجوازيون الصغار  
الرجميون الذين يريدون ان يحكموا اتجاه سير عجلة التاريخ ، لاسن  
نظام روسيا وغاليسيا ( الانتطاع الرجمي ) باتجاه نظام باريس ونيويورك  
( البورجوازي الديمقراطي ) بل بالاتجاه المماكن (١) أي ، عمليا ،  
المماكن لسير التاريخ التقدمي .

وفي ١٩١٣ ايضا تعدى ستالين ، من قيادة الحزب البلشفي الروسي في  
كتابه " الماركسية والمسألة الوطنية " ، لدعاة الامة اليهودية من  
الصهيونيين . حيث يصف الامة تمريفا ماركسيا ، وهو ما يزال التمريف  
الماركسي الرسمي للامة ، يستبعد اليهود نهائيا من الطساره . فالامة

" هي جامعة اناس نابغة تألفت تاريخيا ، نشأت على اساس اللذة والارض والحياة الاقتصادية والعناصر النفسية التي تتجلى في جامعة الشناعة " وهذا التحريف البسيد والواضح ، كما يقول ناجي علوش ، " ينفي نفيًا قاطعًا امكانية وجود امة يهودية ، لعدم توفر كل الشروط الواردة فيه لليهود . فاليهود ليسوا جامعة اناس نابغة . ولا تربطهم جامعة لغة وارض وحياة اقتصادية وحقائق نفسية " (١) ، وقد رد ستالين على بعض العلامات الثانوية في حياة الامة ، وهي ما يتستر به الصهيونيون ، مثل "وحدة الدين" و " الاصل المشترك" ووجود " دولة يهودية " قبل الف سنة في فلسطين . وكذلك بعض الدتوس الدينية عن " ارض الميعاد " و " المسيح المنتظر " فقال : " كيف يمكن الكلام جديا عن ان الدتوس الدينية الجامعة ، والبقايا السيكولوجية المتبخره تؤثر على مصير اليهود المذكورين ( يهود مختلف البلدان ) تأثيرا اقوى من تأثير الوسط الاجتماعي - الاقتصادي والثقافي التي الذي يحيط بهم " (٢) . فقد اكد ستالين ان الارض هي " العمود الفقري للامة " وهي " السوق الوطنية " ايضا . وحول ما اذا كان تخصيص منطقة خاصة يجمل من اليهود الروس امة ، رد ستالين بقوله : " الثانية قبل كل شيء " ، هي ان اليهود لا يملكون فئة واسعة مستقرة ، مرتبطة بالارض ، توطنت الامة توليدا طبيعيًا ، ليس فقد كمودها الفقري ، بل كذلك كسوقها الوطني . من الخمسة او الستة ملايين من اليهود الروس ٣ أو ٤ في المئة فقط مرتبطون بشكل ما بالزراعة . وال ٩٦ بالمائة من الباقين مشغولون بالتجارة والصناعة وفي مؤسسات المدن ، ويميشون في المدن بوجه عام ، وعلاوة على ذلك فهم مبسرون في روسيا ، ولا يشكلون الاكثرية في اية مقاطعة تانت " (٣) . دلالة هذا كله ان اى حديث عن الطبقة البورجوازية القومية والسوق البورجوازية القومية خارج اطار وجود الامة او المجتمع المدني الواحد انما هو حديث اقرب الى التصور اذا لم يكن الى التوهم . فالبورجوازية

(١) - علوش ، ناجي - الماركسية والمسألة اليهودية - دار الطليعة -

بيروت ١٩٦٩ - ص ٤٠

(٢) - المصدر نفسه - ص ٤١

(٣) - = = = - ص ٤٢

وبالتحديد البورجوازية - الأمة - القومية ، هي - وأنا النقيض  
 البارزات بين مزدوجين عن البيان الشيوعي - - تطور يحصل في مجتمع الأمة  
 " داخل المجتمع الاتصافي " على وسائل الانتاج والتبادل ، وعند حد معين  
 من هذا التطور يصبح " التنظيم الاتصافي للزراعة والصناعة " ، وهو نظام  
 القناة والسخرة والعبودية الذي يشمل الزراعة والسرف ايضا ، غير قادر  
 على استيعاب القوى المنتجة في تقدمها المتطرد . وهكذا يصبح نظام الملكية  
 الاتصافي في الأمة مهيئا لتطور الانتاج والتبادل . ويتختم عند هذه المرحلة  
 تحلیم هذه القيود والتحول في العلاقات الاقتصادية الى نظام " المزاحمة  
 الحرة " التي يرافقها ويحميها " نظام اجتماعي وسياسي يناسبها " وهو  
 نظام الدولة البورجوازية القومية . فكلمة السرف في التطور نحو  
 البورجوازية هي " المزاحمة الحرة " حيث تتبلور انطلاقا منها " السيرة  
 الاقتصادية والسياسية للطبقة البورجوازية " .  
 استنادا الى هذه الوقائع البسيطة والمألوفة عن الطبقة البورجوازية  
 القومية والسوق البورجوازية القومية ، فان من يشرع في القراءة في  
 كتاب " دراسات يسارية " حول هذه المناهيم لا يمكن ان يتخلص من الشعور  
 وكأن الدكتور المذموم يتحدث لغة اصطلاحية غامضة لا تنطبق على ما هو  
 مألوف . فما معنى القول مثلا " وبما انه لم يكن بالامكان توفير مثل هذه  
 السوق الوطنية اليهودية في اوربوا اتجهت الانظار الى الخارج " (١) فهل  
 يعقل مثلا ان تكون الطبقة البورجوازية مثل مجموعة من التجار ، والسوق  
 القومية او الوطنية مثل صف من الدكاكين ، بحيث يمكن نقل هذه السوق  
 واقامتها في اى مكان ؟ ان سر الطبقة البورجوازية لا يتضمن في السلسلة  
 التي تبينها بقدر ما يتضمن في السلسلة التي تشتريها . ان البورجوازي  
 ، المالك ، يشتري من السوق ، سوق المزاحمة الحرة ، السلسلة الرئيسية  
 التي تسبب ثرائه وهي قوة العمل " ولذلك فهو يناضل ضد العلاقات البطريركية  
 والاتصافية بهدف تحرير قوة العمل من القيود التي تعجزها لكي ينسحق له  
 استثمارها . وهذا هو القاسم المشترك بين البورجوازي والفلاح والسائل ،

الذي يتخذ رمزا ايدولوجية مثل كلمة الوطن او " حرية ، مساواة ، انعام " وما شابه ذلك . فالسوق هي مكان للتبادل ، وهي للشراء اكثر مما هي للبيع . انها تحول في العلاقات مسرحه الامة باسرها وارس الوطن بتأملها . فالديكتة البورجوازية الصاعدة عندها توجه نداميا بـ " توحيد ارض الالباء والابداد " تنفي ، اقتصاديا ، ان على الارض رعا تحتها وما فوقها من ثروات ومناجم ، وجميع وسائل الانتاج ، وكذلك قوة العمل في المقدمة ، ان تدخل كلها الى نظام السوق الذي يشمل بموجب قانون " العرض والطلب " او " المزاحمة الحرة " . ولم يسمح احد ان " توحيد ارض الالباء والابداد " يمكن ان يجرى في قارة اخرى ، كما تمور مؤلف " دراسات يمارية " ولم يسمح احد ايضا ان ارض الالباء والابداد يجرى " توسيعها " تحت لواء الدعوة التومية . كما لم يسمح احد ان التوسيع البورجوازيين يوجهون خطابهم الايدولوجي لامة بيئة لنة او على وجه التحديد بـ ٨٥ لنة كما هو حال لنة الاصل بالنسبة للسادة الصهيونيين . واعتقد ان الدكتور عبدالوهاب المسيري على حق عندما لاحظ ان حديث الدكتور المذموم من وجود ديكتة بورجوازية يهودية تنتشر لنفسها عن سون قومية يهودية " خارج القارة الاوروبية " لا يوجد له ما يبرره في الوقائع الاقتصادية . وهذا ما جعل الدكتور المذموم يستند على اقوال الصهيونيين بهذا الخصوص . فقد كتب المسيري : " والتاريخ ان الدكتور المذموم لم يدعم مقولته المحورية هذه .. بتحليل المتأنيق الاقتصادية الخاصة بالبورجوازية اليهودية ، وانما دعمها بالانتباس من كتابات المهائنة . وهي الكتابات المليئة بالارباب عن الذات " (١) . ولما كان الامر هكذا ، فقد تحتم اذن ان يساوى الدكتور المذموم بين الشعار القومي البورجوازي " القضاء على التبشر الذي تركه الانتاع " وبين الشعار الصهيوني " القضاء على التبشر اليهودي " في مختلف البلدان ، وهذا بالفعل مفارقة غريبة . لان اشخاصا مثل دافيد بن غوريون ( ليتوانيا ) ، وابا ايبان ( جنوب افريقيا وغولدا مائير ( امريكا )

(١) الايدولوجيا الصهيونية - ج ٢ - المصدر السابق - ص ١٦١ - ١٦٢



ويابوتنسكي (روسيا) ، ومنام بيچن ، (بولونيا) ، ودايم رايويزن (انجلترا) .. وملجرا ، ان اشخاصا كهؤلاء خارجيين في الحقيقة والواقع عن الارادة الوطنية لاولئهم وكانوا في الحقيقة والواقع يمثلون مع الدوائر الاستعمارية الكبرى في اوربا من اجل مصالح تلك الدوائر بالدرجة الاولى ، لا تنطبق عليهم تلك الصور الروسنتينية او الشعاعية البهيلة التي تريد الانسان فضلا بوطنه ، خاصة عندما تتم بشكل تسري ، كما فعل الدكتور السلم ، عملية ربط مشاعر مثل هؤلاء باربرقلسليين " بالتحديد " او ان يقال عنهم انهم لا يشعرون " بالراحة الحقيقية الا فوق ارضهم " اورارضهم " الموعودة " .. وهل يمكن مثلا ان يكون نشيد " بلاد السرب اولاني " مثل نشيد يابوتنسكي " لنهر الاردن مفتان ، ضفة لنا ، والشفة الاخرى ايضا " (١) او مثل نشيد " الهاتنا " ثم يقال ان مثل هذه الاناشيد التي ينشدونها مواطنون اوربيون ( يهود ) هي اناشيد وطنية لا تختلف عن اناشيد الانريين ؟

#### قراءة قومية في ايدولوجيا غير قومية

قال رودنسن : " والصهيونية هي حركة ايدولوجية واسعة المدى .. ولقد تآمت دائما متعددة الاشكال وشملت نزعات كثيرة متنافرة . كما نلاحظ من اقل نظرة الى تاريخها .. والى الشيع والانقسامات التي ولدتها والسادك المستمرة في داخلها " . (٢)

بالنسبة لعالم اجتماع مثل رودنسون لا يلزم من اجل فهم الايدولوجيا الصهيونية اكثر من القاء نظرة خالفة " اقل نظرة " حتى تكون مفهومة تماما . وبالنسبة ، شرط ان تكون النظرة واقعية ، غير متحيزة ، ويسدون شروط سابقة . وعند ذلك تاتر الايدولوجيا على حقيقتها " متعددة الاشكال وشملت نزعات كثيرة متنافرة " وهذا امر في غاية البساطة والبداية ، لان الايدولوجيا الصهيونية لا تمثل امة واحدة ولا قومية

(١) منصور ، كميل - الصهيونية المستحدثة - مركز الابحاث -

بيروت - ١٩٧١ - ص ١٢

(٢) رودنسون ، مكسيم - اسراييل ، واقع استعماري ؟ ترجمة احسان المنصفي

منشورات وزارة الثقافة .. دمشق ١٩٦٧ - ص ١٥ - ١٦

واحدة ولا سوقا اقتصادية واحدة ايضا .

فالايديولوجيا الصهيونية كان لها هدف رئيسي : حشد الانتصار من اجل بناء مستعمرة يهودية خارج القارة الاوروبية - فلسطين في نهاية المطاف . ولما كان الايديولوجيون الصهاينة ينتسبون الى يهود مختلف البلدان وكانوا مشبعين بمختلف الثقافات الوطنية في البلدان التي يعيشون فيها ، لذلك استعاروا من هذا الفضاء الثقافي الواسع - اذا صحت التسمية - الابتكار التي لامت استبداد ومزاج كل واحد منهم بحسب ما هو مهيأ له .

عندما افترض الدكتور السلام ان الصهيونية ( الايديولوجيا ) هي الفكر السياسي للبلدية البورجوازية اليهودية ثم جاء يقرأ في النصوص من هذه الايديولوجيا ، في محاولته للبرهان على صحة افترائاته ، أتت النتائج متوافقة مع الافتراضات . فقد انظر انصباماً مع البيان الفكري لاراء أن يقرأ النصوص بطريقة انتقائية . وهذا ما فعله في الواقع عندما شرع في قراءة " النصوص الاساسية " للصهيونية في كتاب " الفترة الصهيونية " فقد تجنب التارق الى اتجاهات فكرية اساسية في الصهيونية مثل الاتجاه الاشتراكي والاتجاه الديني . فلم يستشهد باى ايديولوجي رلم يقتبس اى ندم من هذه الاتجاهات ، ويظهر انه قد اضل ايضاً ، كما سأوضح الى الانتماء من الخطاب الواحد ما يقدم البرهان على الاتجاه القومي البورجوازي والتنافي عن الانتماء الاخرى في الخطاب ذاته مما يؤكد الاتجاهات الفكرية الاخرى .

فمثلاً ، حذف عن اعتباره فكر زعيم الاتجاه الاشتراكي الصهيوني ، دوف بيروروشوف ( ١٨٨١ - ١٩١٢ ) . فقد كان بوروشوف ماركسياً ، او هو على الاقل كان نفسه كذلك . وكان قد انضم لمدة قصيرة الى الحزب البلشفي الروسي . وهو مؤسس حركة عمال صهيون الروسية ( بومال صهيون ) التي اصبحت حركة عالمية وكان لها تأثير سياسي ملموس على سير الحركة الصهيونية . وقد كتب اسد رزون ان " الدور الايديولوجي الذي ساهم

به بوروشوف في الحركة العمالية الصهيونية يقوم على محاولة وضع  
نظرية صهيونية على أساس من المادية الديالكتيكية . لذا حاول  
استخراج تلك العناصر من كتاب كارل مارتس " راس السال " التي تؤيد  
وجهة نظره ، ويضيف اسمد رزوي " في برنامج حركة عال صهيون  
( برنامجنا ١٩٠٦ ) نجد بوروشوف يدعو لتشكيل صهيونية بروليتارية  
تكون بمثابة النواة والاداة التنفيذية لمطامع الصهيونية " . وعند  
كان لتعاليم بوروشوف ابلغ الأثر في اشتراكية الانزاب الصهيونية في  
اسرائيل . فالمايام والماباي وأحدوت ماغفودا تستمد الكثير من  
افتكاره وتعمل على وضعها موضع التنفيذ . يعتبر ، الى جانب حايم  
ارلوزوروف وآرون دافيد غوردون ، من أهم مصادر الاشتراكية الصهيونية  
لدى الانزاب الاشتراكية القائمة حاليا <sup>(١)</sup> . ولم يخطر في بال بوروشوف  
ابدا ان الحركة الصهيونية هي حزب للبورجوازية اليهودية بل حزب  
للبروليتاريا اليهودية وحدها او للبروليتاريا والبورجوازية  
السنيرة التي سوف تتحول بدورها الى البروليتاريا . فقد كان ينظر  
الى " البورجوازية اليهودية العليا " اي اصحاب بيوت المال والسماف  
في الشرب باعتبارهم مندسبين مع اقربائهم المسيحيين ويتوسون باعمالهم  
على نطاق عالمي ( امبريالي ) لا قومي . فقد كتب : " ولان البورجوازية  
الكبيرة لا تدبر نفسها في السوق المحلية لا يمكن اعتبارها ذات مشاعر  
قومية بأي شكل من الاشكال ، فهي ذات نظرة عالمية صرفة .  
ان البورجوازية اليهودية تجد ان خدمة مصالحها يمكن ان تتم بافضل  
شكل عن طريق الاندماج " <sup>(٢)</sup> كما اخرج " البورجوازية الوسطى " من دائرة  
السمل من اجل ما يسميه " الانتماء اليهودي " . والذي كان يعني  
بالبورجوازية الوسطى هي الاقلية الشبارية البورجوازية في روسيا  
واوروبا الشرقية في المجتمعات اليهودية وكان يرى ان موقفه هذه  
(١) - الفكرة الصهيونية - النصوص الاساسية - ترجمة لطفي الدايد  
وموسى عنز - تعريف الدكتور اسمد رزوي - مركز الابحاث -

الطبقة يظل يعلق بالسكان على مصالحها حيث هي الا اذا تعددت هذه السامات بشان مدى من جانب النزعات الاساسية ، هذه السامات اذا استطاعت هذه الطبقة ان تنجح في الانتفاذ بمرئزها كطبقة متوسطة ، وطالما ان السامات والمزول المفروس من الاساسية لا يؤثران على مصالح افرادها السامية ، يبال اصحاب هذه الطبقة يرتزون مصالحهم السياسية في بلاد المنفى ، وكذلك مصالحهم الشخصية تبقى خارج الدائرة اليهودية " . ويكلم اخر - اناف بوروشوف - ما دامت البورجوازية اليهودية المتوسطة تحتفظ بمرئزها الانتمادي فانها الف عد لا تهتم بالمسألة اليهودية " ان ملأه هذه الطبقة يمكن في رايه ان تسم " الى درجة معينة " في الحياة اليهودية ولكن الطبقة المتوسطة ، بشان عام ، لا يمكن ان تشكل اساسا لمركبة الانتفاذ اليهودي " (١) .

لقد وضع بوروشوف كل امله في الطبقة اليهودية البروليتاريكية واعتبرها الطبقة الوحيدة القومية والطبقة الوحيدة التي سيمسول عليها في بناء الحياة اليهودية الجديدة في فلسطين . غتتبه " ان قومية الطبقة التقدمية الحقيقية - قومية البروليتاريا الثورية المنظمة للشعوب المتضطهدة - تبرز عن نفسها من خلال مطالب ثورية ومحدودة تنجسد في برنامجها الأدنى من اجل تأنييد ظروف الانتفاذ الانابيسية لامة وكذلك لتأمين قاعدة طلبية لعمل البروليتاريا وللتنال الدبقي " (٢) . وبالنسبة لنا نحن البروليتاريين الصهيونيين فان لهذه الطبقة اعميتين اثنتين : اولا ان البروليتاريا اليهودية قد بدأت تأخذ المالبات اجتماعيا مميذا عن المجموعة الكبيرة منذ وقت قليل ( ولهم البروليتاريا اليهودية يجب تحليل البورجوازية المتفيرة بشكل صريح لانها تشكل مورد قوتها البشرية ) .

(١) - المصدر السابق - ص ٢٤٨ - ٢٤٩

(٢) - المصدر نفسه ص ٢٤٥

ثانياً ، تشتت جماهير المهاجرين المختلفة عن البورجوازية الصغيرة والبروليتاريا - المستقبل ، الممدر الرئيسي لليهود الذين سيمملون من أجل إعادة الحياة الدلبيية لليهود " (١) .

لا صهيونية الا الصهيونية البروليتارية ولا صهيونية الا الصهيونية الاشتراكية . يقول بوروشوف : " والصهيونية لا يئذن ان تتحقق اذا لم تتحقق الصهيونية البروليتارية . ان البروليتاريا اليهودية بحاجة للنورة اكثر من غيرها " " ان هدف الصهيونية النهائي نبي فلسطين هو ايجاد عظم سياسي اغليبي ذاتي . وبالنسبة للبروليتاريا اليهودية ، فان ذلك يشغل خطوة نحو الاشتراكية " (٢) . بهذا فكمبر بوروشوف ومن أجل أهداف صهيونية غير بورجوازية عدل ونظم . وازاحة اقتدار بوروشوف جانباً يعني علينا ان نلغي الى البحر باحدنا

التيارات الايديولوجية الرئيسية في الحركة الصهيونية والتي كان لها اثر كبير على تنافس وتأسيس المستوطنة اليهودية في فلسطين اعتباراً من مطلع هذا القرن وحتى بناء الدولة في ١٩٤٨ على الاقل . في الصهيونية كان بوروشوف ايديولوجي مؤسس ، وفي تاريخ الحركة الصهيونية كان يمشد تياراً سياسياً له وزن كبير . وقد قال رودونسن ، " ان الجماهير التي كونت القوة الدية للحركة الصهيونية والتي بدونها لم يكن بمقدور المناداة ان توفر لنفسها قاعدة واعية ، كانت مشبعة بالسند الاشتراكية بضمن . تلك السند التي تتدارس تدارساً شديداً مع المناهيم الهرتزية " (٣) .

وكان الدكتور العالم قد قيد نفسه بشذرة مسبقة تقول ان " الدعوة الصهيونية ، بافتقارها وبراميتها ، اشرب بذكر الى المعوقات القومية الألمانية المحتوى في البلقان وألمانيا منها الى التوراة والتلمود " . وانها " تشكل خروجاً صريحاً عن الدين اليهودي " (٤) . لذلك كان لا بد

(١) - المصدر السابق - ص ٢٤٩

(٢) - المصدر نفسه - ص ٢٥١ - ٢٥٢

(٣) - اسرائيل واتح استعماري ؟ - المصدر السابق - ص ١٠١

(٤) - دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ١٢٦ - ١٢٧

ان ينسب النار عن اية اغتدار قد تشويع الصورة اللاذنية لاخرتيسة  
المهيونية . وهذا هو السبب ، كما ان ، الذي يحمله يعتبر الاتجاه  
الديني في الصهيونية وثأنه غير موجود . هذا مع العلم ان الاتجاه  
الديني ، في الفكر والسياسة ، هو من الاتجاهات الاساسية في الصهيونية .  
وسأنتهي هنا بالاشارة الى احد المؤسسين الدبار للتيار الصهيوني  
الديني واحد زعماء حركة المزراحي الدينية العالمية ، وممثل الكتلة  
الدينية في اول كنيسة اسرائيل يصدق بعد تأسيس الدولة اليهودية في  
تلسلين . وهو المناخام ماير بار ايلان ( ١٨٨٠ - ١٩٤٩ ) وهو ايضا ابن  
المناخام وعالم التلمود نفتالي تيزني يهودا برلين ( ١٨١٢ - ١٨٩٢ ) .  
ربا اعتبره مناخام ابن مناخام لذلك كانت صهيونيته متعينة النهاية ،  
\* حارب النزعات المعادية للصهيونية لدى المتدينين للدين ، كما  
حارب الاتجاه الدلاني لدى الكثيرين من الصهيونيين . وكان يرى  
\* ان اليهودية لا تعترف بدولة تبتهد عن شؤون الدين . وكان يستند  
\* دولة المستقبل " تقع في التناقض فيما لو حاولت " الفصل بين الدين  
والدولة " (١) . كتب في ١٩٢٢ : " عندما يصبح لنا دولة ويحاول اي شخص  
ان يشمل الرئيس عن الدولة ، فانه لا يذون قد احدث انتمالا بل تقاتلنا .  
من يقول : لنترك رجال الدين يهتمون بالقضايا الدينية وان يبنوا  
بسيما عن شؤون الدولة ، يذون تمن يقول : لنقسم التوراة الى اجزاء ،  
نقبل منها الاجزاء الصغيرة المتعلقة بالقضايا الروحية والاغلبية ،  
ونفصل عن القسم الباقي المتعلق بالامارات والاعمال اليومية ونستبدله  
بتوانين جديدة " . " اننا نؤمن بان ليس هناك من بديل للتوراة  
وبان لا توجد هناك اية وسيلة لتوحيد جميع مذاهب وثقات الشعب  
اليهودي في دولة متجانسة سوى اعادة احياء كل جانب من حياتنا على  
اساس ترائنا من التوراة " (٢) . وهذا الاتجاه الديني المتشدد هو

(١) - الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ٤١٨

(٢) - المصدر نفسه - ص ٤٢٠ - ٤٢٢

الذي اعجب السماع السياسي الألماني الذي يتولى القيادة في دولة اسرائيل . لذلك جعلوا من السامخام بار ايلان رمزا من رموز الدولة . جادلوا اسه على عدد من المؤسسات والهيئات البارزة في اسرائيل رسميت باسمه " جامعة بار ايلان " . وتستمد دار السامخامية غربي اسرائيل ، وفي جهاز ايدولوجي ديني له سلطة شاملة على المجتمع نهجا التسببي في تدابير الشريعة على اليهود الاسرائيليين من تدابير هذا السامخام (١) .

اما في الشراء الانتقائية من العنقاب الواحد ، عند تشبذ الدكتور السامخام : " وكأي بورجوازي عادي في عصر توسع التجارة الاوروبية . الاستساري يتصور التالي انه بالاشد ان كل المثقلة الولانية اليهودية بشراء " الارض المقدسة " من النمانيين . اما الوسيلة العملية التي ينفذونها لتنفيذ الفكرة فهي الوسيلة التي ينفذونها بها كل رأسالي عادي : انشاء شركة تجارية لتقوم بشد الفكرة " .

" اما بالنسبة لئاليسر فاننا نجد اول تدبير ظهر لديه عن الفكرة وتبلورتها جاء في رسالة كتبها عام ١٨٣٦ الى رئيس فرع برلين لبنت روتشيلد ، شن له بان غلام اليهود ، عن طريق عودتهم الى وطنهم ، لن يتم بالوسائل النيبية والاعبازية سبب الاعتقاد الديني السائد بل عن طريق " الملل البابلية " وجهد الانسان وارادة الشروعات " (٢) .

( ويؤشر الدكتور السامخام انه اقتبس هذه النصوص من نسخة الاصل الانكليزية من كتاب " الفكرة الصهيونية " ومن المقتنين ١٠٦ و ١١٤ )

لا ادري كيف ورد تفسير الاسماء في النسخة الانكليزية التي اقتبس منها الدكتور السامخام باسم آراء " التالي " و " ئاليسر " الرأسالية ، والسلمانية والبورجوازية . اما الدكتور اسد رزون ، في النسخة العربية ، فيسمى التالي بانه هو السامخام يهودا التالي ( ١٧٦٨ - ١٨٢٨ ) . ويؤمن السرب ، ولد في اسرائيل ، وكان شغلا بصهيونية .

(١) - الدولة والدين في اسرائيل - المصدر السابق ص ٦٤ و ٧٤ و ٨٥  
(٢) دراسات يمارية - المصدر السابق - ص ٩٤

"جميع لتأثير نزعات "التبالة" ، في موفيتها وسبلها الشديد التي  
الخلولية وتنسيرا الرمزى لجميع الاعداد والخروف في التلمود " .  
اي انه تشريها فان ينهم العالم الواقعي بطريقة البد على اياها  
وقد نشرنا كراسا بعنوان " اسمي يا اسرائيل " دعى فيه الى انقاسة  
مفسرات يهودية في فلسطين ، ولتن الفترة التي دعى لها كانت  
منايرة للمفهوم الديني الشائع ، شرع يبحث عن تلك النصوص التي  
تبرهن على فكرة الخلاص الذاتي وتبررها " ، واستند في ذلك الى  
اسطورة يهودية فان الصهيونيون قد نالوا في زخرفتها والزيادة عليها  
وفي تناول ، بان المسيح الاول سوف يسبق يسوع المسيح المنتظر ويقتود  
اليهود " في خروب ياجوج وساجوج " لفتح فلسطين بحد السيف " . ويضيف  
اسد رزوي ، ان هذا الماخام " ادرك ضرورة الاعتماد على التأييد  
المالي والنفوذ السياسي لمشاريعه ، فراح يسافر الى الدواغم  
الاوربية ويوجه النداءات الى كبار المسؤولين اليهود ، امثال  
مرنتنبوري وآدولف كرىميو ، محاولا استنهازالهم في صليبية  
يهودية تسمى لخلال الارض المقدسة " (١) .  
والمنطقة ان الماخام القاري لم يفتقر " كأي بورجوازي عادي " ولا مثل  
" كل رأسمالي عادي " ، بل للرأسمالي المادي لا ينشئ شركات من اجل  
الانسان او مساعدة الآخرين وانما من اجل الربح و سبب . والماخام دعى  
الى انشاء شركة تذن شبيهة بجمعيات المحسنين يشترك فيها يسوع  
اليهود ومن اجل التبرع لمال اخوانهم . قال : " اني اسأل اخوتنا ان  
يندلموا شركة ، على غرار شركات التأمين وشركات السك الحديدية ..  
وعند اعادة تطبيق اسم اسرائيل على ارضنا سيتحمس اليهود اجابيين  
لمساعدة هذه الشركة بئذ وسيلة بملائونها " . ولم يفتقر الماخام التالي  
بتناديم اليهود لنا يفكر النظام السياسي البورجوازي او الرأسمالي .  
ولأنه كان يتصور تندايم دينيا كتمهيد لظهور المسيح المنتظر .



فقد قال : ان تنظيم " بسم يهودى عالمي هو في حد ذاته خطوة أولى للخلاص ، لانه من هذا التنظيم سيتكون مجلس حكماء يعتمد ، ومن مجلس الحكماء هذا سيظهر المسيح المنتظر ابن يوسف " . ولم يفتر القالي بالعودة الى فلسطين بهدف انشاء سوق تومية مثلا ، بل كان يتمور ان عودة اليهود الى فلسطين سوف تتيح لهم تطبيق الملقوس الدينية والشائر الدينية بشكل صحيح . فقد كتب : " وحتى قبل عودتنا الى الارض المقدسة التي اليها بسون الله سنعود ، يجب علينا اولاً تعيين حكماء كي يعملوا على مراقبة الومايا التي ستطبق ، وخاصة في الارض المقدسة ، من قبل قانون ترك الارض بورا في السنة السابقة ، لان النعم التي ستحل علينا من الارض تعتمد على ايماننا الذي يلزم هذه الفوائين (١) . وفي نفس الخطاب الذي اقتبس منه الدكتور المظالم بسم الاقتار التي تبها رأسمالية او بورجوازية ، يقول الحاخام يهودا القالي : " مكتوب في التوراة : " ارجع يا رب الى ربوات ألوف اسرائيل " (العدد ١٠/٢٦) وقد علق الحاخامون على هذه الآية في التلمود ( باموت ٦٤ أ ) بما يلي : انها تبرهن بان الشعوب بالخضور الالهي يتم فقط اذا تم وجود اثنين وعشرون الفا من اليهود معاً . ومع هذا نسلي كل يوم : " دع عيوننا تشاهد عودتك برحمة الى صهيون " ( صلاة السيدة - العبادة الصائفة - تحلى ثلاث مرات يومياً ) . فعلى من سيتبع الخضور الالهي ؟ على النبي والحجارة ؟ اذن كخطوة أولى لخلص نفوسنا يجب ان نسل على اعادة اثنين وعشرين الفا الى الارض المقدسة . فهذه تهيئة ضرورية لخلول دلالات غير معروفة (٢) ان الحاخام القالي ابعده ما يكون عن التصور السلي ، ومن البين هنا انه بالاحرى يتحدث لغة صوفية رمزية يمكن الرأسمالي ، البورجوازي . انه بالاحرى يتحدث لغة صوفية رمزية يمكن ان تكون مفهومة فقط من قبل رعيته الدواميين على الصلاة في الكنيس .

(١) - الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ١٢

(٢) - المصدر السابق - ص ١٠

اما الايديولوجي القومي البورجوازي الاثري ، . سبتتدير الدكتور السلام  
الذي كان يؤمن بان خلاص اليهود " لن يتم بالوسائل النيبية والاعبازية  
حسب الاعتقاد الديني السائد بل عن طريق الدلل الملبية " . وكتب ، أعني  
" كاليشر " . فهو الحاخام زفي ميرش كاليشر ( ١٧٩٥ - ١٨٢٤ ) . وهو  
بولوني وقد " بقي حاخاما طيلة اربعين سنة " . ثم ( ويكتب اسد رزوق  
ان هذا الحاخام " شدد على ابراز العلاقة بين اليهودي والارض المقدسة  
وغرب تحقيق الايمان بالمسيح السوعود " . وقد ورد في رسالة يست بها  
عام ١٨٢٦ الى كبير فرع عائلة روتشيلد في برلين : " ان بداية الخلاص  
سوف تأتي عن طريق اسباب ملبية نتيجة للجهد الانساني وعن طريق  
ارادة الحكومات لجمع شمل اسرائيل المبعثرة في الارض المقدسة " .  
واضاف الدكتور رزوق ، ان هذا الحاخام راع " يتنقل في البلدان  
الاوربية حرمنا مذانها اليهود على وضع اقتداره موضح التنفيذ " .  
وانه كان ينادي اليهود " بان الخالق سوف يبدل بيرم الخلاص المرتقب  
حين يرى اقبالهم على الذهاب الى فلسطين وتطوعهم للاستيطان هناك  
وبالتالي سوف يبارك حماسهم " وكان ايضا ، مثل القالي يدم رعيته  
بان استعمار فلسطين " يتيح لنا فرصة مراعاة الومايا الدينية " (١) .  
وفيما يلي النص التام حيث اقتبس الدكتور السلام دلالة البورجوازية  
من اسوال الحاخام كاليشر ، يقول هذا الحاخام في كتابه ( السلمي  
لصهيون ) : " عزيزي القاري : ان جانبنا الفكرة التقليدية القائلة  
بان المسيح المنتظر سينفخ بالبوق العظيم فترتد عنه كل الارض . بل  
على المكس ، فالغلاز سيبدأ بساندة المسنين وبكسب مواثقة الام على  
لم شمل بين الاسرائيليين في الارض المقدسة " . ثم يضيف : " عبر النبي  
أشعيا ( ٢٧ : ٦ و ١٢ / ١٣ ) عن هذا الرأي ، قال " في المستقبل ينأمل  
يسخوب . يزهر ويشرق اسرائيل ويعللون وجه المسكونة نمارا .. ويتنون

في ذلك اليوم ان الرب يجني من جبرى النهر الى وادى مصر . وانتم  
تلتفون واحدا واحدا يا بني اسرائيل . ويكون في ذلك اليوم انكم  
ينزبون ببوق عظيم فياتي التائبون في ارض آشور والسبيون في ارض  
مصر ويسجدون للرب في الجبل المقدس في اورشليم . اذن هذا يبين  
لنا الله ان ياتي اسرائيل سوف سوف لا يسودون من النفس كلهم معاً ،  
انما سيخلصون بالتدريج ، تماماً كما تجمع حبات القمح من السنايل .  
ويخبرنا هذا " في المستقبل يتأصل يثقب " في الاية المذكورة اعلاه  
ان الله القدير سيبدل هؤلاء الذين ياتوا اولاً - في بداية الخلاص -  
بمنابة البذور التي تزرع في الارض لتنتج اغصانا كثيرة " (١) .  
وهكذا ، فلنرى يتحول هذان المصاحمان الى مشترين قوميين بورجوازيين  
اظهر الدكتور العالم الى حذف الاقسام غير البورجوازية (الدينية) من  
خطاباتها . واخشى ان يكون قد شعر بالاحراج من لتبيينهما فلم يترك  
بهما حسب الاسلوب الذي يقتضيه اسلوب البحث العلمي والاكاديمي . لان  
" الكالاي " ليس هوية للمصاحمان يهودا القالي ، و " كاليشر " ليس هوية  
للمصاحمان زفي ميرس كاليشر ، كما ان الدكتور العالم قرأ في مصانفي  
اقوال هذين المصاحمين بطريقة غير موضوعية . ففي الرسالة التي وجهها  
المصاحمان كاليشر الى رئيس فرع بنك روتشيلد في برلين ، أوصى الدكتور  
العالم وكان المصاحمان يعلني دروسا ( " شرح له " ) لمدير البنك في " الملل  
الطبيعية " . بينما في التريمة التي قدمها اسد رزون للرسالة يفهم  
القارئ المعنى الحقيقي وهو ان المصاحمان قد حصلت لديه شائعة ان  
" بداية الخلاص " ، البداية وحسب ، يجب ان تأتي نتيجة الجهد الانساني  
و " الاسباب الطبيعية " ثم يتدخل الله بعد ذلك لمساعدة السامعين  
كما ان الدكتور العالم ، في تفسيره لسلافة يهود القالي بانريسا  
اليهود في النرب ، " العالم النربي " ، أوصى وثأن المصاحمان بنوى

ان يستغلهم لصالح مشاريعه او انه سوف يتشارك معهم على قسم المساواة . يقول الدكتور العظيم عن القاضي انه " كان يعلم جيدا ان تحقيق دعوته مرتبط ارتباطا وثيقا بمصالحهم واموالهم ونفوذهم السياسي " (٣) . بينما كان نهر الدكتور اسد رزوق يوحى بالمتن الحقيقي ، فالحاخام قال " ادرك ضرورة الاعتماد على التأييد المالي والنفوذ السياسي " . واستنادا الى هذا الادراك وجه نداءاته " محاولا استنهاض الهمم في صليبية يهودية تسعى لخلاص الارض المقدسة " وهذه لفظة نافذة من الدكتور رزوق ، لان الربان والقسس الذين داروا في اوربا للتجسس على الحروب السليبية كانوا يتألمون بدورهم كأيدولوجيين يسيرون عن مصالح قوى اجتماعية لها مصلحة في التوجه لغزو بلاد المسلمين وكانت تمويل السليبية برمتها المدن الايطالية البورجوازية التي كانت تعلم باعادة السيلرة على طرق التجارة الى الهند (١) .

وواقع الامر ان رجال الدولة ورجال المال في المواقف الاوروبية الثبيرة في الغرب ( روتشيلد ، مونتفيوري ، كريميو ، وآخرون ) ، كانوا قد حاولوا استثمار رجال الدين ( الساخاميين ) منذ بدايات تفكير هذه المواقف باستثمار اليهود لصالح المشروع الصهيوني . فالساخامون ، في هذه الحالة الاختبارية بالذات ، يعملون كأيدولوجيين مع السوى الاجتماعية الرأسمالية الحاكمة في اوربا الغربية . ماذا يمكن ان يحصل عندما يلتقي حاخام من الشرق ( يولونيا ، الصرب ، روسيا .. الخ ) مع رجل دولة رأسمالي من الغرب ؟ (٢) الذي حصل ، وما يحصل دائما عندما يلتقي رجل دين مع رجل سياسة ومال ، ان رجل الدين (الحاخام) - يحب ان يفهم ان ما هو مطلوب لا يتحقق الا بالوسائل الارمنية " الاسباب الطبيعية " ، تأسيس الشرقات ، تأسيس الاحزاب ،

(١) - مجلة شؤون عربية - عدد ٢٦ نيسان ١٩٨٣ - ص ١٣٠  
(٢) - محمود ، امين عبدالله - مشاريع الاستيطان اليهودي - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ١٩٨٤ ص ٦٦  
(٣) - دراسات سياسية - المجلد السابع ص ٦٤

اقامة المنظمات المسلحة . الخ ، تماما مثل ما تفعل الشوب الاخرى  
" لتتدور بالايطاليين والبولونيين . الخ " . والحاخام عندما يسرد  
الى رعيته يوحلي منبر النعيس للخطابة سوف يقول لهم انه ليس من  
الضروري ان ينفخ المسيح المنتظر بهوقه فيأتي جميع يهود العالم دفعة  
واحدة الى فلسطين مثل رف الحمام . اذ ان البداية يمكن ان تكون  
بالتدريج " واحدا واحدا " او " اثنين وعشرين الفا " وبعد ذلك سوف  
يظهر المسيح المنتظر . اذن ، لكي يبرهن لرعيته عن صحة فكرة واعية  
فانه يبدأ بدعما بواسطة نصوص ينتقيا لهذا الفرض من كتبه التي  
يؤمن بها ، التوراة والتلمود . ورجل الدولة البورجوازي في الغرب  
كان يعلم تماما كيف سيصيح الحاخام خطابه . وكان مثل هذا الاسلوب  
يرضيه ، لانه كان يرغب في ان يظهر المشروع ( الصهيوني ) وكأن البتة  
تجربى بوحى من الله . ان رجل الدولة البورجوازي يعلم بدقة ان  
" استخدام وسائل السيطرة على الناس مثل الدين مثلا ، لا يؤدي الفرض  
منه الا اذا قدم بشئ ملموم " (١) . والحاخام في هذه الحالة كان يعمل  
كأداة تمويه ممتازة بحيث يظهر الهدف لرعيته صحيحا ولا يتضمن عناصر  
مشوشة ، والخطأ الذي وقع فيه الدكتور العظيم ، كما اتصور ، انه نقل  
الساخاسيين من مكانهما الطبيعي كأيديولوجيين يعملان مع قوى رأس المال  
الشرقي ، واراد تنصيبهما في مكان اخر كأيديولوجيين قوميين بورجوازيين  
لقوة اجتماعية يهودية " الطبقة البورجوازية اليهودية " وهي قوة غير  
موجودة اصلا كقوة اجتماعية منفصلة ، ولذلك كان عليه ان يستدل النصوص  
الدينية والصوفية من خطاباتهما .

وبمثلما عمل لهذين الحاخامين حصل تقريبا للزعيم الصهيوني ليرنسكر  
( ١٨٢١ - ١٨٩١ ) . وهو من اكبر الايديولوجيين الصهيونيين في المرحلة

---

(١) - هو كهايمر - ساكس - بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية -

ترجمة محمد علي اليوسفي - دار التنوير - بيروت ١٩٨١ - ٢٠٠٠

التي سبقت التأسيس الرسمي للحركة الصهيونية ومؤلف التراس الشهير "التحرر الذاتي". فقد كان بنسكز مواثنا روسيا ، علمانيا وليبراليا حقا . وكان قد ارتد الى الصهيونية بسبب موجة السداة للسامية التي حصلت في روسيا عند نهاية القرن التاسع عشر ، وبالتحديد على اثر المذبحة التي حصلت لليهود سنة ١٨٨١ .

وبنسكز اقترح في كراسه "التحرر الذاتي" ان تقوم مجموعة " مسن الراساليين " بتأسيس " شركة مساهمة " بهدف شراء قطعة ارض (١) في اى مكان من العالم بهدف مساعدة اليهود وانتقاذهم من الشروط اللاسامية التي يخضعون لها . والدكتور العظم ، تجاه مثل هذه المقترحات ، رأى ان بنسكز منكر قومي يهودى بورجوازي . بينما بنسكز ، في الواقع ، لم يخطر له على بال ان اليهود امة او قومية بورجوازية او غير بورجوازية . فقد كتب في "التحرر الذاتي" : ان الامة اليهودية تفتقر الى كل الصفات التي تتصف بها الامة ، فهي تفتقر الى صفات الحياة القومية ، اذ لا يمكن ان تكون امة دون لغة مشتركة وعادات مشتركة وكذلك ارض مشتركة " ويقول ايضا : " اليهود ليسوا امة لانهم ينتشرون الى الصفات القومية الناجمة عن السكن مسا في بلد واحد وتمتثل لحكم واحد " (٢) . بالاضافة الى ذلك ، فان بنسكز لم يكن ينوى ان يأخذ اليهود البورجوازيين الى الوطن "القومي" ، وانما فقط " اليهود النائمين الذين يسيثون الان كطبقة بروليتارية عالة على المواطنين الاصليين " . وقد كتب : " انه من الافضل لليهود الشريبيين الذين يكونون نسبة قليلة من السكان ، ولذلك فان حالتهم في البلاد التي يعمشون فيها هي احسن ، من الافضل لهؤلاء الا يهاجروا . كذلك يستطيع الاغنياء البقاء حيث هم حتى في البلاد التي لا تسامح فيها " (٣) .

(١) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ٩٥ - ٩٦

(٢) الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ٨٢ - ٨٣

(٣) المصدر نفسه . - ص ٩٤

وفي نهاية هذا الفصل ، وبعد ان قرأنا تحريفا للصهيونية عند  
 رودنسون يؤكد على كونها تركيبة ايدولوجية متعددة المصادر  
 الثقافية والمنازع السياسية ، يمكن ان نختم التلم بتحريف  
 من قبل احد مؤسسيها هذه المرة . وهو الحاخام سولوحون شيفتر  
 (١٨٤٧ - ١٩١٥) وهو احد المؤسسين البارزين في الصهيونية الامريكية  
 وكما يقال ، فان اصحاب البيت ادرى بما فيه . وتحريف شيفتر يؤكد  
 ان الايدولوجية الصهيونية ليست التسبير عن النزعة البورجوازية  
 اليهودية وانما هي تعبير مركب من جميع المنازع الفكرية ولا يجمع  
 بينها سوى قاسم مشترك واحد ، وهو انها تدعو الى وطن قومي خاص  
 لليهود . يقول شيفتر : " ان الصهيونية مثل اعلى ولذلك لا يمكن  
 تحريفها ، ولهذا السبب فانها خاضعة لتفسيرات عديدة وقابلة لاشكال  
 مختلفة ، يمكن ان تمنى بالنسبة لواحد بحث الوعي القومي اليهودي  
 ولاخر بحثا دينيا ، بينما بالنسبة لثالث فانها يمكن ان تكون بمثابة  
 طريق يوصل الى الثقافة اليهودية ، والرابع يمكن ان تشكل السبل  
 النهائي والوحيد للمسألة اليهودية " . وينيف : " وبسبب هذه الجوانب  
 المتعددة استطاعت الصهيونية ان تجمع ضمن برنامجها عناصر متضاربة  
 تمثل يهود العالم اجمع وتمثل تقريبا جميع صنوف الثقافة والتفكير  
 كأي حركة عالمية عظيمة اخرى . وأنه لشيء طبيعي ان يؤكد كل ممثل  
 لها الجوانب الخاصة الاقرب الى طريقة تفكيره والاكثر ملاءمة لطريقته  
 في العمل ، لكن جميعهم يتفقون على نقطة واحدة وهي انه ليس من  
 المرغوب فيه فحسب بل من الضرورة المطلقة ، ان تستعاد فلسفـ  
 ارض الاباء ، بهدف اقامة وطن لقسم من اليهود على الاقل ليمشوا فيها  
 حياة قومية مستقلة " (١) .

## التصل الثاني

### السوق القومية الصهيونية

قبل الانتاج لا احد يبحث عن سوق . وهذه مسألة من الفروض ان لا تحتاج الى جدال . واذا كان الصهيونيون قد رغبوا في ان يكون لهم في المستقبل سوق ، عندما كانوا مجموعة من الاشخاص في اوروبا ، فهذه تبقى مجرد رغبة او تصور . اما بعد ان اسر هؤلاء مجتمعا في فلسطين ومن ثم دولة فقد اصبحت لديهم بالضرورة "سوق قومية" للبيع والشراء والتسويق . . . والخ . ويظهر ان وجود انتاج وسوق في اسرائيل قد انسر على الدكتور المظلم تأنيرا مبالغا فيه ، لدرجة انه كاد ان يصور السوق الاسرائيلية على شكل حيوان خرافي قادر على ابتلاع اسواق المرب مثلما يبتلع الحوت اسماك السرددين ( ولو بقي الامر في حيز الاقتصاد المجرد لكان الامر ، او على الاقل لما كان هناك ضرورة لخوض محادثة واسعة . ولكن الدكتور المظلم يستنتج من السوق الاسرائيلية ما معناه ، ان الحكومة الاسرائيلية تتشوق الى ايقاف التداخل مع المرب بواسطة الوسائل الحربية لكي يتمكن لها وضع وسائلها الانتهائية (سوقها) على ساحة المعركة )

وحتى لا يفهم أننا نذهب بعيدا عن الايديولوجيا ، تجدر ملاحظة ان التحرك هنا يتم من قرب المدخنة الى قرب الآلات في المصنع . وهذه صورة حسنة مبسطة لسلاقة الايديولوجيا بالسياسة الاقتصادية . فبواسطة الايديولوجيا السائدة ، اغافة لقوة القانون وعصا الشرطة ، يتم اعادة انتاج علاقات الانتاج في المجتمع . أي ابقاء الطبقة ، أو الفئة ، السهيمنة على الاعتماد في مكانها من الهيمنة . وهذه اغافة توضيحية شديدة الاعمية بالنسبة لفاعلية الايديولوجيا ، أضائها الى نظرية الايديولوجيات ( لويس التوسير ) ، عندما قال : " يتم تجديد انتاج علاقات الانتاج بمثلها بواسطة البناء الفوقي ، الحقوقي - السياسي ، والايديولوجي " . وهذا التجديد يتم في كل لحظة من لسنات عمليات الانتاج وفي كل عملية تبادل تجرى في السوق . ان ابقاء الفئات المهيمنة في الاقتصاد فوق



كرسي الهيمنة ، يضيف التوسير ، " يتم مساهمة ممارسة سلطة الدولة عبر اجهزة الدولة ، جهاز الدولة القومي من جهة ، واجهزة الدولة الايديولوجية من جهة اخرى " (١) . فالايديولوجيات السائدة هي التي تتولى عمليات الاتناع والتبرير والتمويه ، بحيث يشعر كل انسان من العامل في المصنع في غرفته الزوجية والعامل خلف التسه ، الجندي في خندقه على الحدود والجنرال في غرفة العمليات ، السمار في ساحة الرقص والخادم على باب الفندق ، انه يؤدي "واجبه" الذي تفرضه الما قوة " القضاء والقدر " او " الواجب المقدس " او " المصلحة العليا " . وبالنسبة لاسرائيل بالذات فان كل الرموز الايديولوجية التي تعمل على تثبيت كل انسان في مكانه تنبع تقريبا من ثلاثة مصادر : " التوراة " ، " المسيح المنتظر " ، " امن اسرائيل " ويمكن ان يضاف اليها منبع ايديولوجي رابع وهو " ذكرى الكارثة والبطولة " ، حيث تدعي ايديولوجيا الفئات السائدة انه قد وقع على اليهود عالم فاق كل المظالم التي وقعت على العالم بأسره ، ولذلك ، كما ترغب الايديولوجيا يجب على اليهودي اليمنى ان يحمي الله لانه يعمل مبطل في شوارع مثلاً . ولنعد الى السوق الاسرائيلية كما يراها الدكتور العظيم ، فقد كتب : " بالنسبة للتفكير الاستعماري الاسرائيلي حول المواد الخام الرخيصة والاسواق المفتوحة لبضائهم وبالتالي لاستغلالها ، لسوق الامثلة التالية من اراء الخبراء الاسرائيليين المعاصرين في شؤون الاقتصاد " . ثم يشرع في الاقتباس من كتاب " من الفكر الصهيوني المعاصر " ومن مقال الكاتب الاسرائيلي ( شاوول زارحي ) دون ان يتطرق الى اراء خبراء آخرين . ويبدأ بان قال بالتالي هذا الخبر ، او هؤلاء الخبراء ؟ ، يكتب : " لا يمكن لاسرائيل ان تجد وسيلة استعمال امكانيات تطور صناعتها بزيادة الصادرات الى البلدان السائرة في طريق النمو ، طالما انها مبتورة عن بلدان

(١) - التوسير - دراسات لانساتوية - ترجمة سهيل القس - المؤسسة

المنطقة ، الذين هم اقرب جيرانها ، وبشكلون بذلك سوقا طبيعية لتصريف منتجاتها الصناعية ؛ البلدان العربية " ، وهو يرى انه لن يفك هذا الاختناق الصناعي الاسرائيلي بسبب الحاجة الى اسواق السرب الا السلام الذي يسمح بعمليات التبادل ، وتصدير البضاعة الاسرائيلية الى الاسواق العربية المجاورة . يقول : " من المؤكد ان المسلم اليهودي - العربي ، واستثناء العلاقات التجارية ، يمكنهما ان يلعبا دورا حيويا في صادرات اسرائيل في المستقبل " (١) . ان من شأن السلام اليهودي - العربي ومشاركة اسرائيل في التطور الاقليمي أن يعدلا الوضع بفضل ايجاد ظروف افضل لتطور الصناعة ومختلف فروع الاقتصاد ( في اسرائيل ) ان مشاركة كهذه من شأنها ان تفتح سوقا واسعة لاسرائيل ، عشرون الملايين من سكان الشرق الاوسط " (٢) . اما رأى الدكتور العظم في اقوال زراحي ، فهو المصادقة الفورية بدون مناقشة ، " هذا تعبير صريح وواضح عن المضمون الواقعي والسلمي لمننى السلام العربي الاسرائيلي " . وهو يضيف ما يتضمن التحذير : " أى ان تكون العلاقة بين السرب المتخلفين وبين اسرائيل المتقدمة شبيهة شبا تاما باللاقة القائمة بين الولايات المتحدة الامريكية وشعوب امريكا اللاتينية ودولها المتخلفة " (٣) . وفي عام ١٩٧٦ ونتيجة للضغوط السياسية والدبلوماسية الدولية على حكاه تل ابيب على اثر قبول الحكومة المصرية لجميع مقترحات السلام الدولية ، اضافة الى مبادرتها بمقترحات اخرى بهدف اقناع الاسرائيليين بالانسحاب من سيناء بدون حرب ، فان هؤلاء ، حكاه تل ابيب - شرعوا كماداتهم باختلاق الاكاذيب والحجج المزيفة للنهرب من السلام . ويذكر ان الدكتور العظم قد اخذ حججه الجديدة على محمل الجد ، فكتب مقالا في مجلة شؤون

(١) - دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ١٠٨

(٢) - " = " ص ١٠٩

(٣) - " = " ص ١١٠

فلسطينية تحت عنوان " اسرائيل والتسوية السياسية " ، قال فيه :  
" ومن ناحية اخرى ، وفي ٤ نيسان ١٩٧١ ألقت غولدا مائير خطابا  
امام المؤتمر الوطني لحزب العمال الاشتراكي الحاكم ردت فيه بوضوح  
صارخ على المبادرة المصرية حول معاهدة السلام وتوابتها المذكورة  
اعلنت مائير في خطابها ان اسرائيل لن تتخلى عن القدس واليهود  
وشرم الشيخ وانها ترفض ضمانات الدول الكبرى وترفض الضمانات  
الدولية للحدود " الامنة المعترف بها " في ذلك شكره القوات الدولية  
على الحدود " .

ويتساءل باستغراب عن " التصلب " ، فيسأل : " كيف نفسر هذا التصلب  
الاسرائيلي الشديد ؟ " . وفي الجواب يؤكد على اقوال غولدا مائير ،  
فيقول : " وليس علينا ان نذهب بعيدا في البحث ... لان غولدا مائير  
اشارت اليها بوضوح في خطابها .. قالت رئيسة وزراء المدوم ما يلي  
في ايضاح الدوافع الكامنة خلف الرفض الاسرائيلي لكافة المقترحات  
المصرية : " ان الضمانات الدولية ومرابطة قوات اجنبية بين  
اسرائيل وجيرانها ستخلق جدارا بين الطرفين ، ونحن نريد سلاسا  
حقيقيا . نريد علاقات وثيقة وتعاوننا بين اسرائيل وجيرانها " (١) .  
فجولدا مائير هنا ، حسب رأيه ، نظقت دفعة واحدة بالمتيقنة  
الكاملة : " اعتقد ان هذا الموقف الاسرائيلي السريع والواضح  
يسلمنا المنتحان الحقيقي لتصلب اسرائيل " .. ثم يشن اسباب تحت  
اسرائيل ضد السلام بالاستناد الى ما قالته مائير ، فيكتب : " نسني  
التسوية السلمية بالنسبة لاسرائيل سقوط كافة المواجز والجدران  
بينها وبين الدول العربية بحيث لا يعود هناك شيء اسمه قطيعة بين  
الطرفين وتحل محل العلاقات العدائية الماضية صلات وثيقة من التعاون

بدون وسطاء دوليين وبدون حماية الدول الاربع الكبرى على منلتتناه  
لان لدى اسرائيل مشاريعها الخاصة للصيانة على منطقة الشرق الاوسط  
والاشراف عليها لصالحها اولا . والدليل الاضافي على ذلك هو جولدا  
مائير ايضا : " وقد عبرت غولدا مائير نفسها عن كل ذلك بقولها في  
احدى المقابلات الصحفية ان السلام بالنسبة لها يعني ان تتمكن من  
الذهاب في اى وقت الى اسواق القاهرة لتشتري حاجياتها ان بقي  
شامت ذلك " وهو يرى ان مبادرات السلام الدولية والمصرية تسرق كل  
على جولدا مائير رغباتها في التسوق من اسواق القاهرة " ان ماني  
شامت ذلك " ، فيضيف : " وبطلبية المال ، فان اول خالوة على طريق  
تحقيق هذه الاهداف تكون برئيس كل مبادرات السلام العربية " (١) .  
ويومها ، اى منذ ١٩٧١ ، اكد الدكتور العظم باصرار ان اسرائيل  
لا تريد من العرب سوى " سقوط الحواجز والجدران " لكي يتسنى لها  
ان تبينهم وتشتري منهم . وان اسرائيل سوف تعود الى الموافقة على  
مبادرة روجرز الامريكية بمجرد ان يوافق العرب ببديا على حرية  
التجارة مع اسرائيل . فيقول : " ان قناعتى الشخصية هي انه اذا  
تمكنت اسرائيل بواسطة تملبها ومراوغتها وتهديداتها ، على طريقة  
" المفاوضات والحرب " من ان تحصل على موافقة عربية مبدئية  
بالنسبة للمفاوضات وبالنسبة لسقوط الحواجز والجدران بين الطرفين  
فان اسرائيل سوف تكون مستعدة للتنازل عن الشروط القصوى القاسية  
والتسجيزية التي تفرضها الآن في وجه تحقيق التسوية السلبية . وانها  
ستراجع الى حدود الموقف الامريكي كما جاء في خطة روجرز المشهورة (٢)  
ومعلوم ان وزير الخارجية الامريكي روجرز تقدم بمبادرت استنادا الى  
القرار ٢٤٢ على اثر التهديد الذى وجهه عبد الناصر الى الولايات

(١) - المصدر السابق - ص ٧٩

(٢) - - - نفسه - ص ٧٩

المتحدة في خطابه في الاول من ايار ١٩٢٠ بالتك عن مساندة اسرائيل  
او تحمل المسؤولية تجاه الامة العربية . وفي ذلك الوقت كان للتهديد  
من هذا النوع قيمة افضل مما له اليوم . لذلك تقدمت الولايات المتحدة  
بتلك المبادرة . وعندما قبلها عبد الناصر اضطرت حكومة اسرائيل  
الى قبولها مؤقتا . ولكن هذا القبول ادى الى انشقاق الحكومة  
الاسرائيلية وخروج كتلة منلخم بيجن منها . وقد وصف بيجن المبادرة في  
حينه بانها " فح نصب لاسرائيل " . ولم يدم الامر طويلا . فقد انسحبت  
حكومة اسرائيل بمسألة تقديم الصواريخ المصرية على جبهة السويس  
ثم انسحبت من المبادرة . ثم توفي عبد الناصر . . . واخذت الامور  
مجراها المسروفة وكانت موافقة عبد الناصر على المبادرة اول اشارة  
سياسية ودبلوماسية تكشف الستارة عن حقيقة اسرائيل باعتبارها  
دولة معادية للسلام . وكانت بمثابة فضيحة . ولكن في الايديولوجيات  
السائدة في الدول العربية لم يؤخذ ذلك بعين الاعتبار  
والسهم ان الدكتور العظم يكرر التساؤل من جديد : " السؤال السدى  
يواجهنا مرة اخرى هو : لماذا تصر اسرائيل على ان يكون جوهر التسوية  
السلمية سقوط الحواجز والجدران بينها وبين الوطن العربي وان تكون  
العلاقات العربية معها ذات طبيعة ودية قائمة على ما تسميه مائير  
بالتعاون الوثيق والثقة التامة وبدون تدخل الوسطاء الدوليين او  
الالتزام بضمانات الدول الاربعة الكبرى وتسهلاتها ؟ " . وفي الاجابة  
من جديد يستمير رأى شاول زارحي للمصادقة على رأى غولدا مائير  
فيقول : " هنا ايضا ليس علينا ان نذهب بعيدا في البحث عن الجواب  
والوافي على التساؤل المطروح . المصادر الاسرائيلية نفسها تعطي  
كافة المعلومات المطلوبة " والمعلومات المطلوبة هي انه قبل حرب  
حزيران ١٩٦٢ " كتب الخبير الاقتصادي الاسرائيلي (شاول زراحى )  
التحليل التالي لمعنى السلام العربي الاسرائيلي : " لا يمكن لاسرائيل  
ان تجد وسيلة استعمال امكانيات تطوّر صناعاتها بزيادة الصادرات . .

الخ\* ، حيث يقتبس ذات النصوص التي ذكرها في كتابه\* "دراسات  
يسارية" على انها "اراء الخبراء الاسرائيليين" ، ثم يعلن على آراء  
زراعي فيستبردها نسوما شبه منزلة وغير قابلة للمناقشة ، فيقول  
: " لا يحتاج هذا النص - نمرزراحي - الى اى شرح اضافي باعتباره  
مثالا على الصراحة والوضوح في تحديد الغايات والاعداد والنوايا\* .  
والمرء عليهم ان يسلوا حسابهم بالنسبة للسلام الذي يقترحه كل  
من زراحي ومائير ، لانهم - حسب رأى الدكتور المذموم - قد يخرجون  
من تحت الدلف الى تحت المزارب ، باعتبار ان " الضمون الواقعي  
والسلي ليعنى التسوية السلمية العربية الاسرائيلية يتلخص  
( بالنسبة لاسرائيل ) بالمواد الاولى الرخيصة التي تحتاجها  
الصناعة الاسرائيلية ، وبأسواق عربية واسعة شاسعة تتمتع بسرعة  
كبيرة كل الانتاج الصناعي الاسرائيلي . وينمو اسرائيل المتسارع  
لتصبح اكبر دولة صناعية في الشرق الاوسط ومن كبريات الدول  
الرأسمالية الصناعية في اسيا كلها\* (١) وكما سنرى ، فان الدكتور  
المذموم قد سقط من تلقاء نفسه في وكر للشمال\* . وهذا تشبيه لمن  
لا يتحذر عندما يسير في ارض عدوة ، فجولدا مائير باعتباره  
رئيسة حكومة اسرائيل ، ولا لزوم لنا لى عواطف مثل "رئيسة  
وزراء السدو" ، لا تستلح ان تدلن عما تؤمن به او عن نياتها  
الحقيقية . وهذا ينطبق حتى اليوم على الاقل على اى رئيس للحكومة  
اسرائيل . والسبب في ذلك يعرفه جميع الناس : المرء على الاقل  
: وهو ان دولة اسرائيل تحتل وطن الفلسطينيين وتهجرهم في الغيام  
وتحاول في ذات الوقت ان تظهر وكأن الفلسطينيين هم الذين يتعدون  
عليها ويريدون احتلال اراضيها . والمسألة هنا بالطبع لا تتعلق

بالسرب او الخوف منهم ، وانما لاسباب تتعلق بنسب العلاقات الدولية  
ويتكويّن الرأي العام السالبي . ولذلك فان اى قول ينطبع به الحاكم  
الاسرائيلي ، حتى ولو هدف وكان صحيحا وهذا نادرا ما يحدث ، فيجب  
وعنه وقراءته على ضوء الواقع السلي والافان السواقب قد لا تكون  
حسنة . وكان لويس التوسير ، في مسرح شروحاته في تالية الايديولوجيات  
قد لاحظ ان هناك علاقة ضرورية بين اقوال الناس وافعالهم ، فاذا كانت  
اقوالهم غير متوافقة مع افعالهم فمعنى ذلك ان لديهم افكارا اخرى  
يعتقدونها ويتكتمون عليها ثم يعلنون غيرها (١) . اما السيد زراحي  
فهو كما تؤكد الوقائع ، واحد من اثنين : اما انه دون كيشوت او  
ايدولوجي طبيب القلب ويجهد جهلا تاما حقيقة الاقتصاد الاسرائيلي ،  
ولما انه ايدولوجي من النمط المناق الذي يخفي الحقائق عن عمد  
خدمة لمصالح اسياده النشأت الحاكمة في المجتمع الاسرائيلي ووراءهم  
اسيادهم الكبار الحائمون في الدوائر الامبريالية . اى انه ، ربما  
يكون لهذا ارجح ، يقوم بضممة اختراع اكاذيب وتلفيقات من شأنها ان  
تموه الحقيقة امام الجنود والبلطات الفتيرة في اسرائيل موحيا لهم  
بان الضيق الذي يعانون منه في معيشتهم سببه ان السرب يسدون في  
وجوههم ابواب السلام وابواب التجارة . وهذا بالاناقة الى خلق  
نصورات كاذبة بقصد بيعها للاستهلاك الخارجي .

## اقتصاد طفيلي وسليم ومضادة :

دخل الدكتور الحام هنا في منطقة سياسية خطيرة تتصل -  
بمستقبل الصراع العربي - الاسرائيلي برئته . اذ ربما يأتي وقت ،  
في هذا العالم الهائل التعقيد والذي تحكمه النوى الجبارة ، نيزلز  
السرب ، طوعا او كرها ، على القبول بامون الشرين : اما اختيار  
الحرب الدائمة ، واما اختيار السلام الدائم ، ولذلك فان الامر  
يستحق عناء الخوض في بحث مطول عن الاعتماد السياسي الاسرائيلي ،  
اي عن اقتصاد حكام تل ابيب وعن اسلوب معيشتهم . ويجب ان يكون  
واضحا ان الردود هنا هي باتجاه زراعي وغولدا مائير وليسست  
بالدرجة الاولى باتجاه الدكتور العالم .  
وبداية ، فان الاعتماد الاسرائيلي لم يبد سرا منلقا . يقال بانسب  
انه اليوم ننسج على مستوى الهدف تقريبا ، فقد درس وتيم تماما  
من قبل الاقتصاديين السرب وكشفت تماما سناج قوته وبرائب ضفته .  
ويوجد شبه اجماع بانه - الاقتصاد الاسرائيلي - عاجز عن الاكتفاء  
الذاتي ناعيك عن السيطرة على اسواق الآخرين . ودائرة الضمف  
محددة بثلاث حلقات رئيسية : اولا ، فقدان شبه كامل للمواد الاولى  
في اسرائيل . وثانيا ، غلاء ملفت للنظر للايدى العاملة ولموامل  
الانتاج الاخرى . وثالثا ، وهذا اهم ضمف وهو ضيف حجم السوق بحيث  
يعتبر الانتاج الاسرائيلي من فئة الانتاج الضفيل .  
فهذه السوامل الثلاث لا تسمح للاقتصاد الاسرائيلي بالاستقلال فكيف  
بالتأثير ؟ ، اذ ان السلبية الاسرائيلية الزراعية والصناعية ، هي  
الى حد ما تكوين مصطنع فهي تباع في النالاب ، في داخل البلاد وفي  
الخارج ، بسعر غير اقتصادي . فكأنما هي تباع لنير الاسباب المرونة  
التي تقول ان السلفة يجب ان تحقق ربحا يضاف على كلفتها .  
وفيما يلي أقرأ عن ذلك في كتاب " الاعتماد الاسرائيلي " للدكتور



يوسف عبدالله صايغ : " فالزراعة وهي النشاط الرئيسي ببلدنا ...  
المسيونية .. كانت تنال المنع في شتى الأشكال من مستورة ومكشونة  
" ركيزا ما كانت المستورة منها تزيد اعمية عن المنع المكشونة ،  
ومن المنع المستورة انخفاص ايجار الارس والاشجار للساء والكهرباء ،  
والخدمات العامة ومواد البناء والقروض التمويلية " .. وبالمبيع  
هناك منع مباشرة تعدي على اساس كلفة الانتاج او تشبيها للتصدير .  
" ان ايجار الارس كان في متوسطه اربعة اعشار من واحد بالمئة ( ٤٠٪ )  
من قيمة الناتج الزراعي وهو معدل ايجار يكاد يتدون رمزيا نقلا " (١) .  
ومن المعلوم ان الارس في اسرائيل هي ملك لصندوق الوكالة اليهودية .  
وبذا الصندوق يقوم بتأجيرها للمزارعين اليهود . ففي احدى المستمرات  
مثلا استدعى الري ضخ المياه الى ارتفاع نصف ميل بكلفة تبلغ عشرين  
ضعف ما يكلفه ري مساحة مماثلة في السهول " . ان ما تتحمله الحاءلات  
الزراعية ( عدا الخضار والفواكه ) من تكاليف ري يتراوى بين ٢٤ و ٤٠  
بالمائة من ثمن المبيع في المتوسط . وفي المالة الفصوى بلغت هذه  
النسبة ٦٢ بالمائة من ثمن علف الحيوانات " . وهذه كلفة تزيد اربعة  
اضفاف عن كلفة الري في كاليفورنيا مثلا " . حيث تصل كلفة الري الى  
اعلى مستوى في العالم " . فالمزارع الاسرائيلي يدفع ثمننا للمياه  
التي يستعملها في السقاية اقل من ثلثه هذه المياه " انه لامر  
حقيقي ان كلفة انتاج المياه تفوق بكثير الثمن الذي يدفعه  
المزارع للحصول عليها . فكل زبائن شركة مكوروت ( شركة المياه التي  
تصرف بجميع موارد المياه في اسرائيل ) بدون استثناء يدفعون اقل  
من الكلفة " .

---

(١) - صايغ ، يوسف عبدالله - الاعتماد الاسرائيلي - طبعة ثانية

حتى ان مشاريع خطة ظهر في البداية وتأسيس مشاريع اقتصادية  
واثيرت حولها شبهة في الصراع المصلي وعلى الساحة الدولية ، مثل  
مشروع النقب ، تبين في النهاية انها مشاريع سياسية وعسكرية  
وليست مشاريع اقتصادية . \* ان نقل المياه من الشمال الى النقب  
بكلفة مرتفعة لا يبرره الاقتصاد وانه انما يخضع لاعتبارات سياسية  
ودعائية وعسكرية تبرر في نظر السلطات انهاء النقب مهما كلفت  
الامر\* (١) .

اما السلع الصناعية التي توهم الدكتور المظالم انها سوف تبطل  
الاسواق العربية ، فشانها مماثل . \* ان الصناعة عالية التكلفة . \*  
فعدا ارتفاع اجور اليد العاملة ارتفاعا نسبيا فاعضا بسبب فلسفة  
" دولة الرفاه " السائدة في المجتمع والقائمة بالسخاء في الاجور  
وبالمزيد من الخدمات الاجتماعية المجانية او شبه المجانية ولاسباب  
اخرى مما لك شحة الموارد الصناعية والقوة المحركة . فالمواد الخام  
في معظم الحالات ترد من الخارج وكذلك السلع الانتاجية . والثروة  
المدنية ليست بذات شأن ، والبتروول لا يكفي سوى نسبة ضئيلة من  
حاجة البلاد (٤٪) ولا يبشر باحتياطي ذي شأن . ونتيجة هذه الضغوط  
في مستلزمات التصنيع فان الانتاج الصناعي يتطلب مستوردات ضخمة  
( من السلع الانتاجية والسلع شبه المصنوعة والمواد الخام والوقود )  
تعني بالتالي ان القيمة المضافة في التصنيع الصناعي تظل صغيرة .  
ولهذه الحقيقة وجهان ، اولهما عيني يتبدل بشحة المواد كما اسلفنا ،  
والثاني مالي ، اما الوجه المالي فيتبدل بارتفاع كلفة الصناعة بسبب  
ارتفاع محتوياتها من المستوردات ( او ما تصح تسميته " المحتوى الاستيراد  
واضطراب الصناعة بالتالي الى الاعتماد على المنع والاقامات اذا كان  
لها ان تسمى الى مزاحمة المنتجات الصناعية المستوردة او التي

المزاخمة في الاسواق الخارجية . كما ان يتعلم بالمعنى الذي يليق به  
المستوى الاستيرادي المرتفع على موارد التلح الابنبي . والسؤال  
المدة التي درسها الدكتور صايح ( ١٩٥٠ - ١٩٦٤ ) بنيت النسبة ثابتة  
بين قيمة السلة المصدرة وقيمة ما تتضمنه من عادة مستوردة ،  
مصنعة او نصف مصنعة ، فكل دولار تصدير ظل يحتوى على ٤٥ - ٥٠ ٪  
من الدولار استيراد . وكان هذا احد اسباب عوز اسرائيل الدائم  
الى المساعدات الخارجية التي تتزايد باستمرار " لعل الضعف الاخير  
الذي هو ارتفاع قيمة المستوردات الداخلة في الصناعة اشد ضعفات  
الصناعة الاسرائيلية خطورة "

وبهذا فان تكلفة المواد المستوردة الداخلة الى الصناعة اضافة  
الى الخلاء المفتعل للابدى العاملة ، وهو غلام مفهوم على ضوء اهداف  
الحرب ، جعل السلة الاسرائيلية غير قادرة على المزاخمة الحرة تجاه  
مشتريات مشابهة تتمتع بالميزات الصناعية . " نتيجة للهدف الاساسي  
في الصناعة وهو ارتفاع كلفة منتوجاتها فان تدرة المنتوجات  
الصناعية الاسرائيلية على مجابهة المنتوجات المشابهة المصنوعة  
في البلاد الصناعية منخفضة ، مما يوجب على الحكومة الاسرائيلية  
التقدم بشتى انواع الممنونة للصناعة ، خاصة للمصدرات الصناعية " .  
ومنذ تأسيس دولة اسرائيل وسوقها " القومية " تختم على الحكومة ان  
تدفع للمنتجين تعويضا متفقا عليه لكي يتسنى لهؤلاء تصدير سلعهم  
ذات الكلفة العالية الى اسواق خارجية بهدف الحصول على عملات صعبة  
بهذه الطريقة وفتح الطريق امام عمليات الانتاج . وكذلك كان عليها  
ان تدفع للمنتجين الذين يبيعون سلعهم في السوق المحلية تعويضا  
مناسبا يبادل الربح او القيمة المضافة " في الشروط العادية " .  
وكان هذا " الدفع " او التعويض يتم مما تجنيه الحكومة من تبرعات  
يهود العالم ومن عطايا الامبرياليين كمكافأة للخدمات السياسية  
والحربية التي تقدمها لهم حكومة اسرائيل . " منذ ١٩٤٦ وباستمرار

بعد ذلك لجأت الحكومة الى عدد من الإجراءات لتحلن الصلابة من بيع -  
 منتجاتها . ومن هذه الإجراءات : عمليات المقاصة والمتاينة على أساس  
 تشجيع سعر البيع الفعلي والسعر الذي يحتمه ارتفاع التكلفة .  
 \* من الإجراءات أيضا اعطاء منح متناسبة وحجم القيمة المضافة (الربح)  
 في المنتجات فوق قيمة المستوردات الداخلة في هذه المستودات ، وفي  
 منح كانت ولا تزال مرتفعة ( وقد تبلغ في بعض الحالات التي ترغب الحكومة  
 بتشجيعها بقوة ٢٠٪ من ارباحه استراتيجي ( ٤٥ ٪ من الدولار ) مقابل كل  
 دولار من التصدير ) ومن اشكال المسمونة الحكومية تقديم الترويض ومائل  
 التمويل بشروط سهلة للغاية ، وتقديم التأمين ضد اخطار الخسارة التجارية  
 الناشئة عن التصدير ، وتقديم المسمونة المالية لجباية قسم من  
 تكاليف النقل \* (١) . وبما ان العامل الاسرائيلي هو حارب وعامل في  
 نفس الوقت وتحتاجه الحكومة للحرب اكثر من المصل ، لذلك كان عليها  
 ايضا ان تدفع هنا قيمة مضافة لا تستطيع قيمة العمل وحدها ان توفرها  
 للمامل لكي يسيروا في مستوى من الرفاهية تجعل قابليته للحرب دائمة  
 ومستمرة . \* بسبب ارتباط مستوى الاجور بالرقم البياني لاسعار السلع  
 الاستهلاك ، تزايدت الاجور بشكل ذريع ادى الى زيادة التكاليف الانتاجية  
 ( المرتفعة اصلا ) زيادة جعلت المنتجات اضعف بكثير من ان تنافس  
 مثيلاتها الاجنبية في السوق المحلية او الخارجية . واستتبع ذلك  
 تطور ان لم يكن منهما بد في ضوء هذا الانطلاق النازل ، اولا ربح مثلية  
 كنيهة واقية من السماية البمركية فوق المنتجات المحلية وفرض رسوم  
 اخرى على الاستيراد عن طريق رفع سعر القطع الاجنبي في ربح المستوردات  
 السداد التقليل من استيرادها . وثانيا ، اقامة نظام منح محدد ومتنوع  
 وغالي الثمن لتشجيع المبادرات التي لم يكن لها كبير حظ بالنجاح بدون  
 تلك المنح \* (٢) . وهكذا ، بسبب جهاز الانتاج الداخلي العالي التكاليف

(١) - المصدر السابق - ص ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤

(٢) - المصدر نفسه - ص ٢٥٤

لما تحتوي السلعة الاسرائيلية من مادة مستوردة وارتفاع سعر الصرف  
اصبح من غير المستحسن ان يستمر الاعتماد الاسرائيلي ويتطور بالاعتماد  
على السوق الاجنبي الذي يصل الى اسرائيل من الخارج . يقول الدكتور  
صايغ : ان العمود الخارجي هو " الشرط الاساسي لاستمرار المنجزات  
الاسرائيلية الاقتصادية . فهو بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي كثرة الزباج  
المدفأة التي تسمح للنبات الضيف بالسيش " (١) . وعند هذه النقطة  
يمكن الاشارة الى انه بعد عقد من السنين ، وما يزال الامر كذلك حتى  
اليوم ، اثبتت الوقائع عن واصالة استنتاجات الدكتور صايغ بخصوص  
البنية الطفيلية للاقتصاد الاسرائيلي . ففي عام ١٩٧٥ قال حاكم بنك  
اسرائيل : " طلبنا قروضا وهبات من الولايات المتحدة خلال السنة المالية  
القادمة تبلغ نحو ٢٥٠٠ مليون دولار . واذا افترضنا ان الحقيقة قصرت  
عن توقعاتنا ، وحصلت اسرائيل على مبلغ يتل بمقدار ٥٠٠ مليون دولار .  
عن الرقم المذكور اعلاه ، عند ذلك سيحصل رد فعل سلبي . وذلك لان جميع  
ممنوعاتنا تتضمن عنصرا مستوردا . فاذا لم يكن لدينا السلعة الاجنبية  
لشراء المواد الخام وعناصر الانتاج الاخرى ، فسوف تنهار الى تفويض  
الانتاج . ان نجما بمقدار ٥٠٠ مليون دولار في تدفق رأس المال اليها ،  
سوف يعني هبوطا بمقدار ٨ - ٩ مليارات ليرة اسرائيلية في الناتج القومي  
الاجمالي . مثل هذا التفويض سوف يعادل ١٠٪ من موارد الدولة وقد يؤدي  
الى بطالة ١٠٠ ألف شخص " (٢) .

ومكذا فان سورة النبات الضيف داخل غرفة الزباج المدفأة التي اشار  
اليها الدكتور صايغ ، تكاد من تلقاء نفسها تفتح الباب على الشك في  
جدوى " مكتب المقاطعة " الذي انشأته الحكومات السرية على انشاء  
دولة اسرائيل . وبما ان الامر له صفة الاعراج بالنسبة لرجل علم بسبب  
الدلالة العاطفية لمقاطعة " العدو " ، لذلك فان مكتب المقاطعة قد ذكر

(١) - المصدر السابق - ص ٢٢٠

(٢) - بنية ومشاكل التبع الاستبدادي - مؤسسة الارش - دمشق ١٩٨٣ ص ٥٢

في دراسة الدكتور ماينج وتائه لم يذكر . اي ان مكتب المطاطية  
الذي يجب ان يكون حسب رأي صادق . لال الصم مثل انشطة تلتف حول  
عنق اسرائيل ، لم يأخذ من وقت الدكتور ماينج سوى بعض عبارات نير  
منثورة في هامش احدى الصفحات . اليس دور مكتب المطاطية منسج  
اسرائيل من بيع بضاعتها في الاسواق العربية ؟ لكن اذا تانسست  
اسرائيل تجد الاسواق لبيع كل ما لديها في اسواق العالم الاخرى ،  
فماذا ينبغي مكتب المطاطية ؟ . قال الدكتور ماينج في الهامش  
، " فاننا نعتقد ان قدرة اسرائيل على تصدير معظم ما ترغب في  
تصديره تقلل اثر حرمانها من الاسواق العربية " . واناف ، " ونسي  
اعتقادنا فان خسارة اسرائيل الفدلية ( بسبب القتالية العربية )  
هي في حدود ٢٥ مليون دولار سنويا " (١) . وهذه الخسارة ناتجة ، كما  
قدرها ، من زيادة كلفة النقل الى اسواق ابعد ومن الفرق في سعر  
النفط المستورد من خارج البلدان العربية الجارة المنتجة للنفط ،  
وايضا بسبب حرمان المهندسين والفنيين الاسرائيليين من العمل في  
البلدان العربية الثنية المنتجة للبترول . كانت تلك بعض الحقائق  
الاولية حول التكوين الاصطناعي للسلسلة مرتفعة الكلفة المنتجة في  
اسرائيل ، والتي لا تستطيع ان تتحرك داخل السوق الاسرائيلية الا  
خلف حاجز جمركي مرتفع الجدران . ولا تستطيع ان تقف في الاسواق  
الخارجية الا فوق رجلين من قصب ، واحدة تقف فوق الربح الذي تدفعه  
الحكومة الاسرائيلية للمنتج الاسرائيلي والثانية تقف فوق الاتفاقيات  
الخاصة ، او الخاصة جدا ، مع الاسواق الخارجية . حيث تجري مفاوضات  
سلع اخرى ويكون على حكومة اسرائيل دفع الترميمات المناسبة  
للمنتج الاسرائيلي . وهذه الحقائق الاولى البسيطة تظهر كم هي خرافة  
حكاية الصناعة الاسرائيلية وبجانب هذه الصناعة المزعومة الى اسواق

---

(١) - الاقتصاد الاسرائيلي ... المصدر السابق - ص ٢٢٢

"عشرات الملايين" حسب ما يزعم انه خبير اقتصادي ، اعني الايديولوجي  
المنافس شاؤول زراحي .

لكن دراسة الدكتور صايغ لم يكن هدفها فقط اظهار الوقائع البسيطة  
عن تكوين السلمة في الاقتصاد الاسرائيلي بل كان الهدف اكثر اهمية  
وشمولا . فالدكتور صايغ هو اول اقتصادي عربي يكشف عن حقيقة الاعتماد  
الاسرائيلي باعتباره اقتصادا طفيليا لا تسمح موارده الداخلية بمسد  
حاجة المجتمع والدولة ، الاحتياج المدني والعسكري ، وبشكل قاطع  
الاحتياجات التي تستدعيها الاهداف التي ترسمها الفئات المناكفة في  
دولة اسرائيل . وبالنظر الى هذه الاهداف التي تتعدى حدود الموارد  
المحلية فان الاقتصاد الاسرائيلي مجبر على الاعتماد على المون الخارجي  
اعتمادا اساسيا ، دائما ومزمنا . وهذه عامة اسرائيلية خاصة ولها  
دلالة استراتيجية بالغة الخطورة . يقول الدكتور صايغ : " ان تحقيق  
الوضع .. المتجسد في عجز الموارد المحلية المتطاعة عن الاستجابات  
ينشأ في الاساس وبكل بساطة عن تصميم المجتمع الاسرائيلي على تحقيق  
اهداف مميّنة تعجز الموارد المحلية عن القيام بمتطلباتها " .

وبعد الاهداف التي تتكون بالاعرى في اطارها رغبات الحرب وايدىولوجيا  
الحرب في دولة اسرائيل وتعجز الموارد الداخلية عن سدائها ، <sup>في</sup> يجب ان  
ضم اكبر من طاقة اسرائيل او ربما عشر اسرائيلات مشابهة ، واستيعاب  
مهاجرين بحجم سنوى هائل ، وحياة رفاهية مصلحة واستهلاك شبيه بما يحدث  
في الولايات المتحدة . " فابقاء باب الهجرة مفتوحا - يكتب الدكتور  
صايغ - لليهود الراغبين في الاستيطان باسرائيل وتوفير الفرر لاسكان  
هؤلاء المهاجرين واستيعابهم ، والحفاظ على قوة عسكرية كبيرة مجهزة  
تجهيزا ضخما وحدينا ، وتوفير خدمات عامة سخية ، واصرار المجتمع على  
رفع مستوى الاستلاك الخاسر مع ارتفاع الدخل - ان هذه الاهداف مجتمعة  
تدلل على ان الموارد ما لا قدرة للاقتصاد الاسرائيلي على اتاحته من الداخل  
فهي تتطلب حتما معدلا من الاستثمار لا يمكن تأمينه الى جانب متطلبات

الاستهلاك . من هنا كانت متسبة اللجوء الى الدول الاقتصادية الاخرى .  
النجم بسبب استمرار الاصرار على التمتع بمستويات الاستهلاك والاستثمار  
الحالية وبمعدلات نموها\* . . . اي ان هنالك تغازبا اساسيا داخليا بين  
جميع الموارد المحلية وجملة الاعداد ، ولا سبيل للخروج من حلقة التناوب  
المفرغة بدون الاستناد الى السمونات الاجنبية التي تتيح من الموارد  
الخارجية ما يكفي لاجاد التبادل بين الموارد المتاحة من جهة  
والاستثمارات المبتغاة من الجهة الاخرى (١) .

---

\* - ان الناتج القومي الاجمالي وهو مقياس نشاط المجتمع والاقتصاد  
لم يفتافي مجموعه خلال السنوات ١٩٥٠ - ١٩٦٤ بتطلبات الاستهلاك  
الخارج والاستهلاك الحكومي العام . أي ان الموارد المتاحة محليا اتل  
من الاستثمارات بمقدار يزيد عن حجم الاستثمار القائم بحيث يتسرع  
المال الخارجي بتوفير الموارد للاستثمار القائم ولتتم صغير من  
الاستهلاك ايضا . " هذا وضع يندر ان يوجد مثله " ، انه وضع يشكل  
الرصيد الاستيرادي ( الفرق بين الواردات والمادرات ) نسبة ٢٣٩ ٪  
في المتوسط من جملة الموارد المتاحة وتبلغ ٣٣٩ بالمائة . في  
المتوسط من الناتج القومي الاجمالي ( المصدر نفسه - ص ٢٤١ )

---



من هي الجهات الخارجية التي تمتد اسرائيل بالمراد الانانية المملوكة ؟  
الحركة الصهيونية والمنظمات اليهودية في العالم ، وحكومات الدول  
الامبريالية التي لها مصلحة في وجود اسرائيل وبالاخرى في حروبها . ولم  
تنفرد الولايات المتحدة بالدعم ، على الاقل بالدعم المثلثي ، الا بعد  
حرب حزيران . فقبل تلك الحرب كان الالمان والانكليز والفرنسيون  
والاميركيون يتشاركون في تقديم هذا الدعم . هذه القوى الخارجية هي  
التي توسع ساحة الموارد التي تصب في خزانة اسرائيل مما يجعلها  
تتابع اهدافا اكبر من حجم مواردها المحلية بما لا يتناسب دون ان يظهر  
في وجهها اية ضغوطات او اختناقات اجتماعية كما يحدث في الحالات  
السادية عندما تدالب حكومة من شعبها اكثر مما هو قادر على تقديمه .  
يقول الدكتور ماينغ : " وبعبارة اخرى ان اسرائيل ( تساندها فسي  
ذلك الحركة الصهيونية ( السالمية ) حولت السبب الثقيل من الاكتاف  
موالئها الى اكتاف اليهود في الخارج واكتاف الحكومات الالمانية  
والامريكية والفرنسية ومجبي الصهيونية واسرائيل من غير اليهود " (١) .

#### الاعتماد الطفيلي والحرب :

في عام ١٩٦٢ بدأت تهاجر في الافق علائم ازمة اقتصادية جديدة فسي  
اسرائيل . فالزيت الذي صب في الدواليب بسبب حرب ١٩٥٦ قد بدأ يجف  
وشرعت العربية الصهيونية بالصرير . كما ان اتفاقية التمريضات  
الالمانية ( ١٢٥ مليون دولار سنويا ) اوشكت على الانتهاء . وحكومة  
اسرائيل ، في محاولة منها لتخفيف التدهور حيث بلغ العجز في ميزان  
المدفوعات ٤٥٥ مليون دولار ، قامت برسم سياسة اقتصادية جديدة بهدف  
رئيسي وهو خفض الاعتماد على المبيعات الخارجية . وكان تقدير الخلة  
ان العجز في ميزان المدفوعات سوف ينخفض في عام ١٩٦٥ الى ٢٢٥ مليون  
دولار وفي عام ١٩٦٦ الى ٢٥٠ مليون دولار . وهكذا دراليك حتى التوازن  
بين الواردات والمادرات .

والدكتور صايغ خصر الفصل التاسع من كتابه (الاقتصاد الاسرائيلي) لمناقشة خطة الحكومة الاسرائيلية في سياستها الاقتصادية الجديدة . وقد توصل بعد مناقشة الخطة بندا بندا ورقما ورقما ان السياسة الاقتصادية الجديدة للحكومة اسرائيل سوف تفشل لا محالة . وان حكومة اسرائيل سوف تسقط في مازق اقتصادي اعتبارا من عام ١٩٦٥ ولن يكون بوسعها ان تخرج من الازمة بالوسائل الاقتصادية المعروفة . والبدي نيت فيما بعد ان تنسب الدكتور صايغ كانت صحيحة وان حسابات حكومة اسرائيل كانت غير صحيحة .

فقد فُغر السبزي ميزان المدفوعات في سنة ١٩٦٤ الى ٥٢٨ مليون دولار وهو عجز قياسي حتى ذلك التاريخ .

اما ما يهم هنا فهي استنتاجات الدكتور صايغ حول سلوك الفئة الحاكمة في اسرائيل ، التي استمرت العيش الطفيلي على اكتاف الآخرين ، عندما تتحقق من استحالة الخروج من الازمة بالوسائل العادية . لان الطريق الوحيد المفتوح لحل الازمة سيكون بالاعتماد على تدفق الاموال من الخارج ، لكن هذا التدفق كان دائما يزداد شدة مع ظهور بؤابر الازمات او الاخلار التي تحدث بالمستولنة اليهودية في فلسطين او بالجاليات اليهودية في البلدان الاخرى . وبالنسبة لصناديق الجباية اليهودية ، صارت هذه المسألة بمثابة قانون . فكلما كان الخطر اشد كلما كانت كمية المال اثبر وكلما كان الخطر اقل يكون المال بالتناسب اقل . استنادا الى هذه الحقائق سأل الدكتور صايغ ، كيف يكون تصرف الفئة الحاكمة في اسرائيل عندما " تتحقق من عجزها عن خفض حاجتها الى العون الاجنبي " بالشكل الذي تحلم به ؟ . يقول هنا .. " علينا اذن ان نكتشف السبل غير الاقتصادية التي قد تسلكها اسرائيل لتؤمن لنفسها ذلك السيل من العون الاجنبي الذي تتطلبه لاجبات مجتمعا واقتصاديا وجيشيا في الانراض الاقتصادية وغير الاقتصادية " (١) .

وبرؤية العالم المتميزة والناشئة تراء الدكتور صايغ في البنية الاقتصادية ومنا لترب حزيران ١٩٦٧ قبل وثوعها بثلاث سنوات. وتناد القراءة تومي وكأنها حدثت بعد الحرب وليس قبلها . فقد وصف الملوك الابدولوجي للفئة السائدة في اسرائيل وكأنه شاهد عيان في ايار وحزيران من عام ١٩٦٧ . فقد كتب : " كذلك لن يكون من الميسر لاسرائيل الحصول على السنوات الضخمة دون وجود تهديد عسري ( او سياسي فعال ) يجابهها تستطيع استغلاله . وقد يكون هذا التهديد (١) فعليا وفعالا او مداميا ، او (٢) مصطنعا تدعيه هي لاغراضها . فاذا كان غير مصطنع فان لجوء اسرائيل الى مخونة اصدقائها يكون سهل التحقيق . واذا كان مصطنعا تضطر اسرائيل في سبيل انجاحه الى حملة سياسية ودعائية بارعة وشخمة لتنتقل جو الرعب المراد خلقه الى الدوائر الخارجية التي ترغب في التأثير عليها " واعتمادا على اختبار السنوات الماضية منذ قيام اسرائيل تستطيع التعميم ان ظهور حملة دعائية شخمة يعني التغطية لاعداد حملة سياسية او عسكرية ضد العرب .

" نمود الان الى النقطة التي انطلقنا منها وهي مسألة استغلال اسرائيل لما يتهددها من خطر . فنقول انه مهما كان الخطر الذي تشكو منه اسرائيل وسواء حقيقيا او وهميا واصطناعيا ، وسواء كانت حملة اسرائيل في الخارج تستهدف اغراضا دعائية ام سياسية ام عسكرية فانها في كل الاحوال تستهدف رفع المونة الاجنبية وتنتهي بالتالي الى الضيق للحصول على المزيد من السلع الاجنبية " . يبقى اذا خط تصرف واحد مفتوحا امام اسرائيل .. هذا الخط هو استغلال او خلق الازيات لتأمين استمرار المونة الدافقة التي يتطلبها الحفاظ على معدل متزايد المستويات الحاضر من نمو واستهلاك

" ان المدلول الرئيسي لهذا التحليل، يتنمى في حقيقة قيام اسرائيل باصطناع الازمات السياسية أو العسكرية أو تلك التي تتعلق بالجوالي اليهودية في الخارج ، بشكل يكاد يكون دوريا ، من اجل التسلب على الازمة الاقتصادية ، ان لم تبد امامها ازمات حقيقية يخلقها لها السرب " . لا مفر من الاستنتاج ان اختيار اسرائيل بين التبول بالبطء في التقدم الاقتصادي او خلق الازمة سيكون خلق الازمة كما ان لا مفر من الاستنتاج انه مهما كان نوع الازمات ودرجة جدتها فانها ستحتج استمرار اضطرار اسرائيل الى الاعتماد على السوق الاقتصادي الاجنبي الشخم " (١) .

حقيقة كانت تلك رؤية عبثية . فقد وضع الدكتور صايغ منذ ذلك الوقت قوانين لسلوك الدليقة الحاكمة في اسرائيل ما تزال صحيحة وثابتة حتى اليوم . فالسلطات الحاكمة في اسرائيل عندما تأكدت في عينه من عدم قدرتها على الخروج من الازمة بعمل اقتصادي كانت مضطرة للمحاذلة على بقائها في السلسلة ان تفتش عن الحل السكري . وبالنظر تفاقم الوضع الاقتصادي في اسرائيل اعتبارا من عام ١٩٦٦ . وعند مطلع عام ١٩٦٧ بدا الوضع كارثيا ، فقد خرج ١٠٪ من قوة العمل الى حالة البطالة وكان من الطبيعي ان يتناول في البداية الطبقات الفقيرة وهي في اغلبيتها من اليهود الشرقيين . وفي اللحظة التي بات من المحتمل ان يختل فيها الصراع<sup>الطبيقي مع</sup> المنصرى التامن في تركيب المجتمع الاسرائيلي ، فقد اعلنت حكومة اسرائيل ، بواسطة اجهزتها الدعائية الجبارة تساندها في ذلك الاجهزة الامبريالية على النطاق العالمي ، لشعبها وللعالَم الخارجي بان المجتمع اليهودي في فلسطين مهتدد بالابادة . وان مئة مليون عربي ومسلم بقدر عددهم عساكر ومدافع ،

يحيلون باسرائيل من قبل جانب وانهم ، اذا لم تعدت حجرة ، " سرعان  
يرمون اسرائيل في البحر " لا محالة . ولم يكن هناك ما هو اسهل  
على الدعاة الاسرائيليين " تعاونهم مبالغات الحرب اللفظية - كما  
قال دويتشر - من ان يثيروا الخوف من " حل نهائي " اخر يهدد اليهود  
في اسيا هذه المرة . واستحضر الدعاة الاسالير الدينية ، والرموز  
الدينية - القومية المتينة كلها من التاريخ اليهودي ، واستنفروا  
ذلك السمار من السداوة والطف والتعصب ، التي استمرضاها الاسرائيليون  
بشكل منير وهم يندفعون الى سيناء وحائل المبكى ونهر الاردن " (١) .  
لقد خرج الجيش الاسرائيلي من خلف تحصيناته في حزيران ١٩٦٧ ، وبضربة  
واحدة نهب الجولان وبي من اخصب المناطق السورية ، والنصف الغربية  
التي سخر مواطنيها وعمالها للعمل بنصف اجر الدامل الاسرائيلي  
وشرع في نفس الوقت وما يزال ينهب اراضيها دونما بعد دونم ،  
واستولى على بترول سيناء الذي حقق لدولة اسرائيل الاكتفاء الذاتي  
من ائمن سلعة في هذا العصر ( ٦ ملايين طن في العام ) وظل يستنك  
مدة ١٤ عاما حتى انسحابه عن آبار النفط في سيناء عام ١٩٨١ .  
ولقد كانت هذه المناسبات الاقتصادية زائدا تبرعات يهود العالم  
ومنها الهدايا الامبريالية هي الاساس في التاور الاقتصادي والسكري  
الذي حاربت اسرائيل من فوقه في حرب تشرين ١٩٧٣ ومن ثم استمدادها  
لشنزو لبنان في حزيران ١٩٨٢ .  
وفي التاكيد هنا على دراسة الدكتور صايخ ، فان المبالغ التي  
مملت عليها حكومة اسرائيل من جيوب اليهود في العالم ، يكاد  
يكون منرب مثل : كانت الاجهزة الدعائية الصهيونية والمالية  
قد نتلت ليهود العالم صورة زائفة عن قوة جيوش الحكومات العربية  
فأرعبتهم . وقد فاقوا فعلا على ما يظهر ، ان اسرائيل قد تلحن في

• هذه الحرب • وعندما بدأت الحركة النضالية عادت - الامة ذاتها -  
 فنقلت لهم الصور الاساورية عن "داود" الذي شن غالى "بوليسات"  
 العربي المدع ارضا بـ "حصة من متاعه" : ان مثل هذه الصورة  
 الابديولوجية ومعهما دزينة مثلها عن "المنابيين" والـ "المسكادان"  
 وـ "جنود يشوع" وـ "ذكرى الكارثة والبطولة" • قد اعتقدت يهود العالم  
 صوابهم ، فكادوا يخلصون نياهم ويلقون بها في ضاديق الجباية  
 الصهيونية • وبهذا الصدد كتب مارك هيلل : "اعلى اليهود عام ١٩٦٧  
 اريسة اضافنا اعلوه ني عام ١٩٤٨ ، عام ولادة اسرائيل" •  
 وقد لخبر رئيس صندوق الجباية ( النداء اليهودى الموحد ) ادوار غينسبرغ  
 في حديث مع جريدة اسرائيلية في شباط ١٩٦٨ ، وهو يصرر مواقف اليهود  
 الامريكيين : " لقد اثار حداث مايس - حزيران ١٩٦٧ اليهود الامريكيين  
 وبذل الجباة كثيرا من الجهود حتى استطاع نشاءهم في الجباية ان يصاب  
 تدفق الهبات " (١) • وفي فرنسا كتبت مجلة كاثويد : " لاقت لجنة المليار  
 من اجل فيتنام الكثير من المصاب في جمع هذا المبلغ من ٥٠ مليون  
 فرنسي " • وجمع من نصف مليون يهودى من اجل اسرائيل ، في بضع ساعات  
 مبالغ كبيرة جدا ، يجهل حتى وزير المال الاسرائيلي نفسه مجموعها " (٢)  
 • ان الاتحاد الصهيوني - كتب اينانوف - والواسط الاسرائيلية النائية ،  
 تلقت في فترة العدوان الاخير (١٩٦٧) الذى شن على الدول العربية ،  
 كميات " صافية " من الدولارات كافية بكل يسر للاقدام على عدة مشايرات  
 مشابهة " (٣)

(١) - هيلل ، مارك - اسرائيل في خال من السلام - ترجمة ادارة

التوجيه المهنوى - دمشق ١٩٧٠ - ص ٢٥٢ - ٢٥٣

(٢) - المصدر نفسه - ص ٢٨١

(٣) - احذروا الصهيونية - المصدر السابق - ص ١٥١

خبرة صهيونية مكتسبة، وإمام المؤتمر الصهيوني السابق والعشرين.  
١٦٦٨ ، تال رئيس اللجنة الصهيونية بضمه (لويس آرييه بينتوس) ،  
وكان يستغل معنى اكتفاء الجيل في عام ١٦٦٨ عن عام الحرب ١٦٦٧ ،  
" لا توجد أية صيانة لكي تبقى نقطة حزيران (يونيو) ١٦٦٧ دوسا  
طبيعية وظاهرة ، وسأذكر نموذجاً واحداً ، أراد اشخاص كثيرون ان يتبرعوا  
في حزيران (يونيو) ١٦٦٧ ولم ينتظروا حتى يطلب اليهم ذلك ولشئهم  
احضروا الاموال بانفسهم . اما اليوم فانهم يقولون : اذا نشبت حرب  
مرة اخرى سنقوم بمثل هذه الجباية ، ولكن لا حاجة الان الى تجنب  
انفسنا بنفس المقدار " (١) .

### غلاء ايدولوجي فوق عليا النخب :

لقد قامت اجهزة الدولة الايدولوجية في اسرائيل خلال مرحلة الاقامة  
والحرب بمهمتها السبئية لها ، فابتدت عن الانظار حقيقة ان الفئة الحاكمة  
في اسرائيل قد تعدت القيام بحرب خلدت لها مسبقا بهدف النهيد . وتام  
بحمايتها في تلك العملية النخمة اسيادها الاميراليون الامريكيون  
الذين كانت لهم اهداف استراتيجية اوسع نطاقا وتأتدت بشكل اختباري  
ونودجي تلك الفترة التي وشها انجلز والتي تقول ان الدولة اكبر  
مولد للايدولوجيا لان اساسها الاقتصادي غير شفاف . اذ ان " الملائكة  
مع الوظائف الاقتصادية تختفي بصورة تامة عند مغربي السياسة " وعند  
جميع الايدولوجيين من مختلف الانصاف . فتظهر الدولة خلال عملها ،  
وخاصة في اخلا مسألة مثل الحرب ، وكأنها تنطلق من قواعد اخرى  
مثل الحق والعدل ، حق البناء والدفاع المشروع عن النفس .. الخ .  
ولذلك يبدو الشكل الحقوقي - قال انجلز - كأنه كل شيء ، اما المحتوى  
الاقتصادي فلا شيء " . (٢)

(١) - المؤتمر الصهيوني السابق والشرون ١٩٦٨ - ج ٢ - مركز البحوث  
الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالاعرام - القاهرة - ١٩٧١

(٢) - انجلز ، فريدريك .. لودفنغ فوريخ ونهاية الفلسفة التلاسيكية  
الالمانية - دار التقدم - موسكو ١٩٦٧ - ص ٦٣

وبالضد كان اول عمل قام به ذلك الدلائم الذي بلور بحلة الحرب باسم  
تسميتها " حرب الايام الستة " بحيث تتلالت مع رواية خلق العالم  
كما وردت في التوراة . وقد استغل هؤلاء نرجسية الاجهزة الايديولوجية  
لدى الحكومات العربية التي كانت آنذاك قد عكست تصورا مزيفا عن  
حقيقة الموقف " وميزان القوى ، فصمروا موقفا للدفاع عن النفس تبلى  
بشكل مكثف في امر القتال الذي عذر للجيوش الاسرائيلية في صبيحة  
يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ : " بدأ العدو المصري عدوانه بتفد ابادتنا ،  
وبما نحن اليوم ، كما كنا من قبل ، بحيلة بنا الاعداء من كل جهة ،  
الا ان روح شعب اسرائيل البطولية توافقتنا في هذه المعركة . والشبابة  
الابدية التي يتحلى بها جنود يشوع والملك داود ، والمكابيون ،  
وجنود حرب الاستقلال وحرب سيناء ، هي منبع قوتنا وستيج لنا التئيب  
على العدو الذي يهدد مستقبل بلدنا . ان انتصارنا مؤمن لنا السلام ،  
ويكفل سلامة اولادنا واجيالنا المقبلة " (١) .

وقد ذكر ياكوب باربيون ، وهو باحث مناصر في نظرية الايديولوجيات ،  
ان رجل الدولة المصالح تماما على حقيقة الوضع يرى من مصلحته ان يصرح  
تصورا ايديولوجيا عن الواقع مغايرا تماما للحقيقة . " فهو يملك  
معرفة بالوقائع المعنية ، لكنه يصرح هذه الوقائع امام الآخرين بصورة  
مغايرة ، اى يعرضها على نحنو يخدم مصالحه - سواء كانت  
هذه المصالح تتعلق بنظرة شاملة الى العالم ، او مصالح  
اقتصادية ، او تمت بصلة الى سياسة القوة والنفوذ .  
وهنا لا يساني الايديولوجي من نقى في معرفة الحقيقة ، بل

---

(١) - بين بورات وأورى دان - الميراج تواجه الميخ - ترجمة ادارة



ينقعه الصدق \* . فهو نفسه لا يضل ، بل يتودد الآخرين عن ربي الى  
الدول فيضلهم \* (١) .

ومن هذا الطراز الايديولوجي الجديد ، المنافق الذي يتمدد اضلال  
الآخرين يجب ان يعد الجنرال اسحق رابين على رأس القائمة . فقد كان  
رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران ١٩٦٧ . بموجب مرسومه  
كان رئيسا لمجموعة الخطة العسكرية في القيادة العامة . وهو يصر  
بوضوح تام السبب الاسرائيلي وايضا السبب الامريكي لتلك الحرب . كما  
يصرح بوضوح تام قوة تلك البيوش السرية التي كان عليه ان يحاربها .  
وقد تكون معرفته عن قوتها بعد انتهاء الممارك لا تتكلف كثيرا عن  
معرفته بها قبل بدء الحرب . ولكنه عندما دعي لالتقاء محاضرة في  
الجامعة السرية على اثر انتهاء الممارك ، قال : " لقد هاجم ايارونا

---

\* - في المعنى الماركسي الاساسي لايديولوجي ، كما وضع من قبل ماركس  
وانجلز في (الايديولوجيا الالمانية) وفي كتابات انجلز فيما بعد ،  
لا يتمدد الايديولوجي الكذب او اضلال الآخرين وانما يقع هو نفسه خيبة  
ضلالة عن الواقع . فيتمور دوافع فكرية او اخلاقية منالية خلف اعمال  
وتنبيب عن فكره القوي المحركة الحقيقية مثل مصالح الطبقات او المصالح  
المادية . ولكن هذا المعنى تطور فيما بعد فصار ~~ايديولوجيا~~ رجل دولة يمكن  
ان يتحدث لنة الايديولوجيا ، اي يصور نفسه مدفوعا بدوافع منالية  
بينما يكون في الواقع منافقا لانه يصرح الحقيقة تماما . وهذا المعنى  
الاخير يتدلى تقريبا على جميع رجال الدولة والايديولوجيين الرسميين  
في اسرائيل ، وخاصة اولئك القريبين من مركز القرارات السياسية  
او ذوي الثقافة المؤهلين بتفكيرهم للاطلاع على الحقيقة .

---

(١) - باريون ، ياكوب - - ما هي الايديولوجية ؟ - تريب د . اسد

رزوي - الدار العلمية - بيروت ١٩٧١ - ص ١٠٠ - ١٠١

مطارات الاعداء باحكام لم يتوصل الناس الى تصوره ، ويساؤل الخبراء  
تفسيره بلجونا الى اسلحة سرية [ اراد ان يوحي وكان توى الهيئة ابدت  
جيشه على ساحة المركبة ] ، ومدركاتنا بجابهت الصدر وتغلبت عليه مع  
ان تجهيزها كان دون تجهيزاته . وجنودنا ، من الاسلحة المختلفة انتصروا  
رغم تفوق العدو العددي ورغم تحصيناته ... ان كل ذلك ينبثق من الروح  
ولقد كانت الغلبة لمقاتلينا لا بفضل اسلحتهم ، انما بفضل شسورهم  
وايمانهم وبسالتهم في المعاناة على وجود شعبنا في وطنه والممانعة  
على حق اسرائيل في العيش والبقاء \* (١) .

اما اولئك الايديولوجيون البعيدون عن مركز الثرار الاقتصادي والسياسي  
او الذين ينتمون لطلا الى فئات اخرى غير الفئات التي تشكل منها  
سلطة الدولة ، وهم الذين يمكن ان يروا العالم بالملتبس او على غير  
حقيقته كما اشار هنري لوفيفر (٢) ، اما بسبب بعدهم عن المركز او بسبب  
من مهنتهم وتخصصاتهم ، مثل رجال الادب ورجال الدين ، وهم اشخاص زودوا  
نائدة للسلطات الحاكمة اكثر من غيرهم باعتبارهم لا يسهون ما اذا يقولون ،  
فقد شرعوا بتدبيح الخطابات في القطب الشمالي عندما كانت اسباب الحرب  
في القطب الجنوبي . هل قال الادب " وراثي " في حزيران مثلما فعل قادة  
الجيش الاسرائيلي ؟ لا ، لا هذا ولا ذاك . الذي قال اولا ، ومنذ الازل ،  
" وراثي " هو العهد القديم . كتاب الكتب . طقم كامل من الادباء ممن  
يسمون اصحاب نظرة توسمية في اسرائيل ( اسحق شيلاف ، بنيامين جيلاي ،  
وموشي دور ، وموشي براجر ) كلهم اقرروا ان اول من قال " وراثي " الى  
حدود " ارض اسرائيل الكاملة " هو التوراة ثم جاء جيش الدفاع الاسرائيلي  
للتنفيذ نقلا . " هناك كتاب واحد فقط وهو " التاناخ " ( العهد القديم )  
الذي قال " وراثي " وقد رد عليه الواقع وسيرد عليه قائلا " امين " (٣) .

(١) المبراج تواجه الميخ - المصدر السابق - المقدمة .

(٢) لوفيفر ، هنري - ماركس وعلم الاجتماع - ترجمة بدر الدين قاسم الرعاي

منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧١ - ص - ٧٤

(٣) ش . ف - ١٥ تشرين ثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٢ ص ١٨٠ و ١٨٢

(١) حاخام ، من مجموعة الايديولوجيين الدينيين ، ( ايوجين بوروفيتز ) اشار الى ان حرب ١٩٦٧ كانت مسألة لاوتية وليس مسألة عسكرية . فلم تكن دولة اسرائيل هي المهددة ، بل الله نفسه " الله نفسه هو الذي كان مهددا " (١) .

الدكتور رشاد الشامي ، مدرس الادب في جامعة عين شمس ، اعد دراسة عن الادب الايديولوجي الذي قام بتفطية احداث الحرب وانعكاساتها ، قال : " ان تحويل قادة اسرائيل الى آلهة خرافية في الكتابات التي صدرت عن حرب حزيران ١٩٦٧ ، كانت من السمات الشائعة بشكل يدعو للدهشة في الادب الوثائقي عن هذه الحرب " (٢) .

الضابط الاسرائيلي : " الا يذكر ما يجري على ارض التوراة بالتوراة ؟ " الضحى : " انا بدوري اريد ان اسالك ، الا يبدو ان رجوع الاسرائيليين المتكرر الى التوراة في هذه الايام ، هو للبحث عن تبرئة لافعالهم ؟ " الضابط مرة اخرى " كل شيء " كما في التوراة " حان اليوم السابع " ، ويمقدورنا ان نتنفس الصعداء . لملك لاحظت ان الحرب استمرت ستة ايام " (٣) لم يمض الا وقت قصير . بضع سنوات او ما كان كافيا لكي يتأكد جميع الناس ان الحديث عن اسرائيل " الصغيرة المهددة " ليس اكثر من سخافة عند ذلك تقدم اصحاب العلاقة انفسهم ، رجال القرارات ، وعلى الاغلب لاسباب تتعلق بنزاعاتهم المعتادة على الشائم ، فاعلنوا ان كسل النسيج الايديولوجي الذي تم صنعه فوق دولة اسرائيل في حرب حزيران كان منشوشا . فقد قال العميد ( فيتيانو بيليد ) رئيس قسم الامداد والتموين في القيادة العامة اثناء الحرب : " ان النارية التي تعتبر ان اسرائيل كانت عرضة لخطر الابداء في حزيران ١٩٦٧ ، وانها حاربت في سبيل كيانها المادي آنذاك ، ليست سوى خدعة ولدت ونمت بعد الحرب " اذن لماذا الحرب ؟ يضيف بيليد : " عندما كنا نتحدث عن الحرب فيسي

(١) الايديولوجيا الصهيونية - ج ٢ - المصدر السابق - ص ٢٣١

(٢) ش . ف - ١٠ - حزيران ( يونيو ) ١٩٧٢ - ص ٩٣

(٣) بلياف ، يوري - اليوم السابع كالיום الاول - بالروسية -

الاركان السامة ، كان حديثا يدور عن المناهضة السياسية التي سوف تترتب على عدم خوضنا للحرب . اما الجنرال (عيزر وايزمن) نائب رئيس الاركان آنذاك ورئيس شعبة العمليات ، فقد قال : " انني مستعد للمرافقة على ان وجود دولة اسرائيل لم يترسّس لخطر الدمار .. ولكن هذا لا يعني اننا كنا نستطيع الامتناع عن ضرب المصريين والاردنيين والسوريين ، ولو فعلنا ذلك لما استمرت دولة اسرائيل قائمة بنفس الروح والجوهر " (١) .

لقد مارب حكام اسرائيل في حزيران ١٩٦٧ ، كما في حروبهم التي سبقت والتي لحقت ، لانهم منذ قيام دولتهم بل ومنذ تأسيس المستوطنة ، قد تمودوا السيش الطفيلي على حساب الآخرين . ولم يكن لديهم في اى وقت ما يبيعونه او يتسوقونه في الاسواق السرية سوى الحرب . فالحرب هي تجارتهم الوحيدة وهي اسلوب معيشتهم ولولا الحرب لما كانوا موجودين اصلا في فلسطين . " يمكن اختزال الصناعات الاسرائيلية الى مناعتين - قال باحث في مؤسسة الارش - صناعة تجنيد المهاجرين واستيعابهم وصناعة الحرب . ومن خلال تشغيل هاتين الصناعتين يبدو المجتمع الاسرائيلي وكأنه ورشة عمل . اما اذا توقفت هاتان الصناعتان او توقفت احداهما فان الارتباك والجمود يصبحان سيد الموقف " (٢) . ولم يعد التساؤل المطروح من قبل الباحثين الاقتصاديين ماذا تصنع اسرائيل وماذا تبيع ، ولكن ماذا سيصنع حكام تل ابيب بانفسهم اذا ما توقفت هذه الحرب لسبب من الاسباب .

كان من المفروض ان يدقق الدكتور المظلم في اقوال شاوول زراحي فلا يعتبرها هكذا بسرعة " مثالا على الصراحة والوضوح " . لان زراحي كان قد نشر مقالته في العدد الخاص من مجلة "الزمنة الحديثة" الذي خصص لموضوعات الصراع العربي - الاسرائيلي والذي صدر عام ١٩٦٦ .

(١) - ش . ف . - عدد ١٣ - ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٢ ص ٢٠

(٢) - بنية ومشاكل التجمع الاستيطاني - المصدر السابق - ص ٢٤

اى انه نشر في نفس الوقت الذي كانت تتحرك اسرائيل تد تآتدت في  
 انه لا يخرج امامها من الازمة الاقتصادية سوى الخروج للحرب لكي تجلب  
 مالا وتبقى في السلطة . ويحتمل ان لا يكون زراعي ايدولوجي طيب القلب  
 اذ يحتمل انه في مقاله الملفق عن خاجة صناعة اسرائيل للاسواق العربية  
 كان يتوهم بمهمة تحليل رخيصة للرأى العام الاوروي قبل الحرب مباشرة .  
 وذلك حتى يترسخ لدى الاوروبيين الاعتقاد ان دولة اسرائيل تحب الفلاحة  
 او الصناعة اكثر مما الشح بالحرب . وهذه صورة ايدولوجية ترغب ابهزة  
 الدولة الروسية ان ينظر العالم الى اسرائيل من خلالها . وفي صورة  
 ضرورة ايضا لابتزاز المال في الوقت المناسب .

### الحدود الامنة تسد ابواب الحرب :

قالت غولدا مائير " انها ترغب ضمانات الدول الكبرى وترفض الضمانات  
 الدولية للحدود . . . بما في ذلك فكرة القوات الدولية على الحدود " .  
 ما هو هذا الشيء السبائبي الذي يسبب الدوار ؟ " كيف نشر هذا التملب  
 الاسرائيلي الشديد ؟ " . فعلا ، كيف نفسره ؟ غولدا مائير ترغب في ان تذيب  
 " لتنتري حاجياتها من اسواق القاهرة وتحب ان تتم هذه العملية بدون  
 عراقيل . واول الطريق في تنفيذ مثل هذه الرغبة يكون " برفض كل  
 مبادرات السلام العربية والدولية " . وواضح ان الامر هنا يتنمن شيئا  
 من الطرافة بسبب فقدان الترابط المنطقي بين الاسباب والمسببات . وليس  
 الذنب في هذا ذنب الدكتور السخلم بالدربة الاولى . فالایدولوجيات  
 السائدة في البلدان العربية كانت حتى وقت قبول عبد الناصر بمبادرة  
 روجرز ( ١٩٢٠ ) قد خلقت الانطباع في ذهن المواطن العربي ان دولته  
 اسرائيل لا تنتظر اكثر من غمزة سلام صغيرة من اية دولة عربية حتى تترك  
 على ركبتيها وتتنازل ربما حتى حدود التقسيم لسنة ١٩٤٧ . ولكن عندما  
 جاء الجد ، وخاصة بعد ان نزل انور السادات الى الساحة وصار يطلب  
 اى حل سلمي حتى ولو جاء من عند الشيطان ، بدأت حكومات اسرائيل

تنازل علنا ضد السلام . وقد أدى هذا المنحى الجديد في السياسة الاسرائيلية الى التسبب بشيء من البلبلة والدوار في الفكر العربي على الجبهة المقابلة بحيث ظهرت السياسة الاسرائيلية الجديدة السادية للسلام وكأنها ظلام لا يمكن فك رموزها .

يلام الدكتور العظم كمفكر ، يسارى خاصة ، انه اخذ كلام غولدا مائير على علته دون ان يتوهم بفحصه على ضوء الواقع ، وخاصة على مدى وقائع تاريخ الحدود " بين الطرفين " ، اسرائيل والدول العربية المجاورة لها . لان الامر هنا لا يحتاج الى " خبير " او " خبراء " اعتمادا . فالامر هنا يؤخذ من سؤال عادي : ترى ، لو كان يوجد ضمانات دولية على الحدود بين العرب والجيش الاسرائيلي يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ ، فكيف كان يمكن ان يسلم الجيش الاسرائيلي الى قناة السويس في الشرب والى نهر الاردن والقبيلة في الشرق ؟ كيف كان يمكن ان تخرج اسرائيل من المأزق الذي وقعت فيه لو انه كان بينها وبين الحدود العربية " جدران من الطرفين " او حدودا آمنة ومسترفا بها ؟ .

ان السهيونيين الحاكمين في اسرائيل ليسوا مجانيين . انهم يبرفون بالضبط من اين يأكلون ويشربون . ولا يمكن ان تحمل بهم الحماية الى القبول بالضمانات الدولية او وضع حواجز تمنعهم من الحرب الا اذا ارغموا على ذلك . " وعندما قررت الامم المتحدة ١٩٥٧ ، وضع قوات الطوارئ الدولية على الحدود بين مصر واسرائيل ، لتجنب حوادث الحدود بين البلدين ، قبلت مصر تنفيذ القرار ووضع هذه القوات على اراضيها . . . بينما رفضت اسرائيل تنفيذ القرار الذي كان يقضي بوضع هذه القوات على الجانب الاخر -

الاسرائيلي - من الهدنة ايضا " (١) . وفي ١٩٦٩/٢/٢٩ قال عبد الناصر لمندوب مجلة نيوزويك الامريكية : " عليك ان تذكر اننا جلسنا مع الاسرائيليين بعد حرب سنة ١٩٤٨ لاتفاقية الهدنة . وحتى حرب ١٩٥٦ كانت لجان مشتركة تنم مراقبين للامم المتحدة . والاسرائيليون هم الذين رفضوا

الاستمرار في ذلك بعد سنة ١٩٥٦ " (١) . ومرة أخرى قال عبد الناصر  
: " عندما طلبنا سحب القوات الدولية [نيسان ١٩٦٧] كانت هناك  
اجتجاجات من جانب الاسرائيليين باننا طلبنا سحب قوات البوليس الدولية .  
لكنهم رفضوا ان يذكروا ، او ان الناس رثوا ان يتذكروا ، ان الاسرائيليين  
هم الذين رفضوا منذ عشر سنوات وجود قوات البوليس الدولي عندهم " وعند  
ادرك عبد الناصر بعد تجربة حرب حزيران ان المسألة لا تتبدل بانسواع  
الحدود وانواع الضمانات ، بل فيما اذا كانت دولة اسرائيل مستقبل  
بالميش بدون توسع ام انها سوف تتابع منهجها في التوسع " للوصول الى  
حل - اضاف عبد الناصر - فانه يجب على الاسرائيليين بالطبع ان يتخلوا  
عن التوسع ... اما اذا اصرروا على التوسع فلن يكون هناك حل " (٢) .  
وموجود في تاريخ الحدود " بين الطرفين " أيضا : " لقد حاول الملك  
عبدالله ملك الاردن السابق وحاولت بعده كثير من الحكومات الاردنية  
تخفيف التوتر على الحدود بين الاردن واسرائيل حتى لو كان ذلك على  
حساب اضطهاد اللاجئين الفلسطينيين حيث وضعت القوانين لتجريمهم ...  
وانشئت دوريات لمنع التسلل وهي تعمل في الليل في الطرق التي يحدث  
فيها التسلل ، كما انشئت فرق الحراسة الاردنية لحراسة خطوط الهدنة  
الاسرائيلية الاردنية ... وفي فبراير ١٩٥٢ . وتمت حكومة الاردن مسح  
اسرائيل ، تحت اشراف هيئة الرقابة الدولية ، اتفاقية الشادة المحليين  
للتعاون في مقوامة المتسللين ، واتفاقية اخرى في مايو ١٩٥٢ للحفاظ  
على اتفاقية الهدنة . وقد خرقت اسرائيل الاتفاقيتين ، وقامت القوات  
الاسرائيلية في سبتمبر من نفس العام بطرد حوالي الف عربي من قبائل  
الاسالي من اراضيهم الى الاراضي الاردنية ، كما قبض على عدد من الجنود  
الاسرائيليين وهم يتسللون الى جيل سكوبس . وفي ديسمبر من نفس العام ،

(١) الامرام ١٩٦٩/٣/١

(٢) الامرام ١٩٦٩/٤/٢٣

وقعت اتفاقية نالفة من نفس النوع في ٢٩ ديسمبر ١٩٥٢ . ولكن لم يأت الثامن من يناير ١٩٥٣ حتى أعلنت الحكومة الاسرائيلية ان اتفاقية القادة المحليين غير مقبولة . بدلة وتنميلا . وكانت نتيجة هذه المحاولات من جانب حكومات الاردن ان فازت هذه الدولة بالذات بنصيب الاسد من الاعتداءات الاسرائيلية " . وفي ١١/١١/١٩٥٤ تقدم الجنرال بيرنز ، كبير المراقبين الدوليين آنذاك ، باقتراح انشاء سياج من الشريط عند المناطق التي كثرت فيها حوادث التسلل التي انارتها اسرائيل بسدة ، وقبلت مصر الاقتراح ولكن اسرائيل رفضته " (١) .

في تاريخ الحدود بين دولة اسرائيل والدول العربية المجاورة يوجد معنى . ومن يستمع الى جولدا مائير قد يسبب له هذا السنى شيئا من زوغان في البصيرة .

لكن معنى تاريخ الحدود يبقى هو هو وبالتالي هو الاخر ليس مقدرا ، لاسباب تتعلق باسلوب معيشتهم (المسيحيون) ولاسباب تتعلق بالتكوين الدلبي للمجتمع الذي يحكمونه ، كان عليهم ان يسموا على ابقاء الحدود . ساخنة من اجل تحركات الحروب الكبرى وان تكون قابلة لاشتمال السخونة في اى وقت تظاهر فيه على السلاح مطالب اجتماعية واقتصادية من الدلقات الفقيرة في المجتمع الاسرائيلي وهي في غالبيتها من اليهود الشرقيين ، باختصار : كانت حكومة اسرائيل بحاجة دائما الى بعض المتسللين بين حين واخر او على الاقل ابقاء باب التسلل مفتوحا من اجل التوظيف السيكولوجي للفكرة ( فكرة التسلل ) . وكانوا ايضا بحاجة بين حين واخر الى بعض الدلقات او القذائف تلقى عليهم من خلف الحدود او على الاقل الى مجرد افتراض اناسا يمكن ان يلتقوا عليهم بعض القذائف في اى وقت . وعلى اى حال لم تعد مثل هذه المسائل سرا ، فقد كان من حجبهم الرئيسية لغزو لبنان في حزيران ١٩٨٢ ادعائهم انهم



يريدون افساد القذائف " الكاثيوشا " بعيدا عن " كريات شمونة " وقسمه  
اللقوا على السلبية اسم " سلامة البليل " بينما جميع الناس يعلمون  
الان انه كان لديهم خطط استراتيجية بعيدة المدى عندما خرجوا لنزول  
لبنان ولم تكن قذائف الكاثيوشا سوى مبرر لا اكثر ،  
ان اسلاك شائكة بين اللاجئين الفلسطينيين في غزة وبين المستوطنين الاسرائيليين  
في مواجهته على الحدود ، سوف تجعل هذا اليهود الاسرائيليين ينساق  
مطبقنا . واذا شر بالطبانية على حياته سوف يتذكر انه مظلوم لاسباب  
اخرى غير وجود " الاعداء " على الجانب الاخر من خط الحدود . . . وهكذا .  
وهذه الحقيقة ( رغبة السلطات في فكرة التسلسل ) سجلتها بكل ما تحمله  
من دلالة هيلدا شبان صايغ في كتابها القيم عن التمييز العنصري ضد  
اليهود الشرقيين في اسرائيل عندما روت حادثة تتعلق بتواوين مجموعة  
من اليهود العرب في مناطق نائية في النقب . والمادة ان دفعة من  
اليهود النارية كان الدعاة قد صوروا لهم " جنة عدن " واتوا بهم  
الى فلسطين ، ومن الباخرة نزلوا مباشرة بسيارات شاحنة الى صحراء  
النقب . وقد ادرك هؤلاء انهم قد دعوا . " كان المكان قفرا في النقب  
لا شيء الا البرية والرمال والصخور وحيث لم يسموا الا اصوات بنات  
آوى في البعيد . فذهل هؤلاء ورفضوا ان يتركوا الشاحنات او ينزلوا  
منها . وطلبوا ان يؤخذوا الى مكان غير ذلك المكان المقفر . وقد عمل  
المسؤولون بهدم لاقناعهم بالنزول الا انهم اصرروا على الرفض وبشوا في  
الشاحنات الى ان خطر لاحد المودافين خاطر ان يلقى عبارات نارية في  
الغناء المظلم . وقيل للمهاجرين ان ذلك كان انذارا بهجوم من العرب  
فاشار المهاجرون ان ينزلوا الى الاكواخ التي كانت معدة لهم ليختبئوا  
من الرصاص وهكذا بقوا في المكان الذي فرس عليهم " (٤) -

(٤) - صايغ ، هيلدا شبان - التمييز ضد اليهود الشرقيين في  
اسرائيل - مركز الابحاث - بيروت ١٩٧١ ص ٩٣ - ٩٤

(١) - الرب ص ٤ - عدد ٤ - تاريخ ٨ / ٧ - ١٩٨٤ - ص ٢٨ و ٢٩

ان منطقة الجليل الشمالي في اسرائيل مثلاً ، هي المنطقة التي ادعت حكومة بيجن انها خرجت للسرب بهدف الدفاع عنها ، انما هي منطقة غير اوروبية . ومن المؤكد ان الناس بسبب الثقافة السياسية السائدة يجهلون ذلك او غالبية الناس على الاقل . سكان الجليل في غالبيتهم من اليهود الشرقيين ومن السرب الدروز والمسيحيين . ان ٨٣٪ من سكان كريات شمونة هم من اليهود الشرقيين . وفي "مسلوت" ١٩٦٨٪ وفي "حشور" ١٩٤٨٪ يهود شرقيون . وتماشي هذه المنطقة التي تسمى "مناطق تطوير" من الشائكة الاقتصادية وامال الدولة حيث يستبسر هؤلاء مواطنون من الدرجة الثانية قياساً بالاوروبيين الاثكنانيين المتكاملين في اسرائيل . وقد كتبت مجلة الارض " ان نسبة السالمين عن العمل في الجليل تماثل اربعة اضعاف نسبة البطالة في البلاد ككل ، وتشهد مدن كثير اغدق مصانع وتسريح عمال ، مثلما جرى في كريات شمونة . حيث اغلقت في السنوات الثلاث الماضية ثلاث مصانع " (١) .

لذلك فان السلطات الاسرائيلية عندما كانت دائماً تفتعل الاحداث في جنوب لبنان وتبدأ في اطلاق النار وبالاختراقات المتواصلة عبر الحدود كان هدفها ابقاء الجو ملتبساً في هذه المنطقة ، لان ذلك يخفض من حدة المطالب الاجتماعية والسياسية للسكان ويسمح في ذات الوقت لحكومة اسرائيل ان تزيد التوتر لتصل الى الحرب الشاملة عندما تدفعها ضرورتها الداخلية والامبريالية الى ذلك . وهذا ما حصل فعلاً عندما خرج الجيش الاسرائيلي لنزو لبنان في حزيران ١٩٨٢ .

### كان لدى مائير اسباب اخرى

في ذلك الوقت بالذات ، مائع عام ١٩٧١ وصاعداً ، كان لدى مائير وحكومتها اسباب اخرى لـ "رفض كل مبادرات السلام العربية" غير رغبتها في الشراء من اسواق القاهرة وغير رغبة حكومتها في التبادل التجاري او "السلطات الوثيقة" بين اسرائيل و"جيرانها" لانه في الواقع ، وكما كانوا دائماً ، لا يوجد لديهم ما يتبادلونه مع جيرانهم سوى تبادل النيران

اي وقت مني كان تد تفاقم عندهم النوع الاجتماعي وصار يندرج بالخطر .  
اي ان السيدة مائير كانت في تمريضها النافعة عن الشراء والتبادل  
تحاول ان توجه الانظار بعيدا عن برميل البارود الذي كانت تبذل ثوته .  
فالوضع الاقتصادي الاسرائيلي كانت قد اعيدت دراسته مجددا بموجب محليات  
وارتفاع تنتهي عند نهاية عام ١٩٧٠ تماما عند ذلك التاريخ " نيسان ١٩٧١ "  
عندما ابدت مائير رغبتها بالتسوق من اسواق القاهرة . وقد انجز  
الدراسة الجديدة الدكتور ( عمرو معي الدين ) استاذ الاقتصاد والعلوم  
السياسية في جامعة القاهرة ونشرت فيما بعد في مجلة السياسة الدولية .  
وقد انعكست في هذه الدراسة بشكل واضح اسباب ونتائج حرب حزيران ١٩٦٧  
كما كان تد تصورنا الدكتور يوسف عبدالله صايغ . كما ظهرت من جديد  
السلطة الرئيسية التي يضمها الصهاينة ، والقابلة للتقدير وهي الجيش  
الاسرائيلي التي كانت آنذاك تتنخم وتتلور استعدادا للحرب القادمة  
حرب ١٩٧٣ . فقد تقاربت ثلاثة ارقام لها دلالة اكيدة عما يمكن  
للصهيونيين ان يمدروه في المستقبل الى " جرائهم " . فقد كانت  
ميزانية الدفاع لعام ١٩٧٠ ( ١٢٨٦ ) مليون دولار وهي قريبة تماما من  
حجم المادرات لنفس العام ( ١٣٨٦ ) مليون دولار وهذا الرقم كان يساوي  
رقم رأس المال المستورد ( هبات امبريالية امريكية وتبرعات ) التي  
بلشت ( ١٣٢٠ ) مليون دولار .  
وتنالك دراسة الدكتور معي الدين من نفس البدايات . فالارض التي  
اتيحت عليها اسرائيل تمناني من الندرة في الموارد الطبيعية والمواد  
الاولية " فمساحة الاراضي الفلسطينية تبلغ حوالي ٢٨ آلاف ميل مربع  
نصفها على الاقل صحراء جرداء حيث تندر مصادر الحياة . كذلك تندر  
الموارد الطبيعية الاخرى . فالبترون لا يكفي سوى ١٠ ٪ من الاحتياجات ،  
بينما ينعدم وجود الشب والفحم والحديد ومصادر توليد الطاقة  
الكهربائية " . ولقد انتقد الاقتصاد الاسرائيلي ، بجانب كل ذلك ،  
شراها تماما واساسيا من شروط النمو السريع الناتج ، الا وهو وجود

الاعتماد القومي الكبير ، فقد بدأ النمو في اقتصاد صغير ، يمثل فيه  
خيط نفاق السوق عقبه كؤود في سبيل تحقيق النمو " . وفي عام ١٩٧٠  
انتجت اسرائيل ٨٥ ٪ من حاجة سكانها الى الغذاء . وتم تمويل ٥٠ ٪ من  
الواردات (٢٦٠٦) مليون دولار ، عن طريق الصادرات ، بينما تم تغطية  
الباقى عن طريق " استيراد رأس المال " (١) من الخارج . اى انه في نفس  
الوقت الذى توهم فيه الدكتور العظم ان لدى هؤلاء الصهيونيين سلما للتمدير  
انما كانوا بحاجة الى ١٥ ٪ من طعامهم اليومي والى ٥٠ ٪ من احتياجاتهم  
الاخرى ، الصناعية والسكرية ، من العالم الخارجى .  
من الهجرة المشتركة للسكان ورأس المال " ولدت القوة الاسرائيلية او تلك  
المعجزة الاقتصادية المملوكة التي يتحدث عنها اغلب الناس وهم يجهلون  
لان خلف هذه العملية يوجد سر صغير والسرا يذكرنا مرة اخرون بـ " غرفة الزباج  
المدفأة " عند الدكتور صايغ . وسر القوة هذه يسميه الدكتور مكي الدين  
" الامن القومي اليهودى " . انه شيء مائل شبيه بالفرن النراري الذى  
يصهر المعادن المختلفة فيجعلها سبيكة واحدة . " ان هناك عاملا خامسا  
واساسيا لا يتل اهمية وفاعلية عن العوامل السابقة ( تدفق الاموال والمهجرين )  
بل يمتن القول انه كان القوة المحركة لها جميعا . وقد كان لهذا العامل  
اكبر اثر في تحديد مجرى ونمط عملية النمو في اسرائيل . وهذا العامل  
هو خلق الضمور والمستبدة والايمان بانه هنا ( في اسرائيل ) يوجد المستقبل  
النهائى ، هنا تكمن فرصتنا الاثيرة ، فاما اليهود والاستمرار باى نمى  
والا الشناء النهائي . نحن هنا واهورنا الى البحر وسامحيا عدوانى  
يريد الانتفاض علينا دائما . ومن هنا كانت قضية الامن القومي اليهودى  
هى المحور الاساسى الذى تدور حوله السياسة الاسرائيلية التي تركست  
بصانها بوضوح على استراتيجية الانماء الاقتصادى " .

• ويدان قضية الأمن القومي ، برزتها المحور الرئيسي للسياسة الإسرائيلية في مجالاتها المختلفة ، ثم يذاك خلق الدارز الدائمة لهجرة كل من رأس المال والقوى البشرية " . اى ان الخطر او بالاحرى احتمال الخطر على المجتمع اليهودى في فلسطين ، كما كان تد اكسد الدكتور بيايخ ، هو الذى يستدرج السكاسب الصهيونية من الخارج ، المال والسماجرين .

ولم يبدأ تشييل هذا القرن المالى ( الامن القومي ) بعد انشاء الدولة بل انه قد بدأ عمله منذ تأسيس المستروانة في فلسطين . " ومن الخطأ الاعتقاد ان قضية الامن القومي طرست لأول مرة هند اعلان قيام الدولة ، ذلك ان مشكلة الامن القومي اليهودى كانت مطروقة ، بمضة دائمة ، منذ اتخاذ قرار اعلان انشاء الوطن القومي اليهودى على الاراضى الفلسطينية . وكلما انخفضت درجة الحرارة قليلا يبدأ جدار القرن الداخلى بالتشقق . وكلما ارتفعت يسود من جديد فيلتحم " والمتتبع لعملية الانماء فى اسرائيل يلاحظ انه في السنوات التي بدأ الاعتقاد المالى بخلصة اسرائيل القومي الاسرائيلى <sup>يتراخى</sup> وبدأ الشعور السام بعدم جديته يسود ، توقفت تماما عملية الانماء في اسرائيل . ان بدأت الهجرة تتباطأ منذ سنة ١٩٦٥ وتوقفت تماما سنة ١٩٦٦ وتراخى معدل الزيادة في انسياب رأس المال الاجنبى . وقد ترتب على ذلك انعكاس الاتجاه التوسعى الذى الذى ساد السنوات السابقة الى اتجاه انعكاس ، بحيث وصل معدل نمو الناتج القومي الاجمالي سنة ١٩٦٦ : ١ في المائة . ولقد كان اعجابه لبرن قضية الامن القومي بشكل بارز منذ النصف الثاني لسنة ١٩٦٢ ، من السوامل الأساسية التي ادت الى انعكاس الاتجاه السام للهجرة . ان منذ ذلك التاريخ ، ارتفع معدل الهجرة الى اسرائيل بالمقارنة بالسنوات السابقة على سنة ١٩٦٢ . كما انسابت الى اسرائيل خلال سنة ١٩٦٢ رؤوس اموال من الخارج بمستوى لم تعرفه من قبل ، ان بلغت في ذلك السام ٧٢٥ مليون دولار ( هذا المبلغ يساوى في قيمته المراضية اليوم مبلغ سبعة الاف مليون دولار تقريباً ) .

وظهرت في دراسة الدكتور محي الدين بشكل بارز الطلاقة بين الوضع الاجتماعي في اسرائيل وحالات الحرب والتوتر بين اسرائيل والدول العربية . ولقد ساعد هذا قضية الامن القومي ، بالصورة السابقة الاشارة اليها ، على تحقيق عامل هام ، وهو ضمان حد ادنى من التماسك الاجتماعي والسياسي بين الفئات الاجتماعية المختلفة التي يتكون منها المجتمع الاسرائيلي . فالتناقضات المختلفة داخل المجتمع الاسرائيلي ، لن تدفع على السلاح ، ولن تتفاقم حدتها ، بل سوف تظل كامنة . ما دام قد ساد الشعور السام بان الامن القومي الاسرائيلي في خطر دائم " (١) . ففي السام ١٩٧٠ كانت نسبة اليهود الشرقيين قد بلغت ٥٠ ٪ من عدد اليهود في اسرائيل . ولكن مكان هؤلاء في السلم الاجتماعي - الاقتصادي والسياسي ، كان يشكل قنبلة موقوتة . " اما اليهود من اسيا وافريقيا فان متوسط الدخل السائد بينهم بصورة عامة ، ينخفض عن متوسط الدخل السائد في اسرائيل بحوالي ٣٠ ٪ ، بينما متوسط الدخل الفردي السائد للمهاجرين من اسيا وافريقيا بعد سنة ١٩٥٥ ينخفض بحوالي ٥٢ ٪ عن متوسط الدخل في اسرائيل " (٢) . وكان لهم وزير واحد في الحكومة ( وزير البوليس ) . وكان نسبة تمثيلهم في الكنيست ١٦ ٪ من عدد النواب ومن الوظائف السلبية في الدولة كان لهم ٣ ٪ فقط . اما شأنهم في المراتب العليا في الجيش وفي القيادة العامة فكان اسوأ من ذلك حتى انه لم يكن لهم اي ضابط في الاركان العامة . اي انهم بشكل عام كانوا عناصر شغل في المهن المنوطة في النطاق المدني ووقود حرب ابان مراحل الحروب . هذا الوضع الدلبي والصنصري الكامن بدأ بالتفجير والظهور على السطح بعد سلسلة من الحوادث ومنها ما تمس بطاري ، مما جعل الحدود الساخنة بين الدول العربية واسرائيل تبرد قليلا . فمن المعلوم ان عبد الناصر كان قد اوقف اطلاق النار على جبهة

(١) - المصدر السابق - ص ٣٠ - ٣١

(٢) - المصدر نفسه - ص ٣٢

القناة في تموز ١٩٧٠ بعد موافقة على مبادرة روجرز . وفي الجبهة الشرقية خرجت المقاومة الفلسطينية من الاردن بعد الحرب الاهلية في ايلول ١٩٧٠ . وبعد وفاة عبد الناصر شرعت الحكومة المصرية بعده تفتش ليس عن حل سلمي معين بل عن اى حل سلمي مهما كان نوعه . وهكذا لم يأت منتصف عام ١٩٧١ حتى ظهر وكأن الاتفاق لا يوجد بينه محاربون او على الاقل محاربون مستعجلون . ولذلك بدأت تلك القوى الاجتماعية المظلومة في اسرائيل تطالب بالمساواة مع الاوروبيين البعيث .

" وليس علينا ان نذهب بعيدا " . في الحقيقة لا لزوم . لكن فقط ليس خلف جولدا مائير . فالاسباب التي جعلت جولدا مائير ترفض جميع مبادرات السلام العربية والاجنبية وجميع الضمانات الدولية كانت - الاسباب - قريبة من انف كل انسان ما عدا انف الايديولوجيين السائدو . وكان الباحث ( عبد الحفيظ محارب ) قد سجل تلك الاسباب في حينها في مقال له في مجلة شؤون فلسطينية ، فكتب : " ان هذه الانتفاضات تقترن دائما مع الهدوء الامني على امتداد الحدود الاسرائيلية " . " ولعل الخطورة هنا تكمن في ادراك السلطات الاسرائيلية بان تغطية المشاكل الاجتماعية او تسكينها لفترة من الزمن يكمن في ازدياد حدة التوتر على الحدود مع الدول العربية اثر من اكانية عليها من الداخل . . . والمسكن الاقوى لهذه المشكلة كما بدا حتى الان هو تسخين جبهاتها مع الدول العربية " . " ان الحكومة (اسرائيل) تنبأت بان المشاكل الاجتماعية ستطفو على السطح مع الهدوء في الجبهة ، ولذلك عملت لتقليل الفقر ، وزيادة ميزانية الشؤون الاجتماعية " . وقد غضب وزير الداخلية (يوسف بورغ) متهما العناصر التي كانت تقود المظاهرات المطلوبة بانهم يستغلون وقف اطلاق النار او يعتبرون وقف اطلاق النار بمثابة ضوء اخضر للشروع بالمطالب .

• ان وقت الاثلاث النار - قال بورغ - ليس ضوءا اخضر لحروب اجتماعية  
وثنائية ودينية • اما الفنان من اصل مغربي ( ادي ملكا ) وهو يتراأس  
مجموعة املتت على نفسها اسم "اسرائيل الثانية" ، فقد اعلن " اننا  
سنناضل من اجل تنمية التمييز الطائفي في اسرائيل مع كل النتائج  
المتوقعة عنه ، واعادة الشرف المسلوب لاولئك المتميزين على اساس  
طائفي " • ففي ١٨/٤/١٩٧١ احتفلت الجالية المغربية في اسرائيل  
بيوم اليمونة وهو عيد خاص بابناء الجالية • وخطر الاحتفال جمهور  
كبير يقدر بين ٣٠ - ٤٠ الف شخص ، وكان على رأس الحضور رئيسة  
الوزراء غولدا مائير ورئيس الدولة زلمان شازار • وهذه هي المرة  
الاولى التي تشارك فيها رئيسة الوزراء والمسؤولون الاسرائيليون  
احتفال ابناء الجالية المغربية بعيدهم الخاص ، ولعل هذه المشاركة  
تدجيات بفضل بروز حركة الفهود السود • وفيما كان الخلباء الرسميون  
يتوافدون على المنصة لاكتساب ود الجماهير الكثيرة التي خرجت من  
وسطها حركة الفهود السود ، تقدم انصار الحركة الوليدة نحو المنصة  
ليسموا كذلك ، الا ان قوات الامن التي اتخذت تدابير امن احتياطية  
كثيرة حالت دون وصولهم الى المنصة ، والتت القيس على قادة التنظيم  
الجديد واودعهم سجن المسكوبية ، الامر الذي وضع الفهود السود  
وانصارهم للتوجه نورا الى السجن لاقتحامه بنزع الملائك سراخ زعمائهم ،  
وقد حدثت هناك اشتباكات مع قوات الامن وخاصة قوات الفرمان اسفرت  
عن اصابة حوالي ٢٠ شخصا من اعضاء الحركة من بينهم ام مرتسيانو  
( والدة زعيم الفهود السود ، وهي مغربية ) واصابة خمسة شرطييين •  
• اما الثلاثة الاخرى والاقوى والتي لم تشهد المدينة لها مثيلا فقد  
وقعت في ١٨/٥/١٩٧١ عندما انطلقت مظاهرة الفهود السود من حي بن  
يهودا وسارت في شوارع يافا حتى ميدان صهيون الذي كان المتظاهرون  
يعتزمون تنبير اسمه الى " ميدان الدوائف الشرقية " • وعند وصول



المتظاهرين الى هذا الميدان نشب اشتباك مع قوات الامن التي اخذت  
تطلب نجدات من مدينة تل ابيب ، وكان المتظاهرون يهتفون "نازيون ،  
نازيون " و " دولة شرقة " اننا تصديهم لهذه التوات ، وقد استمرت  
الاشتباكات حوالي سبع ساعات ، استخدم المتظاهرون فيها لأول مرة  
ثلاث قنابل مولوتوف واسفرت هذه الاشتباكات عن وقوع عشرات الجرحى ،  
فضلا عن الخسائر المادية " (١) .

" اننا نريد ان يعرفوا باننا هنا ، وان يدركوا بان شيئا ما سيحدث .  
يوجد في الدولة فئتان من الناس ، فئة عليا ، وفئة سفلى . كفى !  
اذا سكنا اباؤنا طيلة الوقت فاننا لن نسكت " . " يمرضون علينا ان  
نعمل كمثاليين وكفراشين وفي كل مكان ننتشر فيه عن عمل نشر باننا  
فئة اخرى من الناس " ويقول زعيم اليهود السود ، ساديا سرتسيانو  
" اذا كان الامر يتطلب الدق على المائدة بمليون قبضة ، نانه ينبغي  
قبل كل شيء . تجميع وتوحيد السليون " . " كفى ، لا يوجد لدينا ما  
نخسره ، يريدون تحويلنا الى عبيد ، توجد في هذه البلاد فئة عليا  
تتحكم فيها باسم دولة اليهود " (١) . " وعدونا في المغرب باننا  
نخرج للحرية ولكن اتضح انهم دفعونا الى السبودية " (٢) . اما والده  
زعيم اليهود ، فكانت اول من اطلق صرخة " نقاتل من اجل من ؟ " .  
قلت : " يوجد لدى في الجيش ثلاثة ابناء ، الاول مثالي ، والاخران في  
سلاح الدروع . لماذا يذهبون ويقدمون دماءهم ؟ ومن اجل من ؟ من اجل  
ان نعيش في المصراة ( حي المنارية في القدس ) كاتلاب ١٤ شخص في  
غرفة ونسف ؟ من اجل ان تأتي الشرطة كل ليلة لتوقظ اخام من السرير  
وتدعه السبن وتضربه ضربا مبرحا " (٣) .

(١) - ش - ف - عدد ٤ - ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ م ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧

(٢) - المصدر نفسه - م ١٤٨

(٣) - - - - - م ١٥٥

نفس السلطة الصهيونية الحاكمة وعلى رأسهم غولدا مائير لم يكن لديهم  
" نبي " نيمان (١٩٧١) ، وقبله وبعده ما يتسوتونه عموما ، شراء وبيعاً  
غير الحرب . بل لقد كانوا خصوصا في ذلك الزمن الحرج مرعوبين من  
ان يتأخر زمن الحرب او تحدث مفاجآت دولية تمنسهم عن الحرب ، وذلك  
بسبب ما كان يجري تحت الحائط الذي يركبون فوقه . ولهذه الاسباب  
بالثبوت قاموا آنئذ ، بصفاقة ووقاحة لا مثيل لهما باغلاق جميع ابواب  
السلام ولم يتركوا الوضع مفتوحا الا على الحل الوحيد ، الحرب .  
اما وان "رئيس وزراء المدور" قد قالت في حينه انها ترغب جميع  
مقترحات السلام ولا تقبل البتة باى سلام الا بحسب مزاجها الشخصي في ان  
تذهب "في اى وقت الى اسواق القاهرة" ، فان ذلك عائد على ما يظهر  
الى ان دائرة الدعاية الموجهة ، وبني دائرة تستهين بالحرب على اى  
حال ، قد رأت انه من الافضل ان تنال فكرة غاية في السخافة من اجل  
التخفيف على وضع غاية في الخطورة . اما وان الدكتور العظم قد حاول  
ان يستنتج من اقوال غولدا مائير مواقف سياسية ، نخالية او مصادية  
للابريالية ، فذلك عائد بالطبع الى أساوية الوضع العربي برمته \* .  
\* - ومن النريب ان الدكتور العظم تدخل في ذلك الوقت الحرج عندما  
كان الوضع الداخلي في اسرائيل متناقضا فعلا ، فكتب : " ينبغي الا  
نبالغ في مسألة الشتان بين اليهود الشرقيين والشرقيين في اسرائيل .  
اذ مع ان الشرائع السالبة الاكثر اضلادا في اسرائيل تتألف من  
مهاجرين اتوا من افريقيا واسيا الا ان الكثيرين من هؤلاء قد حسنوا  
فعلا اوضاعهم المعاشية بعد مجيئهم الى اسرائيل حيث اصبحتوا بروليتاريين  
ضمن إطار مجتمع رأسمالي حديث . لذلك نجد ان تدميرهم الدالي ليس  
ناشئا من وضعهم البروليتارى بل من كونهم شرقيين ... بهارة اخرى  
ان رد الفعل السياسي السام لهذه الفئات المستحقة هو التضامن  
مع اكثر الاحزاب والسناسر شوفينية وعنصرية في المؤسسة الحاكمة "

( ش . ف المدد ٤ - ص ٨٨ )

## نم جاء وقت التسويق

عندما جاء عام ١٩٧٩ انفجر ذلك البالون الايديولوجي عن اسرائيل الصناعية "والجبار الصناعي المحلي" وحاجتها الى اسواق الغرب مثلاً. تنفجر ثقافة الجايون . فعام ١٩٧٩ تما هو غير معلوم ، باعتبار وقائع كهذه يجرى دفنها خارج الساحة حتى لا يراعا احد ، هو بالنسبة للثلاثة بين مصر واسرائيل كان تقريباً عام دراسة امكانية السوق والتبادل التجاري بين البلدين . وبالفعل ذهبت وفود وجاءت وفود ، ودرس اقتصاديون ومسؤولون من الدوائر ذات السلاطة امكانية التبادل وكانت النتيجة بالطبع مخيبة للامال . كتب دارسون في "مجلة الارض للدراسات الفلسطينية" وهم يلخصون تلك الوقائع التي نشرت في حينه في اجهزة الاعلام الاسرائيلية "ان هناك شبه اجماع على انه من غير المتوقع قيام تبادل تجاري على نطاق واسع بينهما ( مصر واسرائيل ) بسبب اختلاف النظام الاقتصادي لكلا البلدين " . يقول مدقق "محرّف" الاقتصادي انه من المستبعد انتظار الشيء الكثير في مجال التبادل التجاري مع مصر . هناك الفارق الكبير بين متوسط الدخل الفردي في اسرائيل والذي يبلغ ٣٥٠٠ دولار سنوياً ، ومتوسط الدخل الفردي السنوي في مصر الذي يتراوح بين ٤٠٠ - ٥٠٠ دولار فقط. وهذا يعني ان " قوة شراء المنتوجات الاستهلاكية غير الاساسية محدودة " في السوق المصرية . مثل فرع الماس الذي ينتج في اسرائيل سنوياً " ما يعادل مليار دولار " . ولهذا فمن غير المتوقع ان "تجاوز قيمة المصادرات الصناعية الاسرائيلية الى مصر مبلغ ٤٠ مليون دولار" . كما ان احتمال لتصدير منتوجات زراعية الى مصر ضئيل جداً ، لان المصريين يمدرون معظم المنتوجات الزراعية التي تستلبح اسرائيل تمديراً الى اسواقهم ولا يتوقع الاسرائيليون ان تتجاوز امكانيات الاستيراد من مصر ٢٠ - ٢٥ مليون دولار في السنة ، حيث يمكن لاسرائيل ان تستورد الاقمشة القطنية والسوف الخام والبطاطا والبصل .

وتكان اهم ما ورد في دراسة مجلة الارش تلك الحقائق البسيطة التي يصرنها  
ليس كل اقتصادي بل كل من يسرف معنى كلمة السوق وسلطة وتبادل بين  
الدول . وهي ان اول ما يخطر اذا تم الخلل بين اي سوق عربي ، وخاصة  
"سوق عشرات الملايين" مثل السوق المصري . وبين السوق الاسرائيلية  
لانما هو السوق الاسرائيلية المصانة . لكنهم (المسؤولون الاسرائيليون)  
يحذرون من خطر دخول منتجات مصرية مدينة الى اسرائيل واغران سوتهم  
ببمناخ ذات اعمار منخفضة . وقد اقترح هؤلاء المسؤولون انه "تأجرا"  
وقائي لا بد في المستقبل من تطبيق التوانين والائامة المربعة بهذا  
الثان . اي منع هذه السلع المصرية من دخول السوق الاسرائيلية الا  
بعد تنفيذ سرنا عدة مرات بواسطة المراكز (التسيرة) البركية .  
رئيس اتحاد ارباب الصناعة الاسرائيلي ابراهيم شبيد . اعرب عن  
تشاؤمه بالنسبة لما يتصل بالتاورات في العلاقات الاقتصادية خلال  
الفترة القادمة . اما بالنسبة لاستثمار رؤوس الاموال فقد كان  
التنبؤ أشنع . لان اسرائيل نفسها ، اي في سوتها الداخلية ، منسقة  
فكيف يمكن ان تصدر رؤوس اموال للاستثمار ؟ " لن تستلج اسرائيل في  
نقل الوضع الاقتصادي الراهن ان تجري استثمارات عامة في مصر ، نظرا  
لحاجتها الماسة في نفسها لهذه الاموال لتداية المبلغ المذخور من  
السجل المتوقع في ميزان المدفوعات الاسرائيلي والذي سيبلغ عام ١٩٨٣  
حوالي ٦ مليارات دولار . وفي نهاية المطاف ، وبعد ان غرب الخيل  
الاسرائيليون اخماسهم باسداسهم تبين لهم ان العلاقة الاقتصادية مع مصر  
سوف تزيد من مشاكلهم الاقتصادية وتزيد من السجل في تجارتهم الخارجية  
وذلك بسبب استيراد البترول من مصر . قالت الدراسة : " ان السجل التجاري  
المتوقع والبالغ حوالي ٣٥٠ مليون دولار لصالح مصر بسبب استيراد  
النفط ، سيزيد من مشاكل ميزان المدفوعات الاسرائيلي " (١) .

لقد اراد الصهاينة ، زراحي ومائير من تصريحاتهما عن الرغبة في التبادل التجاري ان تكون بالونات ملونة بهدف ابعاد انظار الناس عن نواياهم الحقيقية . واتبر دليل على ذلك هو الماشون السزيف وغيره الواقعي لتلك الافكار . والمشكلة مع الدكتور العالم انه دائما يحلف الايمان ويؤكد دون ان يتطرق الى اية وقائع اقتصادية لدعم آرائه . فهو يقيم " ان اسرائيل بتركيبها الحالي محددة كل الاعداد ومؤهلة كل التأهيل لدخول مرحلة الاستثمار الجديد في منطقتنا وممارسة دور الدولة العالمي بكل ما يعنيه ذلك من سياسة امبريالية وممارسة نفوذ " (١) ويؤكد ان اسرائيل سوف تصبح " اكبر دولة صناعية في الشرق الاوسط ومن كبريات الدول الرأسمالية الصناعية " ، وان السرب نتيجة لذلك ستسرف يعملون كمصفاء مأكول . وبذلك تكون العلاقة بين السرب المتخلفين وبين البهار الصناعي المحلي ، شبيهة بالعلاقة القائمة بين الولايات المتحدة الامريكية من ناحية وشعوب امريكا اللاتينية ودولها المتخلفة من ناحية اخرى . (٢) . والحققة ان قصصا خرافية كهذه هي امر مستغرب تماما . انها كمن يقول ان نارا سوف يشرب البحر المتوسل ولن يترك في قاعه الا اجساد الحيوانات الميتة وهيئات السنن الممثلة . وهو يبالغ مكن الناس ان يصدقوا مثل هذه الخرافة بمجرد انه يراها في اوامره . فاسرائيل هذه ، المؤهلة حسب تصوراتهم كل التأهيل لدخول مرحلة الاستثمار الجديد " اى السيطرة على الاسوان بواسطة تدمير رأس المال والصناعة ، وممارسة دور " الدولة العالمي " بكل ما يعنيه ذلك " من سياسة امبريالية وممارسة نفوذ " ينبغي ان تدع عن اية دولة تنهب عليها الشروس من المصارف العالمية او مادة الحديد او علف الدواجن مثلا ، هذه الدولة الامبريالية المزعومة اسرائيل ، كانت صادراتها

(١) - ش . ف - عدد ٤ - المصدر السابق - ص ٨٤

(٢) - ش . ف - عدد ٤ - ص ٨١

الصناعية سنة ١٩٨٠ تعادل ٤٩٥٥ مليون دولار منها ٣٣ ٪ من المصار  
المنقول . ونصف قيمتها في الاصل مادة مستوردة اولية أو نصف مصنعة ،  
والمبلغ المشتراة به في الاصل هو عديد من الخزينة الامريكية بسبب  
الخدمات التي تقدمها دولة اسرائيل . وكانت قد استوردت لشحن الخام  
ملءا صناعية بمبلغ ٨٠٢٤ مليون دولار وقد قامت ايضا الخزينة الامريكية  
بتحديد الفارق (الجزء) الذي زاد عن ثلاثة الالف مليون دولار .  
اما بالنسبة "للسرب المتخلفين" المحكوم عليهم بالدوران في فلوك  
"الجبار الصناعي" المزعوم ، فقد صدرت دولهم في عام ١٩٨٠ عن السداد  
المنجمية الخام (بنترول وغاز وفوسفات) ما قيمته ٢٠٥ مليارات دولار  
واستوردت من السلع الصناعية ما قيمته ٩٧ مليار دولار ومن المصايد  
الذخايرة ما قيمته ٢٠ مليار دولار . اما السبالج التي انتمت عن حيازة  
هذه الدول فقد اودعت في خزائن البلدان الصناعية للمستقبل ، وعلى  
سبيل المثال استوردت الدول السربية من نصف السيارات في ذلك العام  
بما يساوي نصف صادرات اسرائيل الصناعية اي بموالي ٨ مليارات دولار .  
اما اذا قيست اسرائيل بالدول الصناعية الامبريالية ، فان امرها هنا  
من قبيل التفكه ؛ فقد كان الناتج القومي الاجمالي في اسرائيل عن  
عام ١٩٨٠ يعادل ٢٠ مليار دولار وميزانيتها العامة بحدود ١٥ مليار  
دولار . ومثل هذه الحجم هي اقل بنحو اربع مرات من حجم المبيعات  
المالية لبعض المؤسسات الامبريالية . وعلى سبيل المثال فان بنك  
الاعتماد الزراعي في فرنسا يعمل بميزانية سنوية تتدرج ب (١٠٧) مليارات  
دولار . ومؤسسة سيتيكورب الامريكية تحمل ميزانيتها السنوية المسمى  
(١٠٩) (١) مليارات دولار .  
ان لفكرة التي تقول ان اسرائيل سوف تتحول الى "جبار صناعي محلي"  
وان "السرب المتخلفين" سوف يدورون في فلوكها تماما كما هي الحال

في العلاقة بين أمريكا الإمبريالية وشعوب أمريكا اللاتينية ، فهي  
تكره بالغة الضرر وان بدت من الناحية الاقتصادية شديدة لا تتحقق  
عناء الكلام ، والضرر ، انها تسد في وجه العرب الاقل الذي يمكن  
ان يقرأوا فيه اهم الاسباب التاريخية التي ادت الى تشتتهم وبالتالي  
دمارهم الراهن . لان تلك الاسباب تعود بالدرجة الاولى الى سوتهم  
الواسعة نسبيا ( ١٥٠ ) مليون نسمة حاليا ) وإلى الثروات الهائلة  
والحيوية للاقتصاد العالمي المخزنة تحت ارضهم ، وعلى رأسها  
البتروول عصب الصناعة وعصب السياسة العالمية .  
فمن المعروف ان العرب كانوا مثل بقية الامم والشعوب الاخرى في  
اسيا وافريقيا خاضعين للقوى الاستعمارية الأوروبية ذاتها . وعلى  
الرأى انتهاء الحرب العالمية الثانية وظهور القوتين الاعظم ، أمريكا  
وروسيا ، فان علاقات القوى الدولية الجديدة قد سمحت لجميع الامم  
الاخرى ان تبني دولها القومية الواحدة على اساس اللغة او الدين ،  
واميانا غير قليلة سمحت تلك العلاقات ببناء دول مؤلفة من عدة  
قوميات ولغات واديان . ولا لزوم لسرد الامثلة لان هذه مسائل راسخة  
ومعروفة . باستثناء العرب الذين تم تهزئتهم في البداية الى  
١٣ دولة وفور تطور المكتشفات البترولية وغلاء اسعار النفط تم تقسيمهم  
من جديد الى عشرين دولة . والمسألة هنا في غاية البساطة فلو سمح  
للعرب منذ اربعين سنة بتكوين دولة قوية واحدة بين المصير  
والخليج تواف ثروتها في الصناعة والزراعة والثقافة " اي من اجل  
ازدهار حياتها كما تفعل جميع الامم ، فان جميع المتكاسبات التي تتمتع  
بها الدول الصناعية الكبرى في العالم كما نراها اليوم كان سيأرا  
عليها تعديل هائل ، و " على الاقل فان تأثير العرب ربما يكون اليوم  
في مثل هذا الاقتراع اكبر من تأثير بريطانيا او فرنسا في الاقتصاد  
الدولي او السياسة الدولية . وما علينا الا ان نضع اعيننا على حلم

ونتصور مثلا توافيق مبلّغ ٢٠٥ مليارات دولار في عمل قومي وفي سوق قومية  
تبلّغ ١٥٠ مليون من البشر لكي ندرك فُرم السياسة الدولية تاريخيا  
تجاه الامة العربية بالذات .

فالقوى الدولية ذات السطوة والسيطرة كانت تتدر دائما ان السماح  
للغرب بتكوين دولة قومية واحدة تكون وانهم التاريخي يبادل نفسي  
وقته الكارثي نفس المصيبة فيما لو انفردت احدى تلك الدول الكبرى  
بالسيطرة على الوطن العربي واحتكرت امتيازاته لصالحها وبذلك .  
ولمذا كان هناك على اول الخط تقريبا ما يمكن تسميته ( اتفاق جناتلمان )  
بين جميع القوى الدولية على الاتنفرد اية منها بالسيطرة على هذه  
المنطقة من العالم تحت تهديد اتفاق جميع الدول الاخرى عندما ، وان  
لا يسمح في نفس الوقت لابنائها ( العرب ) بان يكون لهم دولة واحدة  
وارادة سياسية موحدة ومستقلة . ومنذ البداية ولدت الفكرة الصهيونية  
، ثم الحركة ، ثم تحققت الدولة الصهيونية ، من اجل امداء مفهوم  
تماما وكان في مقدمتها فصل الامة العربية الواحدة فصلا طباعيا ،  
جغرافيا وبشريا ، الى جزئين او سوتين . وليس عبثا ان الفكرة  
الصهيونية قد ولدت بشكل جدي في الدوائر الاوروبية الاستعمارية ،  
البريطانية خاصة ، عندما كانت جيوش محمد علي تهدد الامبراطورية  
العثمانية وتبالي الدلائل على النية في تشكيل دولة قومية للعرب .  
ومعلوم ان فرنسا التي كانت في البدء تدعم حركة محمد علي ، عادت  
لتحالف مع القوى الأوروبية الاخرى ضد فكرة ضم اسيا العربية ومصر في  
دولة واحدة لانها - فرنسا - اقتنعت في النهاية ان المنافسة اذا بقيت  
( مشاعة دولية ) افضل من ان تنفرد فيها اية دولة اخرى بما في ذلك  
دولة لابنائها بالذات . وفكرة بقاء الوطن العربي للاستعمار الدولي  
كمشاعة دولية ، هي التي يمكن ان تخيف توجيها جديدا لمصلحة ان  
الدول الأوروبية ، المتنافسة المصالح في الشرق الى حد الحرب ، كانت  
بميسرها تقريبا تدعم النشاط الصهيوني على قدم المساواة .



بالنسبة للقوى المظلمة ، رأسمالية أو شيوعية ، يتبين ان تلسب بالسراويل  
على السلع الايديولوجية فقط ، اما على القاعدة الاقتصادية فهي تتابع  
مسالكها بنبات واستمرار بعيدا تماما عن جميع سور السراويل . وهذه  
القوى لا تثبت وحدة السرب بسبب اعلمهم ونفلمهم وانما بسبب موثهم  
الواسعة وبسبب الثروة الموجودة في ارضهم . فالعالم مليء . بالمناخنة  
كقطا يغال . ونمجرد ان يتوفر المال والسوق المناسبة تثبت المشاعة  
مثل نبات الفار . والصناعة الوطنية تزيج الصناعة الانبسية . . وهكذا  
ومن هنا جاءت مكافحة القوى الصناعية الكبرى ، في الغرب والشرق ،  
لوحة الامة العربية .

وبالنسبة للغرب كانت عملية التخطيط مستحيلة بدون تجزئة السوق .  
فالمدر رقم واحد للاستثمار الصناعي هو خيط السوق . ولقد تعرفت القوى  
الاستثمارية بالحكمة المناسبة لمصالحها ، وبشكل عام حيث تغر بئر  
للفنل له قيمة تجارية محسوسة اثبتت قوته على الفرر دولة لها علم  
ونشيد وايدبولوجيا (١) وعضوية في جامعة الدول العربية والامم المتحدة . .  
الح . ولكن تحت هذه الدواهر الحقوقية والدبلوماسية والايدبولوجية  
يوجد الامر الاساسي : سياج جمركي واعني حول البشر او القار يمنع  
الدخول والفرق لاي منتج محلي الا ما ندر وبشق النفس وحسب السمادفات  
وكانت هذه المقدمات منظورة تماما من قبل اصحاب الرؤية القومية ،  
\* انه لتحد للمواقف الأكثر بدائية - قال لطف الله سليمان - ان نشور  
- مجرد تشور - اقامة صناعة بتروكيماوية مثلا في الجزائر او المرات  
او المملكة العربية السعودية . فكيف بالتدويت او قار او البحرين او  
ابو دابي\* (٢) . وقد جاء الواقع محققا لهذا المنطق : فحتى عام ١٩٨٢  
لم يتلح اي قار عربي ان يؤسس اية صناعة بما في ذلك صناعة الدبابيس  
\* فعلى سبيل المثال - قال الدكتور عبدالوهاب رشيد - اظهرت الاحصاءات  
الدولية وارادات بمبلغ (٣٤٣) مليون دولار عام ١٩٧٩ من فترة الدبابيس  
والشترات في الجزائر ، فيما جاءت وارادات السعودية منها (١٦٥) مليون

(١) دراسات عربية - عدد ٨ - حزيران (يونيو) ١٩٦٨ - ص ١٢٨

(٢) المصدر نفسه - ص ٥

دولار عام ١٩٨٠ \* (١)

اذن استنادا الى فترة الدكتور العظم عن " الجبار الصناعي المحلي " مالموب منا ان نؤمن انه منذ غزو نابليون بونابرت لبر عند مالموب القرن التاسع عشر ، وتطاحن الدول الاوروبية على السرات التجارية ، وقناة السويس ، ومناجم البترول ، والعربيين العالميتين ، والتحالف الموت بين الامريكيين والروس لدار الانكليز والفرنسيين بعد الحرب العالمية الثانية من الوطن العربي ، وما نراه اليوم حيث تنفع هذه القوى كلها دفعة واحدة جميع اساطيلها تقريبا قبالة شواطئ هذا الوطن في البحر الابيض المتوسط ، اقصد ان الدكتور العظم ياللب منا ان نؤمن ان كل هذه الدراما التاريخية من صراعات المصالح عبر ما يقارب قرنين من الزمن لم تكن الا من اجل عيون اسرائيل ، فهذا الوطن عليه بدارية خرافية او بسوء من " العهد القديم " ربما ، ان يدور بمئة وخمسين مليونا من البشر <sup>وهم</sup> اكثر من نصف انتاج المالم من النفط والغاز والخوصفات حول ما يسمى " الجبار الصناعي " وهو الجبار الصناعي ، دولة من ثلاثة ملايين نفس عندنا مليون شميل يعمل منهم ثلاث مائة الف فيما يسمى صناعة وهي صناعة خفية تحويلية وصناعة تدفع خيار لاسلحة الجيش وهي فروع للشركات الامريكية وما تبقى يعملون في الخدمات ويمشون مما تدر به <sup>عليهم</sup> الخزانة الامريكية وجيوب يهود العالم سنويا .

انه تدور خرافي وربما لم يتصور زراحي او مائير ان الامر سيستمر بتطور الى مثل هذا الوضع المستند في الايديولوجيات على الجانب الاخر من هذا الجوارحه .

أما بالنسبة للسرب فالامر بخليز مرتين ، مرة لأنه يجيب عنهم رؤية  
أهم الاسباب الاستعمارية التي اوصلتهم الى وضعهم المأساوي الراهن .  
ومرة ثانية لأنه يحتم على الاسباب الحقيقية لحروب الدائم التي ما زالت  
تتمتد على حكم دولة اسرائيل حتى اليوم . فهو يقول ان هذه الدائم  
تعمل من اجل التجارة وليس من اجل الحرب . بينما هي تخرج من حرب  
لكي تعد لحرب اخرى وكلما وقعت في مأزق اقتصادي ، وهذا امر دوري تحت  
البنية ذاتها ، يبدأون بالتفكير بخلق حرب جديدة للخروج من المأزق  
الذي سقطوا فيه .

ويحتاج السرب اليوم وخاصة السرب في اسيا بشكل خاص الى من يفتح عيونهم  
على الخار المصدق بهم في الظروف الحالية . فقد خرج حكام اسرائيل الى  
غزو لبنان (١٩٨٢) مدفوعين بازمة اقتصادية واجتماعية شبيهة بالوضع  
الذي سبق حرب ١٩٦٧ (١) . فقد صرفوا كل ما لديهم على تجهيز الجيوش  
وبناء المستودعات ، وعندما سقطوا في الافلاس خاضوا لحرب جديدة واسعة  
المدى مؤملين ان ينهبوا اموال واراضي ، حتى انهم ونسوا على خربة  
الحرب بعد منابع النشل في الخليج (٣) ولكنهم تجاه الاقن الدولي السائل  
على التوسع فقد اصابوا بنكسة مزدوجة . اذ انهم عادوا الى الجمهور  
الاسرائيلي وبدأوا بعملية <sup>تهريب</sup> منبذمة بدأت بالاستيلاء على قسم من مدغشقرات  
الجمهور في الاسهم البنكية (٢) ثم تنابست بمضاعفة اسرار المواد الذائبة  
والسلع الاساسية للمواطن . وتقوم الولايات المتحدة في محاولة لانتزاع  
بامدادهم بكميات انائية من الدولارات ولكن الازمة سوف تستمر في التفاعل  
الى وضع الكارثة اذا لم يتخلوا بشكل نهائي عن تسخير ما يبادل نصف  
الناتج القومي لاعداد الجيوش والمستودعات . وما تزال استنتاجات

(١) الارشيد - عدد ٥ - تاريخ ١٩٨٣/١١/٢١

(٢) الارشيد - عدد ٦ - تاريخ ١٩٨٣/١٢/٧ - ص ١١

(٣) - القيس ١٩٨٣/٢/١٩ .

الدكتور يوسف عبدالله صايغ صالحة لعام ١٩٨٤ كما كانت صالحة لمسلم  
١٩٦٤ واكثر . فقد كتب اوري افنيري بعد غزو لبنان وهو يسلق على الازمة  
الاقتصادية التي وقعت فيها الدولة ، " معنام النفقات الحكومية التي  
اعادت دفعة كبيرة للتضخم . نالت في مجالين هما : الحرب والاستيطان .  
الاستيطان يستلج مبالغ باهظة . ولم يتولوا الحقيقة للشعب ايضا  
حول حجم هذه النفقات + واقبعت مدن كاملة من قبل دولة مفلسة .  
وعندما يشتغل اكثر من ربع قوة العمل في الامن ( جيش نظامي وخدمة  
احتياطية ، وساعات عسكرية ) يصدر قسم فقدا من انتاجها الى خارج  
البلاد ) . وهذه وسيلة مؤتدة لتضخم كبير . لان كل هذه الجهات تدفع  
الى نفقات مالية كبيرة دون المساهمة في شيء لصالح الاقتصاد الوطني .  
وبلا موارنة اشار الى منبع الازمة التي تان الدكتور صايغ قد كشف  
عنها الستار قبل عشرين سنة ، وهي مسألة التنازع بين الموارد التي  
يتنازع الاقتصاد الاسرائيلي ان يوفرها من الداخل وبين الاهداف الكبرى  
التي تنسبها الفئات الحاكمة نصب عينيها اي الحياة الدنيا والترفع  
المستوى . تال افنيري : " الاقتصاد الاسرائيلي له حل واحد على المدى  
الطويل ، وهو تقليص الاهداف ابقا للمقدرة الحقيقية المتوفرة للدولة  
رائحة دنا " واهداف افنيري ان " الاهداف الوانبة تشبه الميراثيين  
واسرائيل مسالوة منذ سنين عديدة . ومن خلال والملة هذا المصدر يخيل  
لها انها دولة عامى قادرة على كل شيء وان " القوانين الاقتصادية لا مكان  
لها عندنا " وعندنا " المعجزة وهي واقع يومي " . والسدم لا يمكن علاجه  
سوى بالقدام عن تدالي المصدر . واذا لم تنفلم اسرائيل الان ، ستقع  
لها كارثة البرني الدارين " (١) .

ولقد استلكت حرب لبنان الفاشلة صفا من الرؤوس (بيجن ، شارون ،  
ايتان ، ساجي) ، ولكن الصفا لدى وراؤهم هو اكثر اقليمية واكثر  
رغبة في الحرب . ان الفئات الحاكمة في اسرائيل تدرر الان برل نفسها  
مرعوبة من الهوة الاقتصادية والاجتماعية التي تنتارها وقد تكسرون  
مرعوبة اكثر من كون الافق الدولي مخلق حاليا تجاه عمليات توسع  
وغزو جديدة . انهم يفتشون اليوم بالافهم واسنانهم عن منفذ ،  
عن مبرر محلي او نشر في علاقات الصراع الدولي على المنافسة ، لكي  
يخرجوا بجهوشهم الى الحرب على امل ان ينفذوا بجلدهم من المآزن  
الراهن . والخوف من عواقب نزعة التوسع والمناورة يشغل البصر  
اذهان المفكرين الاسرائيليين الذين يحذرون من عواقب الاتجاه الذي  
تسلكه السلطات الحاكمة . وبهذا التصدد قال للبروفيسور اساكشير ،  
المحاضر بكلية الفلسفة بجامعة تل ابيب " انه عندما تكون السلطة  
عاجزة عن حل الازمات ولا تستطيع حل مشاكل البصير - وهذا الوضع  
ينطبق على حكومة الليكود - عند ذلك تقوم الحكومة بخلق مواضع  
تشغل الناس عن ازماتهم كتجنيد الناس في حرب ضد عرق اخر . وتزرع  
الامل عندهم انه بنهايتها سيكون وضعهم افضل " (١) .

ولقد حذر باحث في مؤسسة الارن من عواقب الوضع المتناقم الان في  
اسرائيل ، فقال : " لا بد من الانتباه الى تركيز الاعلام الاسرائيلي  
على ان ازمة الركود الاقتصادي الحالية تماثل الازمة التي مرت على  
الاقتصاد الاسرائيلي عام ١٩٦٦ . وهذا يعني في مفهوم قادة التيار الصهيوني  
انه بالامكان الخروج من الازمة بحرب عدوانية جديدة كما حدث في  
العام ١٩٦٧ " (٢) .

---

(١) - الارن عدد ٦ - تاريخ ١٩٨٣/١٢/٧ - ص ١٤

(٢) المصدر نفسه وذات الصفحة .

وبكلية واحدة ، الحاكم الاسرائيلي يذبح السكين اليوم في شبه ريشم  
للانقلاب في غزو في اعماق اسيا العربية اذ لم يكن غدا ، غريما  
بعد غد . واذا كان لي من تعليق على رأى الدكتور النائم ، فهو انه  
يقول ان ما هو موجود بين اسنان الحاكم الاسرائيلي ليس سكين  
وانما بضاعة يريد بيعها في اسواق الغرب . انه تقريبا يتول للرب  
: لا تخافوا ، ان الحاكم الاسرائيلي لا يريد ان يذبحكم وانما يريد  
ان يتبادل معكم البضائع .

### الصهيونية فكرة غير يهودية

عندما نقرأ في نصوص مؤلف "دراسات يسارية" نجد أن لا الكلام الجاد عن "الامة اليهودية" و "الدولة اليهودية" قد ولد اول ما ولد في "اوساط الطبقة اليهودية الوسطى واوساط المبررين عن مصالحها وتطلعاتها (١)". ومثلها ايضا "ارضها الموعودة" و "وطنها الام" و "ثرايبها الوطني المقدس" و "تحرير ارضها" (٢). لكن اذا اعتبرنا التشريع الدلبي كما ورد في الفصل الاول من هذه الدراسة غير موجود. ثم اتينا لنقرأ في التاريخ عن هذه النعرات والاهداف السياسية فسوف نجد ما مسجلة على اسم طبقات اخرى ودوائر سياسية اخرى ليس بينها على اى حال فئات يهودية ولا "الطبقة الوسطى اليهودية". ان فكرة "اعادة مملكة اسرائيل الى سابق عهدها" تلك الفكرة التي اطلق عليها المؤرخون اسم "الارجاع والاسترجاع" كانت قد ولدت على الساحة الاوروبية قبل ثلاثة قرون من ملادتها المزعومة في دماغ تيودر هرتزل. ولم تولد الفكرة في كنيس يهودى ولا في مدرسة يهودية ولا في مجتمع يهودى. فقد ولدت مع ولادة ملتصالح السبيل الاوروبية في الشرق وعلى طرق التجارة في الهند والصين ونضجت مع ولادة قناة السويس وتحققت مع ولادة البترول في الوطن العربي. وكان تأليفها (هذه الشعارات والافكار) يتم بالقرب من مكاتب الملوك والحكام. ووزارات المستعمرات والدفاع، ودوائر رجال السياسة ورجال المخابرات. ولقد اصاب الدكتور بديفة امين كبد الحقيقة عندما لخصت ذلك ببضع كلمات، فقالت ان الصهيونية ولدت في صالونات حكام اوربا. ومما له دلالة ان اول ظهور لهذه الفكرة (عودة اليهود) كان في بريطانيا عندما انتصرت الطبقة البورجوازية الانكليزية تحت قيادة كروموويل عند منتصف القرن السابع عشر. والدلالة التي اقدها انه في سنة ١٦٥٤ عندما اعلن كروموويل عن اعتناقه فكرة "ارجاع اليهود الى فلسطين" لم يكن في بريطانيا ولا يهودى واحد.

(١) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ٨٩  
(٢) الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق - ص ١٥٣ - ١٥٤

فاليهود كان قد تم طردهم من بروسيا في عهد الملك (ادوار الاول) (١) سنة ١٢٩٠ وكرومويل عندما دعى التجار اليهود في هولندا للعودة الى بريطانيا كان يؤمل ان يستفيد من اموالهم ومن تأثيرهم على اليهود والاوروبيين الاخرين لتنفيذ مشروعاته البحرية والتجارية في الشرق ضد الاسبان والبرتغاليين وبما ان بريطانيا منذ القرن السابع عشر حتى الحرب العالمية الثانية عند منتصف القرن العشرين ، كانت مصالحها الاستعمارية ومن ثم الامبريالية في صعود دائم ، لذلك كانت فكرة " عودة اليهود " اذا صدق وبما جرت بهر الوقت ، وبسبب التزاخم على نفس المصالح واستثمار هذه الفكرة للفرس ذاته ، الى دوائر اوروبية اخرى ، فانها تعود في وقت لاحق فتخرج من جديد الى دائرتها الاولى ، وعندما يحدث ، وهذا الثالوث ، وتتلاقى مصالح عدة دول في دعم هذه الفكرة وتطويعها تكون بريطانيا عادة على راس القائمة وبكلمة واحدة فان بريطانيا التي كانت اول من انتج الفكرة كانت هي ايضا اول من عمل على تطبيقها ، ذلك التطبيق الذي تجلى في " وعد بلفور " وهو قرار سياسي أصدرته وزارة الحرب البريطانية في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ لاسباب تتعلق بمصالح الامبراطورية

البريطانية وليس بمصالح يهودية . ومن مفارقات الامور ان حقيقة تاريخية عديمة المخزى ولكن احداً من الباحثين العرب لم يتحدث عن مخزاهم او على الاقل لم اقرأ في المصادر التي استخدمها في هذه الدراسة شيئاً عن مخزاهم . وهي انوزير الخارجية " بلفور " بلغ اللورد روتشلد عضو مجلس اللوردات الحاكم ، برسالة الموافقة على " انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين " ولم يبلغ رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية حاييم وايزمن ، وربما يكون افضل تعبير عن العلاقة التاريخية بين المصالح البريطانية وبين فكرة " عودة اليهود " الى " والنهم الام "

(١) - موردا أندريه - سيرة دزرائيلي - ترجمة متري نعمان -



ماورد على لسان المؤرخ الصهيوني ( فرانز كويلر ) حيث قال : - " في  
بريطانية اكثر من أى مكان آخر تم تطوير فكرة الاربعاء والاسترجاع الى  
عقيدة ، واصبحت هذه الفكرة هدفا لحركة تمتد عبر مايزيد على ثلاثة  
قرون . وفي بريطانيا وحدها استمع كبار الناطقين بلسان أجيال عديدة  
وجهم من رؤيا إسرائيل المنبعثة من جديد . وهناك فقد كان ولكن تومي  
يهودى قضية سياسية جدية وبصورة مستمرة تقريبا جرت ترجمتها اخيرا  
الى حيز الواقع الراهن " (١)

وعلى أى حال فان " الكلام الجاد " عن " العودة اليهودية " بالمعنى  
السياسي التلبيشي ظل في بداية الامر كلاما غير جاد . لان حتى نهاية  
القرن الثامن عشر كانت الامبراطورية النمساوية ماتزال منبسة اتجاه  
تطبيق مشروعات كهذه في قلب ممتلكاتها في فلسطين . ولكن منذ مطلع  
القرن التاسع عشر أخذت " صهيونية الاغيار " كما يسميها الدكتور  
" اسعد رزوق " منحى جديا تاما . فالكلام الجاد ولد الآن لدى " رجال  
السياسة في الدولة الاوروبية الدلائمة بالنفوذ وحماية المصالح  
المختلفة في الشرق الادنى ومناطقه اللازمة لتأمين الطريق الاستعماري  
الى الهند " . وحسب رأى المؤرخ ( لوسيان وولف " فان أهم مناسبتين  
ظهرت خلالها النزعة الاوروبية " الصهيونية " بشكل جدى ، كانتا :-

١ - حملة نابليون بونابرت على مصر والشرق عام ١٧٩٩

٢ - اجتماع الدول الاوروبية للبحث بمصير سورية وسلمانيين بعد

(٢)

طرد جيوش محمد علي منها بين ١٨٤١ - ١٨٤١

(١) - الصهيونية وحقوق الإنسان - المصدر السابق - ص ١٢٩

(٢) - المصدر السابق - ص ١٥٩

وكان احد رجال السياسة الفرنسيين (موريس دي سانس أمير دي ليف) قد نشر منذ عام ١٧٩٧ مذكرة حول "اعادة بناء دولة يهودية في فلسطين سيكون نفعها شاملا لليهود وللدولة التي يتعاونهم على ذلك بالانفاة الى نفعها للعالم أجمع" (١). وفي عام ١٧٩٨ أعدت قيادة الثورة الفرنسية خطة سرية للكسب تأييد اليهود في مشروع النزول الفرنسي لبلاد الشرق وخرب المصالح البريطانية. وفي السنة التالية ١٧٩٩ عندما كانت جيوش الحملة الفرنسية تزحف من المريش باتجاه عكا، نشر نابليون نداء دعى فيها يهود آسيا وأفريقيا الى الالتحاق بجيوشه. وقد وعد اليهود "باسترجاع القدس القديمة وممتلكاتها المجيدة" كما خاطب اليهود بقوله "الى ورنه فلسطين الشرعيين" (٢).

وقد أثار تصرف السلطات الفرنسية في حينه حالة من الانفعال في بريطانيا. حيث بدأت حملة من المزايدات الايديولوجية حول من يحق له، من وجهة نظر دينية، بريدانيا البروتستانتية أم فرنسا الكاثوليكية. العمل على تنفيذ الميثاق الالهية لإعادة اليهود الى وطنهم القديم.

وآنذاك خاطب عالم الدبيلة البريطاني (حزيف بريستلي)، نسل ابراهيم واسحق ويمتدح بقوله "فلسطين مجد البلاد قابلة، تؤلف الآن جزء من الامبراطورية التركبية... ومالم تنهار هذه الدولة ظلت تحتفظ لنفسها بذلك البلاء" فمن المحال ان تصبح بلادكم. ولقد

(١) محول الصهيونية واسرائيل - المصدر السابق - ص ٢٢

(٢) الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق - ص ١٦٢-١٦٤

ولذا فانا أصلي جديداً لانهلالها (١) . بعد فشل حملة نابليون

الى الشرق ولويت صفحة الدعوة الصهيونية مؤقّتا في فرنسا . ولكن اعتبارا

من النصف الثاني للقرن التاسع عشر عادت الادارة الفرنسية من جديد

الى فتحها مجددا . فملى اثر الاحداث اللاتفية في لبنان وسوريا

عام ١٨٦٠ وارسال جيوش فرنسية الى لبنان . صدر سكرتير نابليون الثالث

( أرنت لاماران ) كتابه " المسألة الشرقية الجديدة " الذي كان مصدر

وحي للصهيونية ( موزس هيس ) الذي يوصف بأنه اول صهيوني يهودى . وقد

اقترح لاماران أن تقوم فرنسا بدور الحماية للاستثمار اليهودى في فلسطين

اما اسبابه فهي : - ١- تأمين طرق المواصلات بين القارات الثلاث

٢- حملة المدينة الى شعوب آسيا المتخلفة

٣- حراسة طرق المواصلات المؤدية الى ا

الهند والصين "

وقد خالط سكرتير الامبراطور اليهود بقوله : " عليكم ان تثقفوا

الجحافل العربية المتوحشة والشعوب الاثريقية ... سوف يتطهر هؤلاء

جميعا من الخرافات .. انتم قوس النصر المرتفع فوق التاريخ في المستقبل

ويؤكد الدكتور " اسعد رزوق " ان افكار ( ارنت لاماران ) وجدت صداها

بشكل افضل عند نهاية القرن " لدى هرتزل ونورد " وهما مؤسسا الحركة

الصهيونية الرسمية . وخلال هذا المسعى الفرنسي الجديد تشكلت جمعية

الليانس او الاتحاد الاسرائيلي العالمي في باريس . وكانت هذه الجمعية

---

(١) - المصدر السابق - ص ١٦٦

(٢) - المصدر نفسه - ص ١٨١

تحت اشراف آل روتشيلد وفروعهم المصرفية . وقد عملت في النشاط الثقافي وتعليم اللغة العبرية في عدة بلدان وخاصة في اوربا الشرقية وروسيا . وبعد ذلك ، اعتبارا من عام ١٨٧٠ هـ شرعت في شراء الاراضي في فلسطين " واسكان المهاجرين القادمين من اوربا الشرقية في مستعمرات زراعية " . ولم يكن المظهر الديني في نشاطها <sup>الاستراتيجية</sup> سوى لاختفاء المصالح الحقيقية غير اليهودية . وبجسب مصادر اسرائيلية مألوفة ، فان روتشيلد " كان يسعى الى تدعيم نفوذ فرنسا وراية البحار وخاصة في منطقة حساسة كفلسطين ، حيث التقى حماسه الديني مع ولاءه الوطني " (١) .

أما المناسبة الثانية التي ذكرها المؤرخ " لوسيان وولف " والتي كانت المحرك الاقوى لتسجير الروح الاوروبية الصهيونية مجددا في الدوائر الاستعمارية وعلى رأسها انكلترا ، كانت تلك المرحلة التي عبرت فيها جيوش محمد علي نحو الشرق وشرعت بالتقدم حتى الحدود الشمالية لسوريا مهددة الخلافة العثمانية ذاتها بالسقوط . مما حدا بالدولة الأوروبية جميعها الى تناسي خلافاتها مؤقتا وتشكيل حلف عسكري واحد ، حيث قامت جيوش هذا الحلف فعلا بصد جيوش محمد علي واخراجها من بلاد الشام واجبارها على العودة الى مصر سنة ١٨٤٠ هـ .

ومنذ البداية تلورت الفكرة ( فكرة اعادة اليهود الى فلسطين ) في الدوائر البريدلانية ثلثانيا على ضوء الخلاف الفرنسي مع محمد علي اودعم محمد علي في حركة الاستيلاء على سورية " وكثبن استثمار محمد علي

---

(١) - حول الصهيونية واسرائيل - المصدر السابق ٣٦-٣٧

محمد علي في هذا المجال يعني في نظر بريطانيا وحتى روسيا امتدادا\*  
لنفوذ فرنسا التي كانت تؤيد محمد علي وتمنحه حمايتها ، وهذا يعني ..  
بالتالي تعريض خطوط المواصلات الى الهند الى الخطر الفرنسي\* (١)

في ذلك الوقت بلغ الصراع الاستعماري اوجه بين الدولتين الاكبر في  
اوروبا ، انكلترا وفرنسا ، بهدف الاستيلاء على الشرق الاوسط . وكان  
الملاء من كلا الجانبين في غاية اليقظة والنشاط حيث يضع كل جانب  
نشاط الجانب الاخر تحت الرقابة الدائمة . وقد رفع أحد الملاء  
الفرنسيين في فلسطين ( جول دي برتو ) الى وزارة الخارجية الفرنسية ..  
تقريرا في تشرين الثاني ١٨٤٠هـ جاء فيه : " اذلال محمد علي باجباره  
على العودة الى قواعده لم يكن آخر أهداف الحكومة البريطانية في  
هذا الجزء من الشرق ، وقد اتبع على وجه لا يقبل الشك أن لها هنا غاية  
اخرى اعلا وعلوا مما يعيطونها بسياج من الكتمان ... وهذه الغاية هي  
بمقت مملكة اسرائيل ومنذ أربعة اشهر وصلت الى هنا بعثة بريطانية  
برأسها الدكتور " كاليتر " مؤلف كتاب عن " تحقيق النبوءات " .. وكان  
المنهزم في البداية ان هذه البعثة مرسلة من الكنيسة الاسكتلندية ،  
ولكنني علمت فيما بعد ان الحكومة البريطانية اوندتها لجمع معلومات  
عن احوال اليهود في فلسطين وامكان اعادة جميع يهود اوروبا الى  
الارض الفلسطينية\* (٢)

ولقد كتب اللورد شافتسبري منذ عام ١٨٣٨ الى وزير الخارجية البريطانية

(١) - المشكل في اليهودية - المصدر السابق ص ١٤٨

(٢) - المصدر نفسه ص ١٥٠

بالمؤمنون، يقول: " لو امننا التفكير في مسألة عودة اليهود على نحو إقامة أو استعمار فلسطين لاكتشفنا ان ذلك هو ارجح واطمن طريق لتزويد هذه المنطقة القليلة السكان بكل ما هو ضروري". (١)

ويعتبر عام ١٨٤٠ بالنسبة لبريطانيا وموقفها من عودة اليهود جدا فاصلا بين مجرد التفكير وبين التفكير الجدي المرتبط بالسياسة الدليا فاعتبارا من هذا التاريخ لم تعد مسألة عودة اليهود الى " ارض الميعاد" موضوع آراء وتصورات، بل اصبحت مسألة سياسية ودبلوماسية او استراتيجية تعالجها على هذا الاساس الدوائر المختصة . ففي اب ١٨٤٠ كتب وزير الخارجية البريطاني بالمرستون الى سفيره في الاستانة ان يعرض على السلطان التركي فكرة اعادة يهود اوروا الى فلسطين. وللب من السفير ان ينوه للسلطان بالمنضمين التاليين :-

١- استيطان اليهود في فلسطين يعني زيادة في ثروة السلطان

الذي كانت خزينته تعاني من صتوبات مالية .

٢- اذا تم الاستيطان في فلسطين فسيشكل اليهود " حاجزا بوجه اية

الجماع خبيثة يخطط لها محمد علي او خليفة في المستقبل" (٢)  
 فالرابطة " الصوفية" التي تربط هذا الشعب بهذه الارض (٣) لم ترتفع

من المرتبة الروحية الى المرتبة السياسية بمساعي يهودية ولكن بمساعي

غير يهودية . في تلك المرحلة كما يكتب اسعد رزوق، كان شعار غرس

الشعب اليهودي في ارض آبائه واجداده هو شعار الصحافة الاوروبية

(١) - المصدر السابق - ص ٢٤

(٢) - الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق - ص ١٢١

(٣) - دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ١٢٦

في مختلف البلدان التي اشتركت جيوشها في مد جيوش محمد علي راعادتها  
الى مصر . فقد كتبت التايمز ( ١٧-٨-١٨٤٠ ) تحت عنوان (سورية  
عودة اليهود ) فقالت : " لم يعد الاقتراح الداعي الى اسكان الشعب  
المعري فوق ارض اجداده تحت وصاية الدول الخمس الكبرى بمثابة انتظار  
للمسيح . بل أصبح مسألة تستوجب النظر السياسي الجدي " وكتبت صحيفة  
غلوب ( ١٤-٨-١٨٤٠ ) فقالت : " يجب تسكين اليهود من السود الى ارض  
اسرائيل ومن الاقامة هناك باطمئنان اذا ارادوا ذلك ، لان هذا الامر .  
سيكون من الآن فصاعداً واحداً من الاحبار الكريمة الثمينة في التاج  
البريطاني " . ونشرت صحيفة التايمز ( ٢٦-٨-١٨٤٠ ) مذكرة ارسلت من  
اوساط سياسية بريطانية الى الملكة فكتوريا والى الملوك البروتستانت  
في كل من روسيا وهولندا والدانمرك والسويد والنرويج وكان عنوانها  
" عودة اليهود " وجاء في تلك المذكرة : " ان عودة اليهود الى فلسطين  
هو الحل المناسب للمسألة الشرقية " ودعت المذكرة الملوك البروتستانت  
" التجديد بناءً . ميكل الرب في القدس " (١) . وفي ١٨٤٢ وجه القنصل  
البريطاني في دمشق ( الكولونيل تشارلز هزي تشرشل ) وهو من اركان  
الجيوش المتحالفة ضد جيش ابراهيم باشا في بلاد الشام ، " نداء يهود  
اوروبيا باشدهم فيه التحرك لتجدة اليهود المقيمين في سورية وفلسطين " .  
وفي عام ١٨٤٤ تالفت في لندن " الجمعية البريطانية الانجية للعمل  
في سبيل ارجاع الامة اليهودية الى فلسطين " وكان يرأسها القس

لد البروتستانتي: كرسيفلس .

وفي عام ١٨٤٥ اقترح ( الكولونيل جورج غاولر ) في كتابه " تهديئة سورية والشرق " استعمار فلسطين من قبل اليهود وتحت الحماية البريطانية لان ذلك كما قال يحول " دون تدخل الدول الاوروبية الاخرى " في شؤون مصر وسوريا ويحمي في نفس الوقت طرق التجارة البريطانية الى الشرق والهند فأرض فلسطين كما ورد في كتابه " تخص اليه اسرائيل وشعبه القومي المختار " (١) . وفي عام ١٨٥٣ طلب الكولونيل " غاولر " في البرلمان البريطاني ، وكان آنذاك حاكما على استراليا ، فقال : " ان العناية الالهية قد وضعت سورية ومصر في طريق انكلترا نحو المناطق الامم في تجارتها الاستعمارية الخارجية ، الهند والصين والارخبيل الهندو استراليا ويد انكلترا يجب ان تجدد سورية بواسطة الشعب المقيم لهذه المهمة . اي بواسطة الابناء الحقيقيين لهذه الارض ابناء اسرائيل " . (٢)

وفي ١٨٧٧ وضع القس " جيمس ميل " راعي كنيسة المسيح في القدس كتابه " تأهيل فلسطين ثانية ، او جمع شمل اسرائيل البسرة " . وقد كاعيد طبع كتابه خلال ست سنوات " ما لا يقل عن ثماني مرات متوالية " وكانت العبارة التالية من سفر ( ارميا ) تنصدر الصفحة الاولى من الكتاب " اسموا كلمة الرب ايها الامم واخبروا في الجزاء البميدة وتولوا مبدد اسرائيل بجمعه وبحرسه كراع قطيعة " ( ارميا ١٠/٣١ ) (٣)

وبعد ان اشترت بريطانيا اسهم الخديوي في شركة قناة السويس (١٨٧٥) اصبحت فلسطين ومكانها الاستراتيجي في حماية قناة السويس من الشرق من امم المحاذي السياسة الخارجية البريطانية ...

(١) - الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق ص ١٢٤-١٢٥-١٢٧

(٢) - اخذوا الصهيونية - المصدر السابق - ص ٣٤

(٣) - الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق ص ١٨٥



ويقول أسد رزوق انه عند مالمع الربع الاخير من القرن التاسع عشر كانت بريطانيا قد " عقدت المزم نهائيا على اداء دورها الكامل في تسليم فلسطين للاستعمار اليهودي بحجة حماية مصالحها في قناة السويس " ولقد أعلنت بريطانيا عن هذا الهدف في مقالة صدرت عن اللورد شانتسبرى في عام ١٨٧٦ ، حيث قال : " اوليست هناك لبريطانيا مصلحة خاصة في دفع عجلة الاسترجاع ؟ " . ان بريطانيا هي الدولة التجارية والبحرية العظمى في العالم . لذا تقع عليها تبعة الدور المجند لتولين اليهود في فلسطين " ويضيف شانتسبرى وكأنه يضع الاسس للغالب الايديولوجي الذي سيظهر بعد قليل لدى كبار الايديولوجيين السهيونيين من اليهود ، فيقول " ان تسمية اليهود موجوده ، والروح لاتزال حية منذ ثلاثة آلاف سنة فلا ينقصر سوى المظهر الخارجي ، اوروبالد الوحدة المتوج لذلك . والامة لابد لها من وطن . الوطن القديم للشعب القديم . ان هذا الامر ليس تجربة مصطنعة ، بل هو الطبيعة بالذات والتاريخ بيمينه " (١)

وفي عام ١٨٨٧ بحث مسألة الاستيطان اليهودي في فلسطين في البرلمان البريطاني عندما دعى عضو البرلمان ورجل لصناعة (ادوار كازاليت ) الى ان تنبنى الحكومة رسميا مسألة تولين لليهود في فلسطين " (٢)

ولم يبق الامر حكرا على الدوائر البريطانية والفرنسية ، فمنذ ان توحدت ألمانيا في دولة قومية وبدأ نجمها الصناعي يسطر على الساحة الاوروبية بدأت هي الاخرى بالتفكير في المصالح الخارجية وخاصة

---

(١) - السهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق ص ١٨٧-١٨٨

(٢) - اسراييل خنجر امريكا - المصدر السابق ص ٢٧ -

مخالها في الشرق في دولة «الرجل المريش» . نقد فكر القيصر غليوم

الثاني يتبنى " المشروع الصهيوني " واستثمار " الرأسمال اليهودي "

في هذا المشروع " وكان بسمارك أيضا يفكر في توليد اليهود في المنطقة

المحاذية لخلابنداد - برلين ، حتى يصبحوا اقلية تجارية تصالدم

بالسكان المحليين، وتعتمد على ألمانيا لحمايتهم، فيكونوا غير مشغل

للاستثمار الألماني هناك " (١) . وفي ١٨٩١ اسس البارون النمساوي

الألماني الأصل " دي ميرش " (( جمعية التوطين اليهودية )) التي بدأت

عملها في البداية لتوطين اليهود في الأرجنتين .

التأجدة المادية للصهيونية الأوروبية :

لقد سأل الدكتور المسيري لماذا " وطن الامبرياليون في فلسطين يهودا

ولم يولدوا اوروبيين مسحيين كما فعلوا في الجزائر اوروديسييا

البيست كلها مصالح امبريالية تخدم المخطط الامبريالي ؟ ... "

وأدائه يخطئ " عندما يفتش عن سبب في العلاقة بين بنية فوقية " رغبة

اليهود في السودة زائدا رغبة المسحين بتدمير قتلة المسيح " حيث

تصور ان هذه " الاسطورة الدينية " قد دخلت في " علاقة مع البناء

التمهي الرأسمالي التجاري ثم الامبريالي النريسي " فنخرج عن ذلك التركيز

على توطين اليهود دون غيرهم من مواطني تلك البلدان ... لان السؤال

الذي يتنمى الجواب الاثرب الى الواقع هو لماذا كانت تلك الدول

المتصارعة على المصالح في هذه المنطقة المتخاصة تشترك في تبني

الشكرة الصهيونية والدعوة لها بنفس الحماس الذي يتزاع به خصومها

(١) مالايدبولوجيا الصهيونية - المصدر السابق - ص ١٤٦

(٢) المصدر نفسه - ص ١٩٠

على هذه المسألة ؟ ... وعلى الثور يمكن اخراج غير اليهود من ... مشروع التوطين ، لان توطين ألمان من قبل المانيا يعني الحرب على الثور مع القوى الأوروبية الاخرى مجتمعة ، وتوطين فرنسيين او انجليز او روس يعني الامر ذات . فالمصالح هنا كانت حساسة ولا تسع القوى الاخرى بارادتها على الاتل ، ان تنفرد بها قوة واحدة . ولذلك كان جميع المتنازعين فضلوا اليهود على امل ان يكون لهم شيء ما في الدائرة عندما تنبثق الدائرة ، اذا لم يكن للثور بها فعلى الاتل ان يجعلها مألحة حتى لا يتلهمها الآخرون بسهولة .

ولقد توافق ذلك مع اساس مادي اكثر عمقا كشفت عنه الدكتور ر . . . بديعة امين وعمو عملية اندماج الرأسمال المصرفي اليهودي على نطاق القارة مع الرأسمال الصناعي المسيحي . ففي جميع القوائم الأوروبية قامت فروع المصارف لآل روتشيلد ومانية ومندلسون وساسون واوتنهايم بدمج اعمالها مع اعمال الدبقة البوربوازية الميحية الصناعية على مستوى القارة وايضا في المستعمرات وتكتسب بديعة امين : " لقد تسر الارستقراطية الرأسمالية اليهودية بفشل ما تملكه من تظاهرات مالية اساورية ان تنفي ، بعد ان تدمرت اسوار النيتروا العتيق ، شهور عمل ممتدة بزواجها المصلي من الرأسمال المسيحي الأوروبي " (١) . وتؤكد بديعة امين ان عملية الاندماج المصرفي والصناعي اليهودي والمسيحي كانت " لا تنصب على حث التاور الصناعي ودفع حركة الاستثمار وتدير الرأسمال الأوروبية ... " (٢) - المشكلة اليهودية - المصدر السابق - ١١٦

يهودية كانت ام مسيحية مدمجة ، الى المستعمرات الجديدة في آسيا  
وافريقيا<sup>(١)</sup> ، لذلك فان اختيار اليهود خاصة لهذه العملية ، كان  
يحل في وقت واحد مشكلة التنافس ومشكلة التمويل ومشكلة ميزان القوى  
المتأرجح حيث تأجلت معركة اقتساممتلكات الدولة العثمانية حتى  
الحرب العالمية الاولى بسبب خوف تلك الدول المتصارعة بعضها مع البعض  
الاخر . ولم يكن المظهر الايديولوجي " رغبة اليهود في العودة " وايضا  
رغبة المسيحيين البينتنصر قتل المسيح " ، لم يكن مثل هذا المظهر  
اكثر من مناسبة سعيدة . فلابارونات اصحاب المصارف يؤمنون باليهودية  
ولا اللوردات والكونتات اصحاب المصانع يؤمنون بالمسيحية . انهم  
( الرأسماليون ) يؤمنون بالربح ولاشيء غير الربح . واذا رأوا ان تصورات  
دينية يمكن ان تزيد الربح فهذه تكون مناسبة مقروحة  
ليس الا . ومن المؤكد لو ان بسمارك فاز وحقق الالمان مشروعهم للتبطين على  
خط برلين - بغداد ، لكان علينا فيما بعد ان نستمع بدلا من التوراة ،  
الى نصوص ايدىولوجية يهودية تنبع كلها من التلمود البابلي : " من يصعد  
من بابل الى ارض اسرائيل ، فقد انتهك احدى الوسايا الالهية "<sup>(٢)</sup>  
خريطة انكليزية للدولة المصرية  
بيiiiiiiiiiiiiiiiiiiiii  
خلف تلك الواجهة السياسية والدبلوماسية والاعلامية المتائدية ، كان  
يقوم عمل مادي اكثر حمية وهو يدل على اصرار بريهانيا على توحيد جميع  
الشروط الضرورية لتأسيس دولة يهودية " في فلسطين " والسمل المسني هو  
وضع خريطة " عبرية " لدولة المستقبل . فاعتبارا من مطلع الاربعينات من

(١) - المدر نفيه ص ١١٨

(٢) - العلوم والتهبونية - المدر السابق - ص ٢١٩

من القرن التاسع عشر، أي في نفس الوقت الذي أصبحت فيه الخلافة  
البريطانية تفترض أن تكون فلسطين تحت وصايتها، بدأت الدوائر  
المختصة بدارسة جدية لأراضي فلسطين وصحراء سيناء. وقد تم بالفعل  
إرسال عدة بعثات استكشافية بقيادة ضباط من سلاح الهندسة والبحرية  
بهدف مسح بعض المناطق المعينة في فلسطين ووضع الخرائط المناسبة  
لها. وفي عام ١٨٦٥ تأسس في لندن " صندوق الاستكشافات الفلسطينية " <sup>١</sup>  
تحت رعاية الملكة فيكتوريا بالذات. وشرع الصندوق بإرسال بعثات  
الاستكشاف الواحدة تلو الأخرى. وأحدى تلك البعثات كانت برئاسة  
الملازم (( تشارلز وارين )) الذي وصل فيما بعد إلى رتبة جنرال  
وأعطى لقب سير. وكانت واحدة من مهمات بعثته " تحديد موقع  
الهيكل ( هيكل سليمان ) بالضبط ". أما البعثة الثالثة ( ١٨٦٩ -  
١٨٧٠ ) فقد توجهت إلى صحراء سيناء " المعرفة الطريق الذي  
سلكه بنو إسرائيل في هجرتهم من مصر إلى فلسطين ". وكانت  
هذه البعثة برئاسة ( الكابتن ولسون ) ومساعدته ( الكابتن  
بالمير ) من سلاح الهندسة.

أما أهم تلك البعثات فكانت تلك التي حملت الرقم أربعة في مشروع  
استكشاف فلسطين وقد دام عملها ست سنوات ( ١٨٧١ - ١٨٧٧ ) وقد  
ترأسها الملازم ( كلود كوندور ) ومساعدته ( الملازم كتشيز ) الذي  
اشتهر فيما بعد وأصبح حاكما للسودان ومن ثم وزيرا للحربية

---

البريلانية . وضعت البعثة الرابعة خرائط لفلسطين تختص كل  
 منها بناحية معينة ، جنرافية ، طبوغرافية ، سكان ... الخ احدى  
 تلك الخرائط كانت خارطة لفلسطين وعليها " المدن والقرى بالاسماء  
 التي وردت في التوراة " الامين الفخري لصندوق الاستكشافات ولتر  
 بيمانست ( عندما كان يعدد انجازات جمعية الاستكشافات في محاضرة  
 له قال : (( كنا نقوم بنورة كاملة في فهم ودارسة للتوراة ، كنا  
 نحي العظام وهي رميم ، كنا نسميد مجد فلسطين في عهد ميرودوس  
 كنا نسميد بلاد داود ، كنا نرد الى الخارطة اسماء المدن التي  
 دمرها القائد العظيم " يوشع " لقد اعدنا للقدس سجدا وفخامتها  
 لقد اعدنا البلاد ( فلسطين ) للعالم بالخارطة والاسماء والاماكن  
 المذكورة في التوراة (١) . وعندما تحدث رئيس البعثة (كلود كوندرو)  
 فقد قال : " بدأ صندوق الاستكشافات الفلسطينية عمله وبهدفه  
 الوحيد القاء ضوء اجد وادق على التوراة ، ولذلك اصبح اداة عمالة  
 ورئيسية لمساعدة اولئك الذين سيكونون سكان البلاد في المستقبل " .  
 وتعلينا على انجازات صندوق الاستكشافات ، قال الصهيوني  
 ( نورمان بنتوفتش ) . ان العمل الذي قام به الصندوق بالتعاون  
 مع سلاح الهندسة في الجيش البريلاني في مجال الحفريات ورسم  
 خارطة " للبلاد " ، كان مثالا " لتكامل المصالح التوراتية  
 والسياسية " (٢) ولايستطيع صهيوني يهودي ان يقول اكثر من ذلك

(١) - ش . ف - عدد ٩ - ايار ( مايو ) ١٩٢٢ - ص ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠

(٢) - المصدر نفسه - ص ٢٠٢

صهيوني يهودي ان يقول اكثر من ذلك حيث تظهر التوراة في مقابل  
المصالح الامبراطورية البريطانية في عملية تحالف على قدم المساواة !  
المهم ٦٦ عند نهاية القرن التاسع عشر كانت بريطانيا قد ملكت حصّة  
مهيمنة في اسم قناة السويس قامت باحتلال مصر ١٨٨٢ ومن الآن وصاعداً  
أصبح الدفاع عن السويس من الشرق أهم مصلحة للامبراطورية البريطانية  
سنة اليوم كانت السويس تعني لبريطانيا ما يعنيه اليوم للبحرين الخليج  
بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية . آنذاك كانت بريطانيا ، كما  
يقول اسعد رزوق ، عقد « عقدت المزم نهائيا على اداء دورها الكامل  
في تسليم فلسطين للاستعمار اليهودي بحجة حماية مصالحها في قناة  
السويس » (١) . والسيناريوس كان قد وضع خطوطه الاساسية رجال  
الدولة ورجال الحرب يساعدهم في ذلك ايدولوجيون اخصابيون من  
القسس وغير القسس ما همون في " تحقيق التنبؤات " والاطير الدينية  
وكان المسرح ، الخارطة المبرية قد قام باعداده سلاح المهندسين  
 بالتعاون مع سلاح البحرية . أما الممثلون فقد شرع باعدادهم منذ وقت  
مبكرا ايضا . حيث تم انشاء جمعية " احباء صهيون " في روسيا بواسطة  
مندوبين من رجال الاستخبارات البريطانية كانوا يعملون مباشرة مع  
مكاتب اللورادت " سالزبوري وشافيتسبري ورئيس الوزراء " (وزرائلي)  
بالذات . وعلى رأس هؤلاء المندوبين كان ( لورانس اوليفانت ) (٢) الذي  
كان اول من عبر طريق بناء المستعمرات بين جماعات " احباء صهيون

(١) - الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق ص ١٨٧

(٢) - اسرائيل خنجر امريكا - المصدر السابق - ص ٢٦ - ٢٧

وبين فلسطين • وكانت هذه المشاريع تظهر باعتبارها مشاريع " خيرية " بمولها المحسن الكبير ( ليونيل روتشيلد ) •

• يمولها المحسن الكبير ( ليونيل روتشيلد )

وعلی ای حال بقی الصهیونیون مرجعاً لایجاری عندما يحدث وينتقلون

وعلیٰ ان لا یسبوا رسولہ . وهذا یحدث بحسب المصادفات . فالزعم الصهيونی بالحبیقة علیہا ،

ما كس نور وبلوه وعوده بتبره نفسه الموس الخاني بعد مرتزل للصهيونية

اليهودية الرسمية ، ادركني تلك اللحظة من التاريخ ضرورة الدولة

اليهودية - في فلسطين للمصالح الانكليزية ، وادرك ايضا وفي نفس

الوقت ان كل شي • اصبح مجهولاً ولم يبق الا الاعلان " الرسمي " لذلك

قال : " لم يبق للصهيونية ، كما يقال سوى ان تظهر ، والا انجلت

انتكلترا لابنداعها . (۱) اما حاييم وايزمن ، فقد قال في وقت

لاستق، على اثر صدور وعد بلفور ، في رسالة وجهها الى وزير التسمرات

((ونستون تشرشل)) ، ورد فيها : "لو لم تكن هناك فلساين لكان من

الضروري حسب اعتقادي خلقها المصلحة الامبريالية فهي قلمة مصر

وأغافان بريطانيا تصون مصالحها عن طريق الاستيطان الكولونيالي

اليهودى بأرخص ما يمكن. (٢).

اما قول الدكتور العظيم بأنه " لا يجوز ان نتع في اخطاء النذرة الميكانيكية

عند تفسيرنا للصهيونية كأن نستخلصها آليا من النظام الرأسمالي

۱. الاستعماری (۳)

فهو رأي اضافي أو زائد على اعتراف المؤسسين الصهيونيين اليهود

بهذه الحقیقة. وریما یكون الدكتور العظم متائرا برای (افنیوی)

(١) - احذروا الصهيونية - المدر السابق ص-٣٥

(١) - احذروا الكهنة  
(٢) - الصهيونية والمنصرية بين الفكر والممارسة مؤسسة الارمن دمشق

٢٧/٥ - ١٩٨٠

(۳) امرانجل بده و در صورتی که این امر را به دست خود نرسد  
در ایت پیا - یه - الحید - لایه - ۸۹۵۰



بخصوص علاقة اسرائيل بالامبريالية . اذ ان افنيرى ربما يكون تأييد يولوجي  
قد توهم ان اسرائيل ليست " نتيجة للامبريالية " وان ماجرى لم يكن  
اكثر من عملية تحالف عادية بين اسرائيل و " بين الامبرياليين (١)  
أول " كلام جاد " اذن، وهو كلام مسجل في التاريخ ، لم يتطرق عما يسمى  
( اوساط الطبقة الوسطى ) اليهودية ولا حتى عن اية اوساط يهودية  
البتة . وكل ما هنالك انه فيما بعد تنضم رجال اليهود وحملوا الراية  
التي كانت قد اعدت بالوانها وشعاراتها في " اوساط " غير يهودية  
ولم يكن المؤرخ اليهودي ( لوسيان وولف ) الا لخصها لعملية استقرار  
لتاريخ نصف قرن قبل ولادة الصهيونية اليهودية ، عندما قال : لان مقام  
الدعاة الصهيونيين البارزين حتى زمن مرتزل كانوا من المسيحيين وليس  
من اليهود (٢) .

### المظهر اليهودي للحركة الصهيونية /

يقول رودنسكون : (( كانت الرؤيا )) ، رؤية عودة اليهود وانامة دولة  
لهم في فلسطين ، " قائمة في تلاق الهجوم الاوروبي على الامبراطورية  
العثمانية " البريل المريض الذي كان تمزيقه النهائي يؤجل بسبب  
تنافس الدول (٣) لكن الذي ينوى ان يمد يديه الى خلية المسك  
عليه ان يرتدى قناعا وقفازات . وهذه صورة ادبية مفيدة في ظروف  
حاسة فأوروبا الغربية ، بريالانيا صاحبة المصلحة رقم واحد قبل غيرها  
كانت قد مدرت نائش سكانها الى قارات اخرى قبل حلول النصف الثاني  
من القرن التاسع عشر . وهذا اضافة الى العوامل الدولية والاقتصادية

(١) اسرائيل بدون صهيونية - المصدر السابق - ص ٦١

(٢) الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق ص ١٢٩

(٣) المصدر السابق ص ١٢٩

(٢) - اسرائيل واقع استعماري؟ - المصدر السابق - ص ٢٠

الآخري التي مر ذكرها وكلها تدل على الاربعية لتولين اليهود لكن  
السؤال هو : أي يهود ؟ ... كانت الفكرة برمتها ستكون لوباء يمين  
لوجري الاعتماد على يهود الغرب . لان يهود الغرب كانوا اقلية ت

مبعورة الحال بشكل عام . وكانوا مندمجين تماما في مجتمعاتهم

من النواحي الاقتصادية والسياسة . وكانت الطبقة اليهودية بالبلدان  
احباب بيوت المال والمصارف يفتنون " شهر المل" المتع مع  
اقرانهم المسيحيين على نفاق القارة وفي المستعمرات . ولا يثقل ان يترك

يهودي انكليزي او فرنسي او الماني حياة عائلية في ظل الحضارة  
ويرحل نحو الشرق الى فلسطين لكي يشتغل عامل يدوي في مستعمرة

وفي دارون بدائية ومتخلفة من جميع النواحي .

اريد ان اقول ان الذي اعالى " الرؤيا " صداقيتها ، امكانية تحويلها  
الى واقع ، كان تدفق اليهود الفخراء من روسيا واروبا الشرقية  
نحو الغرب اعتبارا من مطلع القرن التاسع عشر . هذا التدفق الذي  
ظل بحدود بضعة الالف سنويا حتى عام ١٨٨٠ وبداية اول مذبحة لاسايب  
ليهود روسيا حيث ارتفعت وتيرة الهجرة نحو الغرب الى عشرات الالوف  
ومن ثم الى مئات الالوف سنويا مع اشتداد موجة السدا . للسامية التي  
عمت اوروبا عند نهاية القرن التاسع عشر . فبين عامي ١٨٨٠ و ١٩٢٠

فقد الخزان اليهودي الشرقي ( روسيا وبلدان اوروبا الشرقية ) بأربعة  
ملايين يهودي من المعدمين الباحثين عن عمل وحرية في بلدان الحضارة  
الغربية حيث توجهت غالبتهم الى الولايات المتحدة الامريكية ، وتوزع

الباتي في بلدان أوروبا الغربية وفي مناطق أخرى خارج القارة مثل  
أستراليا وجنوب إفريقيا .

هذا التدفق البشري اليهودي هو الذي أثار لعاب المادة اصحاب المصالح  
" في الشرق " لاستثمار هذه المادة البشرية الخام ، ولقد توافر  
معهم اقرانهم " البأروتات " الذين كانوا يقضون معهم " شهر المصل"  
الاستعماري ، فأظهر هؤلاء رؤوسهم ومنلوا دور الاتياع مخفين خلف  
هذه الرؤوس مصالح السواص الاستثمارية الكبرى .

كان الوضع الدولي آنذاك ، في الربع الأخير من القرن التاسع عشر  
يتم بالحساسية البالغة في العلاقات والتحالفات تصل الى حد اللزامة  
فتحت ~~خمس~~ الدولة الألمانية الجديدة في القارة الأوروبية وهزيمة  
الفرنسيين امام بسمارك ، عادت المصالح الفرنسية من الشان الى  
الالتحام مع المصالح البريبلانية . وأوعز الفرنسيون للانكليز بأنهم  
يرغبون في ان تشاركهم بريبلانيا في تضاة السويس وذلك لشراء حصصة  
الخديوى ( ١٧٧ ) الف سهم . اخبر دزرائيلي ، رئيس الوزراء ، الملكة  
فكتوريا ان " الحكومة الفرنسية لإنصب السراويل في هذا المجال "  
وهم يتمنون مناسرتنا " فذ بسمارك " فوافقت الملكة . وتمت الصفقة  
لمصالح للحكومة البريبلانية بأموال ليونيد روتشيلد . " ومن السيد  
دزرائيلي الى جلالة الملكة مع اخلص واجبات الاكرام والخضوع : لقد  
قضى الامر ، ستحصل سيدتي على اربعة ملايين جنيه . . . . . وتد يتم تسليمها  
على الفور آل " روتشيلد " وحدهم يستلمون تلبية مثل هذا الدلب . وتد

---

تدبروا تدبرنا رائدا فتدموا السال بفائدة -د زبيدة . واما ان حصة  
الخدوى بكاملها ملك يدك سيدتي " . والذي اطلب الملكة اكثر ان  
الصفة ستكون صفة لبسارك الذي كان قد اعلن " بوقاحة " قبل ذلك " .  
" ان بريطانيا لم تعد دولة سياسية " (١) وبدأ بسارك من جهته يتحرب  
من تبصر روسيا ومن السلطان العثماني . كان جميع الفرقا يرغبون  
في قناعة تاكبر من لهم المملكة العثمانية ولكن الجميع كانت لديهم  
اسباب واتسبة اخفا . مثل هذه الرغبة ولكن مع المناورة للعمل لها ليلا  
ونهارا " . الانكليز كانوا يختبئون خلف البارون ليونيدروتشليد ، وهذا  
بدوره يختبئ خلف جمبيات احبا صهيون " . والفرنسيون كانوا يختبئون  
رؤوسهم خلف بارونهم (أدمون دي روتشليد) . وهذا بدوره يختبئ خلف  
جمعية " الاليانس " والالمان كانوا قد اعادوا تنظيم امورهم مندغمين  
باتجاه ابتلاع السلطان بكامله تحت ستار التحالف ، ولكنهم في نفس  
الوقت قد اسسوا من جديد "جمعية" الاستيطان" الذي كان يصر لها  
البارون الالماني النمساوي الجنسية (موريس دي ميرش) كل شيء تان يتعلق  
بالاحتمالات وبمزاج العروس "السلطان" وجميع الناس كان لديهم بدائل ،  
الارجنطين ، فلستين ، اوغندا وربما تكون مئات مثل اجدب ، عبيد ، دون  
كيشوت ، مستفهمة في البداية عندما تلقى بذاك الذي تتصدر سوره قاعة  
مبنى ( الكنيسة الاسرائيلي ) تيودور مرنزل الذي يوصف بأنه مؤسس الحركة  
الصهيونية ولكن مثل هذا الاستغراب يذوب شيئا فشيئا بهجرد ان يشمرع  
المرء بقراءة ذلك المقال البالغ الامة والممتع الذي كتبه الباحث  
(١) سيرة دزرائيلي - المصدر السابق - ع ٠ (٣٠١ - ٣٠٢)

المعروف في الشؤون فلسافية تحت عنوان "عدة تيودور هرتزل ،  
بين الم توم ودون كيشوت" (١) . في هذا البحث نقرأ أن الحركة

الصهيونية "كانت قبل مؤتمر بال مكتملة تناليميا وماليا ولم ينقصها  
الا من يتزعمها نجا . هرتزل يشغل مركز الزعامة " . فلم يكن هرتزل  
في الواقع الا " واجهة مؤاتية للحركة الصهيونية بسبب الاتار عمس  
وتفوا نسلها وراءها " (٢) .

نقد تشكل المؤتمر الصهيوني الاول من ممثلين عن البعثيات الثلاث  
" احباء صهيون " و " جمعية التوطين اليهودية " والاتحاد اليهودي

العالمي الفرنسي " . وكانت هذه الحركات الثلاث قد قامت بجميع الترتيبات

لعمد المؤتمر في حين " . الملب من هرتزل الدعوة الشكلية اليه والاعلان

الرسمي عنه " لان الجهات الحقيقية خلف عقد المؤتمر لم تكن تريد

الاعلان عن نفسها لاسباب منهومة : " رروشك في ان اتساق هذا المؤتمر

لو تم باسم ممثلي جمعية روتشيلد وميرس ، لكان آثار شكوك الحكومات

الاوروبية المتنافسة على فلساين وشكوك السلطنة العثمانية على مستوى

عال . وربما من شأن ذلك اعاقا نمو الحركة الصهيونية " . هرتزل لم

يكن احد يأخذ على محمل الجد . فقد سبق له واعلن بشكل اعتباطي

انه ينوي ان يشتري فلساين " قانونيا من السلطان العثماني مقابل

مليون جنيه " . وبناء على هذه المواصفات " ترأس هرتزل المؤتمر

الصهيوني الاول والثاني والثالث ... وتزعم الحركة لنا منه بأنه

(١) ش . ف - عدد ١٥ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٢٢ - ص ٢٦

(٢) - المصدر نفسه ص ٦٧

يتكلم باسمها ويتجيم " المناورات الدبلوماسية " بسفته منطلما  
 في حين امتنع القادة الشدليون للصهيونية عن تلتيع عبونه على رتاع  
 الامور ناستمر يسيش باحساس عظمتة الدون كيشوتيه حتى وفاته (١)  
 فقد اخير مرتزل ودفع الى الواجبة بسبب مييزات شخصية كانت مقيدة  
 تماما في تلك الظروف الدولية البالغة الحساسية . وفي مقدمة  
 تلك الميزات، مزاجه الخيالي المنحك ، واستمداده للاستخدام من قبل  
 الآخرين بسبب جهله بحتائق الامور . ولم تكن شالحاته الخيالية مبهولة  
 بالنسبة لعماسريه ، فقد كان يستنبط المشاريع الواحد تلو الآخر  
 والتي كان يأمل بأن تتبناها الدول الأوروبية والثاتيكان .  
 ولم يكن مؤ في الواقع اكثر من " كاتب اقاسير تافهة " لكنه بسبب  
 مزاجه الدون كيشوتي ، كان " يأمل دوما بأن يرتقي الى مكانة  
 لها تأثيرها في السياسة الدولية " . وعندما اصدر كراسه ( الدولة  
 اليهودية ) " قابلته الاوساط اليهودية في فينيا بالسخرية .  
 وسجل في مذكراته ( ١٨ شباط ) ان استاذ جامعة فينيا اليهودي  
 ( غابليوغن ) جاء " لزيارته ليسأله ان كان الكراس " مقصودا به الجسد  
 ام كان مجرد تقديم ساخر لادع الصهيونية " . كما أنه قد سجل في مذكراته  
 لتلك الفترة عن اشاعة سرت بين الناس تقول " ان مرتزل قد اصبح  
 مجنوناً " (١) .

وسببها من جهله ومزاجه الخيالي فقد اعتد ( مرتزل ) انه هو الذي  
 اكتشف الصهيونية . اذ من المؤكد انه " لم يكن يعلم بوجود المنظمات

(١) - المصدر السابق - ص ٧٦ - ٧٧

(٢) - ر - ف - ص ٧٢

الصهيونية المديدة في جميع البلدان آنذاك ، كما لم يدرك ان نمة من سبقوه الى " اكتشاف الصهيونية وعلى رأسهم اليهودي الروسي ليونيسكر الذي كتب كراسه عن الموضوع منذ عام ١٨٨٢ " . كما أنه كان يجهل تماما ان هناك عمليات استبدالان في كل من " الارمنيتين وفلسالين بتمبريل من البارونين ميرشورتشيلد كانت قد بدأت منذ عام ١٨٨١ (١) .

كان اول من كشف عن تلك الخصائص المفيدة في شخصية هرتزل اصحاب الدلائل الاصلية ، البارونات . فقد فهم مما كتبه هرتزل في مذكراته على اثر مقابلة مع البارون دي ميرشور عام ١٨٩٥ ان البارون اعتبره مثل " دون كيشوت " . وبعد اكثر من سنة من الملاحقة والالاحاح حثي بمقابلة مع البارون ادمون روتشيلد عام ١٨٩٦ وقد سجل ايضا على اثره في مذكراته ما يدل ان البارون اعتبره ساذجا مثل " برنار الناسك " ولكن رغم ذلك فقد عمل البارون على ا تشويحه بشكل غير مباشر لانه لم يكن يريد " ان يرتبط اسمه بالنداء البيلني من اجل انشاء دولة في فلسطين حيث كانت المستوطنات برعايته تمت رحمة الحكومة المشانبة (٢) " .

ولهذه الاسباب اوعز البارونات الى رجالهم القادمين من روسيا او من المستوطنات في فلسطين ، المرور وهم في اريتهم على هرتزل واشيادهم انه زعيم الحركة . ويظهر ان احدى المقابلات الهامة هي التي حسمت الامر لصالح زعامة هرتزل . ففي ١٨٩٦ مر في فيينا زعيم جمعيات " احباء سهيون " ( مناحيم اوشيكيف ) وهو في طريقه الى باريس لمقابلة البارون روتشيلد . وفي فيينا اشار عليه الزعيم الصهيوني

(١) المصدر نفسه - ص ٧٣

(٢) المصدر السابق - ص ٧٤ - ٧٥

(ناتان بيرنيادام) بزيارة هرتزل . وبعد ان تمت الزيارة سأل بيرنيادام  
عن رأيه في هرتزل فقال اوشتكين ، انه سيؤدي خدمات كبيرة التي  
حركة للسلمين . فبالبنية شخصيته ستجذب بدون شك جميع اليهود الروس  
وربما يهود أوروبا الغربية ايضا . وعنده نقص كبير واحد ولكن هذا  
النقص من شأنه بالواقع ان يكون مفيدا جدا في الظروف الحالية

فهو لا يعرف شيئا على الاطلاق عن اليهود ، وهو لذلك يستند ان الصهيونية  
لاتواجه سوى صعوبات خارجية وليس صعوبات داخلية ويجب بالانتهج  
عيناها ، وبذلك يبتنى ايمانه بتثبيتنا كبيرا <sup>(١)</sup> . ومن الواضح ان ما هو  
" مفيد جدا في الظروف الحالية " يجب ان يتعدى جهل هرتزل بالوضع  
اليهود الى العلاقات الدولية المعقدة آنذاك . فهرتزل باعتباره من  
أصل ألماني كان في البداية يثق ألمه في ان ترائك الادارة الألمانية  
على مشروعه ، وكان يقوم بساعي دأمة بهذا الشعور . ومن المنتصر انه  
في المواجهة مع اوشتكين قد أبلغ زعيم " احباء سميون " على برنامج  
" جمعية اسرائيل الفتاة " الألمانية التي انشئت في برلين منذ عام

١٨٩٣ . وبرنامجها فنقول مرثيا تقريبا عن برنامج " حركة الباناسية  
الألمانية " التي كان يتزعّمها المناصر الألماني الباعث عن المستعمرات  
(كارل بيترز) . وكان برنامج اسرائيل الفتاة ينص على :-

١- ضرورة عقد مؤتمر عام يمثل يهود العالم لمباغة الاثثار الدائمة لـ

٢- اقامة منظمة صهيونية موحدة

٣- انشاء صندوق تمويل للحركة



١- اعياء اللغة العبرية . . .

٢- اعادة تدعيم النشاط الاستعماري في فلسطين (١).

وباعتبار ان هذا البرنامج هو الذي قد تم اقراره في مؤتمر آل ثيمما

بعد (١٧١٢) اذن ، يجب ان ننتفض ان اوششكين قد وجد في مرتزل صيدا

نمينا وشيخه على السير في مسماه قدما واوصى بزعاقة عند البارون

روتشليد في باريس . لان برنامج مرتزل الالمانى يحقق الصهيونية

الانكليزية والفرنسية ، وفي نفس الوقت يخلق جوا غير مريح بالنسبة

للتحالف الالمانى - التركى . لان السلطان لابد ان يتأثر من كون

" لنة المؤتمر المانية " وبرنامج المؤتمر المانى اينما .

من المؤكد ان مرتزل كان مثل الزوج المخدوع " لايعرف شيئا على الاطلاق "

وبالذات " عن اليهود " الذى ينوى ان ينشئ لهم دولة في فلسطين

وعنه شهادة موثقة من زعيم سياسيات اعياء صهيون التى كانت حجر الاساس

في بناء الصهيونية اليهودية .

واعتقد ان هناك شيئا من تجاوز الواقع عندما يوسف مرتزل من قبل

" صادق جلال" العظيم بأنبيه مذكر او منذر قومى " كان مدركا لـ

طبيعة التنافس الثارى القائم بين البورجوازية اليهودية في كل مكان

والبورجوازيات المحلية . (٢) . لان مثل هذا الوصف لا يوجد له سند في

تاريخ مرتزل .

(١) - الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق ص ٣٨-٣١-٤٠

(٢) دراسات يساريه - المصدر السابق - ص ٩٦

## رأى النعمان ليست خيارا يهوديا /

" كذلك نبحث البورجوازية اليهودية بايجاد ارض لنفسها " ولما كانت الارض او السوق لا يمكن توفرهما في اوربا " اتجهت الانتار الى الخناز يوغندا - الارجننتين - فلسطين " (٢) . هكذا رأى الدكتور النعمان ان يتصور عملية الاختيار للأرض وكذلك الجهة التي اختارت .

بينما الواقع يؤكد ان ~~الخيار~~ <sup>الارض الموعودة</sup> لم يكن اختيارا بورجوازيا يهوديا ولا اختيارا عموما . فالاختيار كان يتأرجح حسب سير مصالح الدولية وعلاقات القوى المتزاحمة على تلك المصالح (وحداية اختيار الارجننتين هي حكاية الثانية لمخالفة ، كان فيها البارون " دي غيرش " (٣) رأس حربة ضد مصالح الفرنسيين والانكليز التي يمثلها آل روتشيلد . وحكاية " اوغندا " هي حكاية انكليزية خالصة . فقد اقترحها على مرتزل في حينه وزير المستعمرات البريطاني ( جوزيف شمبرلين ) ؛ وخلال مقابلة مرتزل مع الوزير البريطاني في ٢٣ نيسان - ١٩٠٣ قال شمبرلين : ( لقد وجدت ارضا خلال سفراتي وهذه الارض هي اوغندا انها حارة عند الساحل ولكن المناخ يصبح ممتازا في الداخل ، حتى بـ بالنسبة للاوروبيين ويمكنكم فيها ان تزرعوا السكر والتبن . وقلت لنفسي هذه ارض مناسبة للدكتور مرتزل " (١) . ومفهوم من السياق " حتى بالنسبة للاوروبيين " ان شمبرلين ، المنصري ، لم يكن يعتبر يهود روسيا وشرق اوربا اوروبيين . وكذلك لم يكن التراجع عن اقتراح يوغندا تراجعا يهوديا او بورجوازيا يهوديا ، وانما انكليزيا خالصة . فند " فني على

(١) - شرف عدد ٢ - مايو (ايار) ١٩٧١ ص ١٠٤

(٢) - دراسات يسارية - المصدر السابق ص ٨٩

(٣) - محمود امين عبدالله - مشاريع الاستيطان اليهودي - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ١٩٨٤ - ص ١٩٧ - ١٩٨

المشروع (( يوغنيدة )) تدريجيا لبارداة اليهود وتملتهم. المالشي  
بفلسلين وانما بتسلسلة من الحركات التكرارية التي اجرتها المالح  
المالية الاستثمارية المظلمة النفوذ في الامبراطورية البريكانية

وعليه " فلم يكن اليهود هم الذين غيروا فكرهم ايماننا وتعلقنا بفلسلين

بل وزارة الخارجية البريطانية " . والدليل انه لم يكن هناك امر للدين

اليهودي او " المالح التوارثية " كما يزعم بنتونيتش " ان الخترب

الديني، المزراحي قد صوت ايضا ( في المؤتمر السادس ) في جانب مشروع

يوغنيدة ولم يجد حرجا دينية او عائلية في صرف ذهنه عن فلسطين

وارضا المقدسة " . (١)

ضعفنا . وقت الجد تبين ان ارتباط " هذا الشعب بهذه الارض لم يكن

ارتباطا بريطانيا خالصا . وافضل من يروي قصة هذا الاختيار حاييم .

وايضمن الرجل الذي تسلم الراية الصهيونية منذ مرتزل . وهو رجل

عملي والحق يقال ، ولايداني من اية تأثيرات دينية البتة . (٢) فقد

تال وايضمن ، وهو يخلب امام مجموعة من الصيونييين سنة ١٩٢٢ " لنسب

اصبح مرتزل صهيونيا فلسطينيا في اللحظة التي قال فيها المندوبون

من كينيف " لا " في المؤتمر الذي درست فيه قضية اوغنيدة " وكان

يشير الى المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٣) الذي قاد فيه المعارضة

لمشروع اوغنيدة ضد مرتزل ، زعيم ( اجباء صهيون ) مناحيم اوشتكين

الذي كان قبل عدة سنوات قد توسم فوائده جملة من تزعيم الذي لا يعرف

(١) - المصدر السابق - ص ١٠٧ - ١٠٨ - شخ عدد <

(٢) - الايديولوجيا الصهيونية - المصدر السابق ج ٢ - ص ٢١٥

نيتنا على الالاق على الحركة مرحليا . وكان المؤتمر قد عقد في نفس  
 العام الذي حصلت فيه مذبحة لاسامية جديدة في مدينة "كيشينيف"  
 الروسية ويتابع وايضاً ان اتذكر برتزل يقول بعد  
 التصويت : " لا استطيع ان افهم ذلك ، فالجبل لا يزال ملتصقاً حول اعناقهم  
 [ يقصد المذبحة ] ومع هذا فانهم يقولون " لا " . نعم ان الجبل كان  
 ( وما يزال ) حول اعناقنا . ومع ذلك قلنا " لا " لاننا ادركنا جيداً بان  
 الحكومة البريانية نفسها ستقدم لنا عرضاً آخر . ولذلك وبالفضل قدمت  
 لنا ذلك العرض . ويروي وايضاً انه سافر بعد المؤتمر الى لندن  
 وقابل هناك في مقر الحكومة البريانية " بيرسي مدير دائرة المشتريات  
 الاتريكية " وان ذلك الرجل الهام انهم ان فلساين اغفل ، لقد قال  
 هذا الانكليزي الذي ينحدر من انبيل الساعات في هذه البلاد ومن المسلمين  
 المتدينين : " لو كنت يهودياً لما قدمت قرشاً او رجلاً في سبيل هذه  
 القضية . ( اوغندة ) لانه لا يمكنكم استبدال فلساين بأية بلد  
 اخر " . وينيف وايضاً انه كتب لبرتزل عن هذه السابله ويسجل  
 وقصها في نفسه : " كانت معرفة هذه الحقيقة اعظم مأساة بالنسبة  
 لبرتزل . ولكنها كانت في الوقت نفسه اعظم تجربة له . وهكذا  
 اصبح برتزل من الداعين لفلساين . ( ١ )

فَمَا لَكُمْ مِنَ الْغُرَبِ وَجَنُودِهِ مِنَ الشَّرِّ

ان يقال عن الصهيونية انها المسألة الوطنية او بالتحديد " ليست  
الا المسألة الوطنية التي خلفتها البورجوازية اليهودية الاوروبية لنفسها

(١) - الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ٢٤٩

(٢) - دراسات يسارية - المدر السابق - ص ٨٦

كما فكر الدكتور العظيم ، فذلك كما ظن ليس له سند منائي على  
الامم ، فلكي تكون " لجهة ما " مسألة وطنية " يجب في البداية ان يكون  
لديهم وطن يعانون من مشكلة او مسألة ، اما التفكير بنهب اوطان  
الآخرين فله اسم آخر ، واسمه معروف انه الفزو الاستيطاني الابيض .  
او المسألة الاستيطانية الاستعمارية مثلا . وعندما يكون الامر كذلك  
فيجب ان تترك مثل هذه المسألة " لاعلمها اعني للقادرين عليها  
اذ لا يمكن ان فئات من البشر من حجم نصف اربع بالمائة من سكان دولة ،  
كما كان حال اليهود الاوروبيين اصحاب المدة في لندن وباريس وبرلين  
يتابعون القيام بمثل هذه المظاهرات الجبارة فيما وراء البحار .  
والقاديرون عليها هم المشرفون على عملية الانتاج الجبارة . انهم  
اصحاب البواخر والقطارات والجيوش المجهزة بالحديد والنار واصحاب  
المصانع والمناجم ، والباحثون عن المواد الخام لسانهم و  
اسوانهم ... والسخ .  
والعملية برمتها في اذهان مثل هؤلاء الطغاة ، اعني عملية استثمار  
غلباين بواسطة اليهود ، لم تكن في تصورهم الا استثمارا عسكريا لحماية  
طريق التجارة او قناة السويس او خطوط البترول فيما بعد . ولم تكن  
تصوراتهم طوباوية منلما كانت شلحات مرتزل ، فهم مثلما زرعوا  
حصدوا ، والذي لا يرى كم كانت غلتهم وفيرة منذ بناء هذه المستوطنة  
ومن ثم الدولة لا يرى شيئا او لا يجب ان يرى شيئا .  
كان المطلوب هو بناء استثمارا عسكريا على شكل دولة تمول نفسها بنفسها

والامبريالبيون كانوا يخصصون ليهودهم دور النباط قادة الضائـل  
 اما الجنود فمن يهود الشرق <sup>(٤)</sup> ، من المميـن القادمين للبحث عن المسـل  
 في الغرب . والصهيونون اليهود الاوائل في الغرب كانوا قد فهموا دورهم  
 بالنبط على هذا النحو .  
 ويؤكد تاريخ علاقة بريطانيا بـهذا المشروع انها  
 لم تكن تطلب من اليهود البريطانيين اكثر من تقديم " القيادة " حتى  
 تبدو الحركة وكأنها حركة يهودية " نابعة من شوق اليهود المتلهب  
 الى صهيون " . وكان واضحا منذ البداية ان اليهود الغرب لم يكونوا  
 على استعداد ليكونوا المواد الاولى لهذا المشروع " فالمواد الاولى  
 الملائمة والمناسبة هم يهود روسيا وشرق اوربا " ولهذا كانت بريطانيا  
 ترسل مبسوتها الى التجمعات اليهودية في هذه البلدان لتـمريض يهودها  
 على قبول فكرة العودة الى " ارض الميعاد " او " ارض الآباء والاجداد " <sup>(١)</sup>  
 لانه " من الصعب كما يؤكد القس جيمس نيل - ان يستطيع الانكليز استثمار  
 فلسطين بمنـل النجاح في امريكا الشمالية بسبـب الحر والمصاعب التي  
 يخلقها العرب ، وعدم وجود حماية فعالة وغير ذلك " ولذلك فان " استخدام  
 اليهود لهذا الغرض " وهو يقصد يهود الشرق ، يحقق جميع الشروط المطلوبة <sup>(٢)</sup>  
 فالصهيونية الغربية ، صهيونية لندن وباريس وبرلين ، رأت في يهود روسيا  
 وشرق اوربا " ذلك الفائض السكاني المتوجب نقله الى ما وراء البحار  
 وتوطينه في ارض جديدة - قديمة ، يرتبط اسمها بالذكريات الدينية " <sup>(٣)</sup>  
 ويشرح هذه الفكرة تبسيط زائد لا يدع مجالا للالتباس الصهيوني الالمانى  
 (آدولف فريدمان) ، فيقول : " ان الصهيونيين الالمان ، والاوروبيين  
 الغربيين منهم بشكل عام ، هم قادة الحركة الصهيونية وعبادها بالفعل  
 فالصهيونيون الروس والبولونيون تنقصهم الخبرة السياسية ، ويمشون في

(١) - اسرائيل خنجر امريكا - المصدر السابق ص ٥٧ - ٥٨

(٢) - احذروا الصهيونية - المصدر السابق ص ٣٥

(٣) - الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق ص ٤٠

(٤) - ص ٤٠ - العدد ٤٩ - ١٩٧٤ (نـيار) ص ٤٥

ظل انظمة غير حرة ، لذا فتح علينا مسؤولية القيادة والتوجيه .....  
والحركة الصهيونية يجب ان تكون منظمة ديمقراطية على الورق فقط ،  
اما على صيد الواقع المحلي فان الاتلية التي يشكلها الصهيونيون  
الغريبون هي التي تأخذ على عاتقها مهمة ابع الحركة الصهيونية الباصرة  
بالمسما الخاص (١) وفي المؤتمر الصهيوني التاسع (هامبورغ ١٩٠٩)

قال الزعيم الصهيوني الالماني (فرانز اونيهايمر) الذي كان من اكثر  
المترفين المستعجلين (الصهيونية كناية عن عملية نشر نحن فيها على  
الاخراج ويقوم اليهود الشرطيون بالتنفيذ والتنفيذ (٢) .

وفي ١٩٢٢ عندما كان وايزمن يخطب امام عدد من الصهيونيين الروس  
قال : " لم يكن مرتزل يعتقد ان بإمكاننا ان نكون نوادا للحركة الصهيونية  
بل كان يعتقد اننا ( يهود روسيا واوروپا الشرقية ) سنكون اداة تنفيذ  
منها الحركة الصهيونية الشرقية (٣) . وواقع ان وايزمن ، الداية ، كان  
يخدع نفسه ، لانه انذاك لم يكن تائدا للمنظمة الصهيونية المالينة  
باعتباره روسيا من ليتوانيا ، وانما باعتباره الكليزيا بالنسبة  
واحد ابرز المقربين من وزارة الحرب البريلانية وارادة الاستخبارات  
البريلانية .

لقد حاول الصهيونيون اليهود الاوائل في الشرب ، وخاصة تلك الروس  
القريبة من الدوائر الاستعمارية ، ان يظهروا وكأن لديهم " مسألة وطنية " .  
وقد خدعوا ببراعاتهم التمثيلية الكثير من المستعمرين والمشايعين  
والمسحبة أنه لوجع آنذا ك كل ماني يويهم من نقود لماكشي ذلك البناء  
كوخني فلساين ، ناهيك عن بناء مستعمرات ومن ثم جيوش محاربة .....  
وملمجرا ...

(١) - المصدر - ص ٤١ - الصهيونية وحسوت الإلانة - الباب

(٢) - المصدر السابق ص ٤١

(٣) - النكرة الصهيونية المصدر السابق ص ٤٥٠

محاولات في التلحين الايديولوجي /

يجب التذكير مجدداً بقوله المؤرخ (فرانز كوبلر) انه في بريطانيا  
 " اكثر من اى مكان آخر " استمد كبار الناقدين بلسان ابيال عييدة  
 " وحيم من رؤيا اسرائيل المنبثقة من جديد " . لانه في بريطانيا با  
 بالذات وبالاعانة الى جميع الوسائل المادية او السياسية التي استخدمت  
 بهدف تنفيذ المشروع الصهيوني ، يمكن ان نعتبر عك اول استخدام للوسائل  
 الفنية الادبية في محاولة واضحة لـ "لحاء او بالاصح للتلقين لايدولوجي  
 لاولئك الناس اليهود ، الذين سيكثفون " بالتشكيل " او الذين سيكونون  
 " اداة تنفيذ منها : الحركة الصهيونية الغربية " . ولقد بلغت مثل هذه  
 التجارب في بريطانيا بواسطة الادب الروائي . وفي الوقت الحاضر يصعب  
 تصور تأثير الرواية بسبب ايشان الوسائل الاخرى المبرونة . ولكن من  
 الضروري التذكير ان ابطال الروايات عند منتصف القرن التاسع عشر كانوا  
 يشبهون او يزيدون قليلا عن المبنى " النجومي " : ابطال السينما مثلا  
 عند منتصف القرن العشرين . فابطال الروايات كانوا آنذاك قدوة او حلا  
 للقراء او للشباب في افكارهم واقوالهم ومعتقداتهم . ومن هذه الدارة  
 للرواية في ذلك الوقت يمكن تصور تأثير رواية عندما تكون منقلبة  
 بالانكار الايدولوجيا التي يتم تصميمها بشكل مغاير وعلى نطاق عالمي .  
 في بريطانيا كان القرن التاسع عشر هو قرن اندماج اليهود في المجتمع  
 البورجوازي البريطاني مثلما كان الامر او افضل قليلا مما هو عليه الحال  
 في بقية البلدان الاوروبية . وقد تجلى هذا المصنئ الاندماجي لليهود  
 عند بداية القرن في رواية ( ماري اوجورت ) المسماة " ماري جتون " .  
 حيث ظهر فيها لأول مرة في الادب الانكليزي " شخصية يهودية طيبة " .  
 تعبر تمام التعبير عن روح العصر البورجوازي . وفي ١٨١٩ نشر (السير والتر  
 سكوت) روايته " آيفينمو " وهي تضرب على الوتر ذاته وترفض الموقف



العنصرى من اليهود وتدعو للاندماج .

رواية

لكن في عام ١٨٢٢ سيكتسب ( بنيامين دزائيلي ) " الصهيونية " الاولى باسم

" دايفد الروى " . في هذه الرواية يقوم دزرائيلي بعملية الارتكاس

" يفتال فيها الشخصية اليهودية التي طرحتها ( هارنجتون ) لانها شخصية

قد تكون مقدمة لدعوة للاندماج ، ويدلح بالله اليهودى طرحا عنصريا

عنيفا ، هو في الحقيقة الوجه <sup>المر</sup> للعملة الهتلرية الدائمة التي ستظهر

بعد قرن (١) من هو هذا الروائي الذي يرفع شعارات يهودية جديدة ،

التعصب ، المنصرية ، رفض الاندماج ، الفوز ؟ . انه السياسي البريطاني

" الممجد " ومن اصل يهودى ( بنيامين دزرائيلي ١٨٠٥ - ١٨٨١ ) النائب

في البرلمان منذ عام ١٨٢٢ ، وعضوا الوزارة البريطانية ثم رئيس

وزرا بريطانيا مرتين ( ١٨٦٨ و ١٨٧٤ ) ، وفي زمن رئاسته ضمت الهند

رسميا الى التاج البريطانى ، وهو الذى مهد لاحتلال مصر بالسمل على

شعرا . اسهم الخديوى في قناة السويس بأموال روتشيلد لحساب الحكومة

البريطانية .

ان اعظم منهدس السياسة بريطانيا في زمن عظمتها الامبريالية وانتشارها

الاستعماري في العالم ، كانت لديه في اوقات فراغه هواية تختلف عن

هوايات الساسة الآخرين ، وهي تأليف الروايات . كان في اوقات فراغه

ينكر بالمسألة الشرقية ويليق الهند . لذلك ، وبدلا من بيع الوقت

بلعب الجولف او ركوب الخيل او الصيد ، على طريقة الساسة الآخرين

فقد كان يشغل وقته بصناعة بطل يهودى " صهيونى " ويضع على لسانه

ما يجب على كل يهودى ان يتعلمه ويحفظه ويسمى بموجبه . . . . .

وبلا تطويل ، اراد <sup>ان</sup> يقول لليهودي القادم من روسيا واوروبا الشرقية

الباحث عن الحرية ولقمة العيش ، والهارب فعلا من تحت النير الاتعلاقي

(١) - كنفانسي غسان - في الآلهة الصهيوني - مركز الابحاث ببيروت

والمذابح الاسامية ، اراد ان يقول باختصار : اسمع ، انك انت نصف اله ، اجدادك اعلوا للعالم آلهته ، من هو اله المسيحيين ؟ انه يهودي ، ان هؤلاء الاوروبيين الذين يتابلونك بسخرية انما ينادون منك لانك اكثر اصالة وانقى دما واحسن ديناً . هل تعلم ما ينطقك حتى تستعيد مجدك السابق وتصبح اعظم من جميع البشر ؟ . ينتميك ان تستشعر حماك وتذهب لتحرير ارض ابائك واجدادك . انه ينتميك فقط ان يكون لك وطن وان يكون بيدك سيف وعندك ذلك سوف ينحني جميع الناس تسليماً لك نقاد روايته " دافيد الروي " قالوا في حينه ان دزرائيلي اراد ان يقول باختصار ان " اليهود هم المهيأون الوحيدون لقيادة الكون " وكان تركيزه الاساسي على المزج بين " العرق والدين " وكان مفهومه ان " المركز الروحي " الذي يشير على اليهود ببنائه هو فلسطين او " ارض التوراة " (١) .

ان الافكار التي وضعها دزرائيلي على لسان ابطال رواياته " دافيد الروي " و " تانكريد " ١٨٤٤ والتي يمكن قراءتها متناثرة في ادب الكتاب الصهيونيين عند نهاية القرن الماضي عرض فيما يلي عينات منها : - يتأثر البطل (الروي) بما يعانيه اليهود من بؤس ، فيقول : " يا الله آباي . . اني لاجرو على تسميتك اله ابنائهم الاشقياء " . . . ان خادمك اسرائيل يارب هو الآن عبد مهان ومذعور . . . واسفاه . . . . . انهم لايمانون ، انهم يتحملون ولا يشعرون " . ويخاطب الروي أحد اليهود الاندماحيين ( هين ) ، وهو من اتباع فلسفة مندلسون ، فيقول : ( ان العالم مريع لك يا مولاي حنين ولكن لو كنت مثل اخوانك تعامل بالكفر واللينة بدلا من الانحناءات والتبريكات ، لو كنت تنهض كل صباح لتشعر ان وجودك ذل وتري نفسك مشارا اليك بنبان الكرة والتدريج . لو كان خالك مثل خالهم في جرجرة حياة مهينة بليدة ، يائسة وبلا هدف ، وليس

(١) المصدر السابق - ص ٥٠

(٢) الراسب هاني - الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية

فيها سوى الحلا من تيمتك فيما انت تشير بحدته بتيمتك الالهية وتعرف  
 "جدا عرقك المتفوق . عندئذ ه ربما يكتشف-حين انه لا بأس بالنزال لاجل  
 الحريسة والشرف<sup>(١)</sup> . وماهي المهمات التي يجب ان يعد نفسه لها بهذا  
 البطل ؟ ... " يارب الجمود ، دعني اغزو او امت ... دعني اغزو  
 مثل داوود او امت ، يارب مثل شاوول<sup>(٢)</sup> ، وهو ينذر المسلمين على لسان  
 احد الابطال الروايين<sup>(٣)</sup> : " سوف نيب ( ادفيد الروي ) على بواباتكم ، ويظمن  
 ويدمر تماما كل مالدكم ، ولن يوفر احدا ، بل سوف يذبح الرجل والمرأة  
 الطفل والرضيع ، النور والشمعة ، الجمل والحصار " . " تسألني  
 ماذا اريد ؟ ... جوابي هو ، وجودا قوميا لانملكه . تسألني  
 ماذا اريد ، جوابي هو ، ارض الميعاد . تسألني ماذا اريد ... ؟  
 جوابي هو القدس<sup>(٤)</sup> . وبعد ان يقوم البطل ( دافيد الروي ) بتتل  
 " جليات " الامير المسلم ، يصرخ " هه ... اخيرا انا رجل . هذه  
 فعلا هي الحياة . فاعش ذابحا<sup>(٥)</sup> .

وفي ( تانكريد ) يقول البطل ( سيدونيا ) : " القضية قضية عرق ... كل  
 شيء عرق ، وليس نعمة حقيقية اخرى " . واليهود " هم من جنتهم الطبيعية  
 بالمعقري كعبة الهية ... انهم الوسطا بين الله والانسان الصلصة  
 الرانية التي تعطي للجنس البشري انسانة " . ويقول سيدونيا ، اعظم  
 المشرعين موس ، واعظم الملوك سليمان ، واعظم المدلمين يسوع ، وكلهم  
 يهود ، " اي عرق ، منقرض ارحي ، يستايح ان ياب مثل هؤلاء النعمة ... ؟  
 وتقول ( ايضا ) بدلة الرواية ) : ( نصف المسيحية يبدون يهودية  
 ( مريم ) والنصف الاخر يهوديا ( يسوع ) . ... فمن تظن العرق المتفوق اذن  
 العابد أم المعبود ؟ ... " <sup>(٦)</sup> والسبب الذي يدفع الاوروبيين لانهاد

اليهود فهو " النيرة " لا بد ان احدى نتائج الحكم الالهي في هذا العالم

(١) - المصدر نفسه - ص ٤١

(٢) - المصدر السابق - ص ٤٠ - ٤١ - ٤٣

(٣) - المصدر نفسه - ص ٣٩

(٤) - - - - - ص ٤٨ - ٤٩

الذي قرر ان الهدف المقدس يجب ان ينجز بواسطة عروق بشرية مختلفة ،  
 هي سخط غيور على الوحي الذي انزل على <sup>خاصة</sup> عوالم <sup>عربية</sup> . وبسبب هذا  
 السخط الغيور ، حاول الاوروبيين باستمرار ان يدمروا اليهود ، ولكن  
 عبثا . لمؤلاهم ينهيم الله : " اي مسخرة ان يحيي " يروه شبهة ؟ ...  
 " وهل يمكن ان يحييهم بأفضل من ان يهيمهم ندرات تفوق ندرات الاسم  
 الاخرى التي يسمون بينها ؟ .. " الحقيقة هي انك لا تسطيع ان تدمر  
 عرقا نقياً ... انه حقيقة فيزيولوجية ، قانون بسيط من قوانين الطبيعة أعيا ملوك  
 مصر وآشور والاباطرة الرومان والسفستشين المسيحيين . (١)  
 ويورد على لسان بطل رواية تانكريد قول له منقذ " لم يعد صبا الوصول  
 الى القدس ، السوية الحقيقية هي التي عاناها الصليبيون ، ماذا تفعل  
 بعد وسولك هناك (٢) . وكان ذلك عام ١٨٤٤ اي بعد هزيمة محمد علي امام  
 التحالف الاوروبي بزعامة بروسيا ، وتبلور فكرة عودة اليهود الى فلسطين  
 بحيث اصبحت من المسائل الجديدة في السياسة الخارجية البرلمانية .  
 والمخزي ان احد الممثلين للرواية ، ولكن بوجه اكثر من ثمن ، وهو اسحق  
 رابين ، رئيس اركان الجيش الاسرائيلي ، وكان يتحدث بعد حرب حزيران ٧  
 ١٩٦٧ بمناسبة الذكرى الـ ٧٠ للمؤتمر الصهيوني الاول ، فقال ان المملكة  
 الصليبية والدولة الاسرائيلية قد عانت كل منهما من مشاكل متشابهة  
 مثل مشكلة تعدد اجناس السكان ومشكلة الامن " وكان الصليبيون مجاريين  
 مثل الاسرائيليين عرفوا ان امنهم كان يكمن في يقاتلهم لمقاومة الهجمات  
 السادية . ومملكة الصليب مثل مملكة نجمة داود تابت امتدادها بواسطة  
 الحرب لمدة طويلة بعد اقامتها " . واشاف : " ان التلق الذي شر به  
 يهود العالم على اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ما هو الا الذي لحق اوروبا على  
 مملكة القدس عندما كانت تقع في خراب .. وكذلك فان تبسينها الاقتصادية  
 ليهود العالم شبه بتبسية مملكة القدس لاوروبا (٣) . ويقول اغنيرو وهو

(١) - المصدر السابق - ص ٤٧

(٢) - المصدر نفسه - ص ٥٦

(٣) - اسرائيل بدون صهيونية - المصدر السابق - ص ٦٦ - ٦٧

يدلق على حديث رابين : ( لقد قال لي مؤرخ شهير انه يتوجب على الاسرائيليين ان يتخذوا من الاغلاء الصليبية درساً عملياً حتى لا يكرروها .

### من جورج اليوت الى احباء سهيون /

في عام ١٨٢٤ سوف تأخذ مهمة التلتيين الايديولوجيين بالنبأية عن دزرائيلي الروائية البريلانية ( جورج اليوت ) وتنتج روايتها الشهيرة " دانييل ديروندا " . حيث تلمح فيها الانتكاس الصهيونية اكثر تحديدا والاهداف اكثر وضوحا . وانع دراسة " الشخصية الصهيونية " هاني الراحب ، يلخص الاهداف السيكلولوجيه والسياسية للرواية ، فيقول : " ان امكانية وجود انبياء وقادة بين اليهود ، على غرار العهد القديم ، تبدو واضحة فيها وكذلك تلمح الشخصية اليهودية والتراث اليهودي في اعلى مجدها وشاعريتها كما ان هدف انشاء جمهورية يهودية ببحثه مرسوم ليس فقط بإمكانية وانما كواجب (١) .

لم تكن اليوت بحاجة الى ( تهديد ) لانها مسيحية ابا عن جد . وكانت حتى عام ١٨٤٨ تلتزم بتحريم اليهود " كل تاريخهم يقتز النقص تماما " ولاكل شيء يهودي على وجه الخصوص لهو من درجة ونسبة (٢) . " لكن للضرورة احكام فتد كان رئيس وزراء بربانيا مشغولا بأمر اكثر واقعية ، شراء غشاء السويس والاشراف على تناليم سياسيات " احباء سهيون " . لذلك تقدمت اليوت لتكمل الدريسق .

في رواية ( دانييل ديروندا ) تتاور الشخصيات الصهيونية وتشتغل بالسؤال والانتكاس السياسية والقومية وتصبح مستعدة للانتقام في الحزب الصهيوني المنتار " الحركة الصهيونية العالمية " . ان ( مورديخاي ) بدل اليوت يتحدث مثل ( آرون ) بدل دزرائيلي : " منذ عهد الاسكندرية وما بعده

كانت اكثر المتول تكاملا في المتول اليهودية " . ومن دزرائيلي

(١) - الشخصية الصهيونية - المصدر السابق - ص ٧٥

(٢) - المصدر نفسه - وذات الصفحة

تؤمن المؤلفة بأن اليهودي "قد تخلص في تلك ير نصف العالم وقولمب  
 المسيح الرائعة لدين هذا العالم" (١) وفي ذلك الوقت البريلاني الصرح  
 لم بعد الحديث الذي مع المندميين متبرلا كما كان يفعل وزرائيلسي  
 "ان المؤلفة تتخذ هنا موقفنا متارفا في حكمها الاخلاقي على اليهود ،  
 اذ تعتبر ان كل من لا يكون سميونيا منحلا وبلا اخلاق" (٢) فهي نصف اليهودي  
 المندمج بأنه شخصية ونسبة " انه مصحح دماء الجنس البشري ، انفسه  
 ليس انسانا" (٣) . ويظهر اليهودي في الرواية وكأنه محترم عليه بتسوى  
 جسارة اشبه ما تكون بقوة القضاء والتدر ان يكون يهوديا وحسب ولا شيء  
 غير ذلك . تقول ميرا ، باللغة الرواية ، " سوف لن أكون شيئا آخر ابدا  
 واثما انسر انني يهودية " ويقول لها موريغاي - البطل - " لقد كان  
 خانا هو خداسرايل " لا يستطيع ان يكون شيئا آخر .  
 ان ابدلال رواية البيوت هم " تبسيد لتلك الروح التي دعت الناس بعد  
 ارت طويل من اعتناق الكاثوليكبة الى ان يتركوا الثروة والسكان الرئع  
 ويهازنوا بحيواتهم غربا ( الى مكان آخر ) كيما ينضموا الى شعبهم  
 ويتولوا انا يهودي " . ويتضح به ايمان احد ابدلال الرواية بانبيات  
 اسرايل في رغبته بأن يكون له " عقيد يتلك قلبا يهوديا حيتيا"  
 وأمله في ان ينشئ كل يهودي اسرته " وكأنه يأمل ان يبعث فيها (٤)  
 وتسور المؤلفة الشخصية التومية اليهودية وكأنها " قوة التدر ، وفيها  
 عداسة لا يمكن ان ينبع الناس في طرقها ، انها النتائج التي يأتونها  
 أجيال ولها جذور أعني وأبعد انتشارا " وهذه القوى الفارعة والجذور  
 الخفية تجبر الناس " على الاعترار بقدسية الحياة اليهودية " . يتحدث  
 ببال الرؤية ( ديروندا ) الذي يمثل دور موسى الجديد " المنذر " فيقول

(١) - المصدر - السابق - ص ٥٨

(٢) - = نفسه - ص ٧٠

(٣) - " ز " - ص ٧٥

(٤) - " - ص ٧٤

" الفكرة التي تتسلكني هي استعادة وجود سياسي لشبيبي ، جعلهم أمة مرة أخرى ، اعطائهم مركزاً قومياً ، مثلما للانكليز ... انهم مهمة تتقدم الي كواجب ... وأنا مصم على تكريس حياتي لها . على الاقل ، قد أتمكن من ايقاظ حركة في العقول الاخرى ، مثلما ارتفعت في عقلي (١) .

لقد كانت رواية جورج اليوت (دانييل ديروندا) رواية ايديولوجية بكل معنى الكلمة . فابدلها تم شحنهم بالاثكار والحق والمبررات والسواف لكي ينفصلوا كيهود عن مجتمعاتهم التي يعيشون فيها ومن ثم يهبوا انفسهم لانجاز مشروع عودة اليهود الى فلسطين واتامة دولة لهم فيها من جديد . بل ان ابطال اليوت الخياليين ربما كانوا اكثر تعباً من الابطال الحقيقيين الذين سيظهرون على المسرح اليهودي بعد قليل .

ان الرواية عبارة عن مجموعة من الخلافات الصهيونية يتتابع ابطال الرواية بالقائما مبررين انفسهم ومبررين اهدافهم تجاه الآخرين وبسبب من هذه الادلة المكثفة فان الرواية كانت ، حسب رأي النقاد من الناحية الفنية ناقصة للغاية . ويقول غسان كنفاني ان " القسم الصهيوني " في رواية اليوت ، كما اصطلح النقاد على تسميته فيما بعد " يستغل في قعر البرود " فنياً ، وانه بدون تحفظ " فاشل تماماً " . وكان هذا رأي هنري جيمس اكثر النقاد تحفظاً بجورج اليوت . كما لاحد ناقد آخر ( ف . ليفز ) ان هذا القسم - الصهيوني - الذي يهدف الى شحن اليهود بايماءات خاصة ، يتميز " بالذكاء الذم مكنها " (المؤلفة) من ان تتنبأ كم يستطيع الانفصال القومي ان يؤثر على اليهود (٢) وان اهم ما يميز هذا القسم هو " توفير كمية كبيرة من الابعاء " .

(١) - المصدر السابق - ص ٧٥

(٢) - في الأدب الصهيوني - المصدر السابق - ص ٥٥

يخاطب البطل ( مورخاي ) ، الذي يأخذ في الرواية دور النبي الجديد  
المخلص ، فيقول : " انا اقول بأن تأثير تفرقنا لن يكتمل ، ولن يصل  
الى ذروة تحوله دون ان يتخذ جنبنا مرة اخرى شخصية قومية ....  
هذا بالضبط هو الحقيق الوحيد للامانة الدينية التي جعلت منا شعبا  
كانت حياته نصف وحي العالم .... والذي يهمني من تفرقنا وتشتتنا ؟ ..  
ان الجوع ما زال قائما ... دع الرجال الاغنياء ، دع كبار التجار  
دع المثقفين ، في كل السداف والجزء في كل الفنون ، الخلباء  
والسياسيين الاكفاء الذين يحملون في عروقهم الدم المبرى ودمائهم  
المبترية السبرية ، دعمهم يقولون : سوف ننشئ مستوى عاليا ، سوف  
نتحد في عمل قاس ولكن مجيد ، مثل موسى وعزرا .... لديهم المال  
الكافي ليشتروا الارض من محتليها المنهارين ، ولديهم مهارة  
رجال الدولة ليتكروا ، ولديهم لسان المتكلم يقتنوا .....  
ألا يوجد فيما بيننا نبي اوشاعر يجدل آذان اوروبالمسيحية تفرع  
بالدار لما يلحق بالكفاح المسيحي الذي يلمس بالسر نياما يحرق اليه  
الاتراك كما يحرق مؤجر الحلبة لسراع الوحوش فيها ، هناك خزان من الحكمة  
فيها يمكن لاجاد نالام يهودي جديد ، كبير وبسيط وتعايا مثل القديم ،  
جمهورية تتولى فيها المساواة في الحماية ، .... وعند ذاك ، سيكون لجنسنا  
مركز عشوي ، قلب ودماع ليحرس ويتود وينفذ .... سوف يحصل اليهودي  
المضله عند ذلك على دفاع في محكمة الشرب ، كالانكليزي المضله  
والامريكي المضله ... وسوف يكسب العالم اسرائيل من جديد كما تكسب  
اسرائيل بدورها .... لان مجتمعنا سيكون مجتمعا في المدينة الشرق يحصل  
ثقافة واحاسيس كل الامم الكبيرة في ذروة ازدهارها ..... سويكات  
أعرف ان هناك صعوبات ، لكن <sup>ع</sup>روح التوثب تتحرك في الكبار من شعبنا  
وسكون السمل قد بدأ (١) .



في هذا الخطاب تلحق جورج اليوت ابدلال المستقبل رزمة الاسس والاهداف  
دفعة واحدة : الشرق والديف وثلثا ليد كأساس للقومية الصهيونية بللا  
بالاشافة للبرنامج العملي الذي سيكون على اصحاب العلاقة ، اصحاب العلاقات  
القيام بوضعه مستقبلا موضع التنفيذ . وكل ذلك مصاغ داخل إطار حق الرجل  
الابيض الاوروبي بفرض سيطرته على الآخرين وخاصة "مؤجر الحلبة لسراع الوحوش"  
السلطان الذي كان يتسبب آنذاك انفعالا للادارة البريطانية بسبب من انحيازه  
نحو الالمان .

وقد كتب هاني الراهب وهو يلخص المدلول السياسي لهذا الخطاب ، فقال  
" على الصعيد السياسي العملية نستخلص من رؤيا "مورديخاي" البرنامج  
التالي : (١) / التمويل من قبل الاغنياء اليهود .

(٢) الاعلام والدعاية

(٣) الاتحاد في شكل منظمة سياسية .

(٤) استثمار فلسطين

(٥) واقناع الشرق ان اسرائيل ستكون صلتها الثقافية بالشرق

وهذا بالضبط ما سوف ايسوغه دعاة الصهيونية في مؤتمرهم الاول عام  
١٨٩٧<sup>(١)</sup> ولم يكن وصف رواية اليوت بأنها رواية ايدولوجية مسألة  
استنتاج فقد اعتبرت الرواية من قبل أولئك الذين كانت موجهة اليهم  
في الاصل كذلك . ويكتب غسان كنفاني ، وهو يستند الى وثائق تاريخية  
" لقد كانت قيمة " دانييل ديزوندا " خدماته السياسية ، لثبار من التسبب  
كان يقف على مفترق الطرق ، فقد اعتبر ، لدى قادة ذلك التيار كتابا  
في غاية الاهمية فتنبوه ووزعوه واعادوا طبعه ونشره في اوروسيا

(١) الشخصية الصهيونية - المصدر السابق ص ٧٦

وبعد اربع سنين من ظهوره غيرت المدرسة النظرية الجديدة في روسيا ( سولنسكين - غوردون - ليلتنبلوم ) رأيا في الاندماج وقررت تبني " النهضة السياسية النوميية كحل لليمشكلة اليهودية - وكذا " فقد تبني هؤلاء الكتاب قورا دانبييل ديرونيدا : ترجموه الى العبرية واليديش والحقوا به وجهات نظرهم السياسية الخاصة حول اعادة استعمار فلسطين<sup>(١)</sup> وغزا الكتاب " بمخططات مدروسة " البيوت اليهودية .  
ولما ان ترجم للعبرية حتى اضحى " انجيلا صهيونيا " وكان اسم جورج اليوت يسمع في الشرق ، لدى روسيا واوروبا الشرقية ، مكرنا باسم موسى مونتيوري - وادموند روتشيلد ، باعتباره من " الاصوات المهمة المسيحية التي كانت تساندهم " في الغرب . وفي عام ١٩٤٨ ، وقبل ان يندوب دخان الكارثة الفلسطينية اطلت حكومة اسرائيل اسم جورج اليوت على احد شوارع تل ابيب . كما سجل في الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لعام ١٩٥١ - ١٩٥٢ ان ( دانبييل ديرونيدا ) كانت احدى الاساس التي " ارست اسلورة بميث اسرائيل<sup>(٢)</sup>

---

(١) - في الادب الصهيوني - المصدر السابق - ص ٦٠

(٢) - دافيد غوريون - المصدر السابق - ص ١٤

(٣) - في الادب الصهيوني - المصدر السابق - ص ٥٤

الاسامية وتكوين الوعي الذاتي :

ان الناس ، الايديولوجيين ، لا يفكرون عبثا . ولكن قبل ان نفتش في مكان آخر ، ~~ببين الطبقات مثلا~~ ، أو نستعرض افكارهم ، يجب ان نسألهم ~~نستقروهم~~ ، لماذا فكروا وما هي المناسبة ~~ببين~~ . فالايديولوجيون الصهيونيون الاوائل جميعهم تقريبا يتولون بانفسهم ان الاسامية هي التي أتت بهم الى الصهيونية . والاسامية كما عرفها لينين هي ( كراهية غير اليهود لليهود ) وهذا ايسر واشمل تعريف لتلك الظاهرة التي عملت اوروبا من غربها الى شرقها اعتبارا من الثلث الاخير للقرن التاسع عشر ، وتجلت على شكل حملات ثقافية وسياسية وصحافية واحيانا احداث عنف موجهة ضد اليهود .

فتوتر العلاقة الاجتماعية بين اليهود وغير اليهود المحددة تاريخيا بتلك المرحلة ، كان له دور بارز ليس فقط كمناخ لخلق تصورات عن مكان بديل أكثر أمنا والرجيل اليه ، وانما ايضا كمناخ لاعادة خلق ذلك الشعور لدى قسم كبير من يهود اوروبا بانهم متميزون من غير اليهود . فالاسامية هي في الواقع ، واكثر من اية وسيلة اخرى التي جعلت اليهود اذا صح القول يعود الى يهوديته التي كان قد بدأ يهجرها منذ بداية القرن . ولا يوجد هنا شيء غير عادي . فجميع الناس عندما تسد في وجوههم سبل للحياة محددة يفتشون عن سبل اخرى جديدة . وقد لاحظ الدكتور المسيري ، بحق ، ان القوانين القيصريسة الاسامية ، ( قوانين مايو الشهيرة في روسيا ) ١٨٨٢ ، وعسسي القوانين التي حجرت على اليهود في عمله وملكيته وثقافته وحتى في مسكنه ، هي التي اجبرت بعض قطاعات اليهود وبخاصة مثقفسي البرجوازية اليهودية الصغيرة على الاندماج عن الاتجاه الاندماجي الى التفتيش عن حل في الصهيونية . وهكذا عاد يهود كثيرون (( مرة اخرى الى التلمود الذي كانوا يتناسونه ، وللتوراة التي التي كانوا قد توقفوا عن قراءتها ، وبدأوا في تعلم العبرية بدلا من الروسية )) (١) واذا كان قد تم في نهاية الفصل الاول الاستناد الى الحاخام سولومون شختر لتعريف الفكرة الصهيونية ( الايديولوجيا ) للبرهان على انها تضم ( جميع صنوف الثقافة والفكر ) وليس فقط ثقافة وفكر برجوازيين فمن الافضل ان نبدأ به . لانه هو الذي تصور ان الصهيونية ( مثل اعلی ) انما اتت به الاسامية ، وليس المثل الاعلی ، <sup>ال</sup>حومته الصهيونية . وفي

مقال السابق الاشارة اليه بالذات ، يبدأ مللمه هكذا (( هناك قصة تحكي عن يهسودي الماني من الجيل القديم تقول انه عندما جاء اليه اصدقاؤه في بداية الثمانيات من القرن الماضي [ التاسع عشر ] وسألوه عن رأيه بالهجمات الجديدة [ الاسلاميه ] على اليهود ، اجاب بكل دقة (( انها ليست جديدة ، انها الهجمات القديمة نفسها )) لا بل انه رأى في الصهيونية السبيل الوحيد (( لتخليص اليهود في اوربا الشرقية )) (٢) من الاطهاد الذي يلحق بهم . انها ، الصهيونية ، يقول شيختر (( اعلان الاستقلال اليهودي من كل انواع السبودية ، مادية كانت ام روحية )) (٣) ان وجهة النقاش هنا اننا من بين ٣٧ ايديولوجي مؤسس الذي يحتوى كتاب (( الفكرة الصهيونية )) على خطاباتهم ، يوجد بينهم من الرؤوس الكبيرة عدد غير قليل لم تكن فلسطين (( ارض الميعاد )) تشده نحوها باعتبارها (( مثل اعلى )) ولكن لا يوجد بينهم ولا ايديولوجي واحد يستطيع ان ينفي ان الاسلاميه كانت تدفعه من الخلف لكي يسقط في الصهيونية . وسأكتفي هنا بذكر عدد من هؤلاء ومن اصحاب الاتهامات الثقافية البارزين ، وأبدأ بهرتزل ، فقد كتب هرتزل في (الدولة اليهودية ) ١٨٩٦ ( الشيء الذي يرجعنا الى خاصتنا هو الضغط علينا ، والعداوة وحدها هي التي تسببنا بسمة الاختلاق )) (( نحن شعب واحد ، هكذا عملنا اعداؤنا سواء رغبنا في ذلك ام لم نرغب )) وفي خطابه امام المؤتمر الصهيوني الاول ٢٩ اب ( اغسطس ) ١٨٩٧ ، قال (( سنجتمع هنا الى تقارير عن حالة اليهود في البلاد المختلفة ، وانتم تعرفون جيداً ، حتى ولو بصورة غير مكتملة ، ان الحالة لا تبشر بالخير في معظم البلاد ، فلو كانت الحالة مختلفة لما كنا اجتمعنا )) . ويقول افنيرى انه عندما كان هرتزل يحلم بدولة المستقبل لالم يفكر ببلد معين فلم يكن هما بالنسبة له ان يكون ذلك في الارجننتين او اوغنده او كندا )) وقد قال حايم وايزمن في المؤتمر الصهيوني المنعقد عام ١٩٣١ ، أن هرتزل عندما كتب ( الدولة اليهودية ) كان على الاغلب (( يفكر بالارجنتين وان المقطع الذي كتبه عن فلسطين انما كان لارضاء اصدقاؤه الصهيونيين )) (٥) ويقعد جماعة احبار صهيون ، كما يؤكد افنيرى ان اولئك الصهيونيين الذين حضروا المؤتمر الصهيوني الاول ( بال ١٨٩٧ ) (( لم يكونوا يسمون الا

(١) الفكرة الصهيونية المصدر السابق - ص ٣٧٤

(٢) الفكرة الصهيونية - ص ٣٧٣

(٣) الفكرة الصهيونية - ص ٣٨٢

(٤) الفكرة الصهيونية - ص ١٢٣

(٥) اسرائيل بدون صهيونية - السابق - ص ٤٢

حقيقة واحدة : الهرب من أوروبا الشرقية ، والمذابح ، والتميز المنصري ، والاموال المتوقفة ، والكوارث التي يمكن ان تحل بهم ((  
واذا نظرنا في امر صهيونية اولئك المفكرين اليهود الذين جعلتهم رواية جرج اليوت يرتدون من الاندماج الى الصهيونية (سولنسكين - جوردون لينيبيلوم ) ، فقد نجد اسبابا اخرى ، اكثر واقعية من الخطابات الطنانة لابطال دزرائيلي وجوج اليوت عن اعظم الترويق واعظم الايمان ، واكبر الالهة ، وراء عودة هؤلاء المفكرين الايديولوجيين من جديد الى الصهيونية .

كان بيرتز سولنسكين ( ١٨٤٢ - ١٨٨٥ ) من اليهود المنفوريين لا كان ينتمي في الخفاء الى الجماعات [ اليهودية ] التي اعتنقت افكاره التنويرية وارتداده الى الصهيونية ، يوضحه هو ذاته . فقد كتب تحت عنوان ( نبذة عن طريقنا ) ١٨٨١ ، وبمناسبة المذابح الشهيرة في روسيا (( نزلت المصيبة تلو المصيبة والكارثة تلو الاخرى على يهود روسيا ، ولم يترك حجر على حجر في كثير من المجتمعات [ اليهودية ] لقد نهبت متاجر اخوتنا وحطم الرعاع كل شيء . لا يستطيعون حمله ، وقد قتل يهود كثيرون كما جرح عدد لا يحصى )) وقبل المذبحة كانت حياة اليهود الروس بائسة كلها (( متاعب وهم حقوق .. حتى في تلك المدن التي يسهل لليهود الإقامة فيها كانوا يسمنون ويتركون كي يموتوا جوعا )) . ولقد حاول اليهود ان يندمجوا وان يعيشوا كالآخرين ولكن اللساميين لم يسمحوا لهم بذلك . وبما ان الان لا يد المدوان قوتهم قد دمرت منازلهم ونهبت ملابسهم ولم يترك طعام حتى للأطفال والرضع منهم الذين في الشوارع )) (٢)

اما تصور الوحدة اليهودية فيكاد يولد من شعور الدفاع عن النفس في ذم سولنسكين : (( يجب ان نعترف بخزي وامس بانه لا توجد وحدة او سلام بيننا لذلك كانت قوتنا في ايام الشدائد قليلة . فهل كان يحصل عذا الشر لو اعتقدنا في قلوبنا بان عشرة ملايين نفس يهودية تنتمي الى امة واحدة ؟ سيجيب كل انسان بكل قواه العقلية : كلا )) (٣)  
وعندما طالب اللساميون بطرد اليهود من روسيا وانتشرت شائعات ان القيصر سوف يأمر بتجهيزهم ، قال سولنسكين ان هذا (( يخيف اخوتنا من اي كارثة حلت بنا من قبل .. واذا كانت موجة الهجرة ستتوجه الى ارض واحدة فمن المؤكد ان ليس هناك مكان في العالم يمكن التفكير فيه سوى ارض اسرائيل )) (٤)

(١) اسرائيل بدون صهيونية - المصدر السابق ص ٤٣

(٢) الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ٤٧

(٣) = = = - ص ٤٩

(٤) المصدر السابق ص ٥٥

كان سمولنسكيين قد تحدر في الاصل من ثقافة تلمودية حيث تخرج من اكااديمية التلمود وعمل في (جوقات الكنيس واقامته المواعظ الدينية) . لذلك كان من الطبيعي ان تنمكس وحدة المصير اليهودي البائس التي كان يشاها على الارض على شكل وحدة في الفكر والشعور مستمدة من الدين والتوراة والروح ، قال : « كنا دائما امة روحية وكانت التوراة ركيزة دولتنا .. نحن شعب لاننا نعتبر انفسنا بالروح والفكر مرتبطين مع بعضنا بروابط الاخوة . نظرنا الى انفسنا دائما كأمة مع علمنا بان التوراة هي الرابط الاساسي بيننا » (١)

اما آرون دافيد غوردون ( ١٨٥٦ - ١٩٢٢ ) فقد كان يهوديا مندمجا وكان

يحتل في مزرعة قريبة لآسطاعي الروسي الفني البارون هدراس غونزبرغ

وقد ترك العمل في المزرعة على اثر مذبحة ( كيشينيف ) ١٩٠٣ . وفي

عام ١٩٠٤ عندما انتشرت اشاعات عن مذابح وموجات من الخوف بين اليهود

هاجر الى فلسطين .

لقد كتب تحت عنوان ( ملاحظات ) ١٩١١ ، ما يؤكد ان الاسلامية كانت دافعه

الى الصهيونية « لقد تساءل شاعرنا العظيم بياك : « هل سيشتغل

الاموات ؟ هل سيتحرك الاموات ؟ » انه لمن المستحيل ان لا يتحرك شعبنا

فالخطب جسيم والالم شديد لدرجة ان الموت الظاهري لا يمكن ان يبقى الشعب

بدون تحرك » . « عندما نعرف الحقيقة كما هي ، بكل رعبها ، وعندما

نشاهد الحفرة العميقة التي تقع امام اقدامنا - عندئذ سيوجد اناس

يندفعون دون حساب للثمن ودون اية اسئلة ، لانقاذ ما يمكن انقاذه ، ولن

تردعهم حكمة انبياء الدنيا الذين سيحاولون اقناعهم بان من الحقاقة ان

يستمرروا في السير الى الامام . ان ايمانهم سينبع من اعماق عذابهم

اليهودي » (٢) .

كان غوردون فيلسوفا متصوفا يصدر عن قاعدة ثقافية متأثرة بحب الطبيعة

والعمل بالقرب من الطبيعة كذلك التي كان قد بشر بها روس وتولستوى .

حيث دعى اليهود الى ( العودة الى الطبيعة على غرار دعوة جان هارنكس

وتولستوى ) وفي عمله في مستوطنة ( دبانيا ) في فلسطين ( يذكرنا

بهرب الكتاب الروس في القرن الماضي من بيوتهم وعائلاتهم لكي يمشروا

مع الفلاحين في اتمال حقيقي مع الطبيعة والروح الانسانية ) (٣) .

(١) المصدر السابق ص - ٤٦

\* من قصيدة الشاعر نحمن بياك على اثر مذابح كيشينيف ١٩٠٣ وعنوانها

( في مدينة الذبح )

(٢) المصدر السابق - ص ٢٦٢ - ٢٦٣

(٣) - - - ص ٢٥٣ - ٢٥٤

وقد تصور ان المصائب التي تقب على اليهود أو كراهية الآخرين لهم ناتجة عن المهن الطفيلية التي يمارسونها مثل التجارة والسيرة والحرف الاخرى لذلك بشر بما اسماه (دين العمل) ودعا اليهود الى السودة التي فلسطين للعمل في الارض ، قال : (( الشعب الفلسطيني ليس شعبا حيا وان شعبنا يمكن ان يمنع الحياة فقط اذا ما حاول كل فرد ان يحدد نفسه بالعمل وبالميت قرب الطبيعة )) وتصور انه في فلسطين يمكن بناء حياة جديدة . (( عم نبحث في فلسطين ؟ اليس عن الشيء الذي لا نستطيع ابدا ان نجده في مكان آخر )) (١)

اما المفكر الثالث ، موشيه لايب ليلنبيلم ( ١٨٤٣ - ١٩١٠ ) فقد كان في البداية من علماء التلمود . ثم اعتنق افكار حركة التنوير (الهاسكالا) لا وصار بسبب ذلك منبوذا في الاوساط الدينية المتزمنة . تأثر بأفكار المفكرين الوضعيين الروس وفقد ايمانه الديني وكل اهتمامه بالافكار المجردة (( وفجأة بعد احداث ١٨٨١ يرتد عن انكاره الليبرالية السلمانية لا ويمتنع افكار جمعية ( احباء صهيون ) . ومع ظهور دعوة برتزل صار من انشط مؤيديه في روسيا (٢) »

يكتب في مذكراته بعنوان ( طريق السودة ) ١٨٨١ ما يوضح اسباب عودته الى الصهيونية : « وبعو يؤرخ لاحداث المذبحة » (( ٥ أيار ( مايو ) ١٨٨١ » الحالة مخيفة ومزعجة . نحن في الحقيقة محاضرون . احببت الساحات بالقضبان وما نحن ننظر من خلال الحواجز لنرى ما اذا كان الرعاع سيبدأون بمهاجمتنا . هل سيشتقون على الصغار والذين لا يعرفون بعد انهم يهود وانهم تمسوا . - فلا يؤذونهم ؟ يا اله اسرائيل الى متى هذا الشقاء ؟ (( ٧ أيار ( مايو ) ١٩٨٨١ : انني لمسور لاني تعذبت . اقتربت التظاهرات من البيت الذي اعيش فيه - صرخت النساء ونجبن ومن محتضنين الاطفال الى صدورهن محاولات الاختباء ووقف الرجال جانبا مذبولين . وتصورنا انه سيقتل علينا في لحظات . لكن ، والحمد لله استطاع رجال البوليس تهريب المتظاهرين فتمشقوا دون ان يؤذونا . واني لمسور اذ تعذبت ، فكانت لي الفرصة على الاقل كي اشعر بما كان يشعر به اجدادي كل يوم )) .

((كنت طيلة حياتي اشعر بالالام على انحطاط القومية اليهودية وعلى فكرة ان وجود اليهود مكتوب له الفشل . ولكني الان ارى امامي طريقا مستقيما ومؤكدا يقود الى الخلاص الابدي لشعبنا وقوميتة ، طريقا قادني اليه ضرورات الحياة ، فوق الخلاص الذي لا اعرف كيف ومتى سيحل ، وقف امامي

(١) المصدر السابق - ص - ٢٥٧ - ٢٦٠

(٢) المصدر السابق - ص ٦٧

بكل مجده ) . ( كنت في العام ١٨٧٧ اظن بان حياتي لا معنى لها لانني لا استطيع السيتردون نقافة عالية وعلم رسمي ) وفي نهاية العام ١٨٨١ اصبحت اسير بوجي هدف سام وصرت رجلا مختلفا ومليثا بشعور اكتناء روجي حتى بدون الدراسة العلمانية (١) .

وكما نلاحظ فان لبليشيلوم يقدم بنفسه وصفا اختباريا متبسطا ونادرا عن الكيفية التي تتجول فيها ، لا لاسباب موضوعية جدا ، مشاعر وافكار منكسر يهودي من اتجاه حركة التنوير الاندماجية الى الصهيونية . وطالما ان الاساميين لا يفرقون بين يهودي وآخر ، لذلك فلا لزوم لظهور نزعات واتجاهات مختلفة في داخل اليهودية (( عندما يتدلق الامر بالامة يجب ان تختفي الطائفية فلا يكون هناك رجال من الطراز الحديث واخرون من الطراز القديم ، ولا مؤمنون أو كفار )) انما الجميع ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب )) والحل تجاه الحضار الاسامي هو في الرحيل الى فلسطين (( اتحدوا واجمعوا القوى ، فلنجمع شعبنا المشتت في اوربا ونذهب الى وطننا بفرح ، وليقل كل من هو مع الله ومع شعبه ، اتا مع صهيون (٢) )) .

### بينسكرك والتحرر الذاتي :

من رأيي ان تسمية ( الجيل صهيولي ) ، بالنسبة ليهود روسيا واوروبا الشرقية تنطبق على كتاب ( التحرر الذاتي : نداء من يهودي روسي الى شعبه ) ١٨٨٢ ، الذي وضعه الطبيب اليهودي الروسي (ليوبنسكرك) ١٨٢١ - ١٨٩١ اكثر مما ينطبق على رواية جورج اليوت (داينجيل ديرونندا) فقد كان دور ابطال تلك الروايات يساعد على النطق او التذكر مثلما يفعل الملقنون الذين يكمنون في اماكن بعيدة عن الانظار في المسرح ثم يشرعون بتلقيح الممثلين ببعض المبارات او الكلمات التي يمكن ان تهرب من ذاكرتهم وهم يؤدون ادوارهم امام الجمهور . وسيكون من الزائد عن اللزوم اعطاؤهم دورا اكبر . فالذي ادى الى تشنيل مسرح الاككار برمته هي تلك الحالة السامة ، ماديا ومعنويا ، التي وجد اليهودي الروسي والاوروبي الشرقي عموما نفسه فيها وكأنه داخل حالة من الحصار يفرضه عليه الاساميون بالقوة . وهذه الحالة عبر عنها وطورها السامسون في الدرجة القصوى ليوينسكرك . كتاب التحرر الذاتي ومن المؤكد ان بينسكرك لم يخطر في باله يوما ان يعود الى يهوديته التي كان قد هجرها تماما فقد تنقف بشقافة روسية علمانية وتحررية صرفة بعيدا عن اي اجواء يهود

(١) المصدر السابق - ص ٦٩ - ٧٠

(٢) = = = ص ٧٣



فحصل على شهادة في الحقوق من أوديسه ونال شهادة في الطب من جامعة موسكو . وقد حصل على تكريم من القيصر نيقولا الاول (( اعترانا بخدماته للجنود المصابين بالتيفوس )) . عمل منذ البداية (( على وجوب سيادة اللغة والثقافة الروسية كليا في حياة كل يهودى روسي )) وكان من أبرز العاملين في نشاط ((جمعية نشر الثقافة بين يهود روسيا )) التي تأسست سنة ١٨٦٢ عندما وقعت أحداث لا سامية بالية في أوديسه ( ١٨٢١ ) بقي على قناعاته انه يجب زيادة النشاط والعمل من اجل (( دمج اليهود في حياة روسية الليبرالية والمنتحرة )) ولكن على اثر مذابح ١٨٨١ التي اعتبت اغتيال القيصر اسكندر الثاني (( راح بنسكر يبحث عن علاجات واساليب جديدة للمشكلة . فسافر الى اوروبى الغربية والوسطى لنشر افكار دعوتهم الجديدة الى ضرورة تركيز اليهود في دولة قومية (١) )) .

لقد اصابت مذابح ١٨٨١ بنسكر الروسي المندمج بحالة من الانتكاس النفسي فصار ينوهم ان كراهية غير اليهود لليهود موجودة تقريبا في الهواء الذى يتنفسه جميع الناس . حتى ان حاخام فينييه ( آدولف جيلينيك ) وهو صديق حميم لابيه اشار عليه باخضاع نفسه للمعالجة الطبية (( لانه يمر في ازمة عاطفية )) .

تصور بنسكر ان (( الدماء )) للسامية خطر يسود العالم اجمع مصدره الخوف من اليهود والذي اعتبره بمثابة الخوف من الاشباح . واعتقد ان هذا الخوف تحول الى مرض نفسي ( توارثه ) الناس عبر الفي عام ولا امل في شفائهم منه )) وقد خلس من قناعاته في غربة اليهود وعذابهم بين الامم الى (( ضرورة التحرر الذاتي والعمل على الاحياء القومي عن طريق ايجاد وطن لليهود )) اعتبر بنسكر ، بحق ، من اكبر مؤسسي الصهيونية اليهودية في روسيا واوروبا الشرقية قبل ظهور صهيونية مرتزل الرسمية بعقدين من السنين . فقد تراس من سنة ١٨٨٤ حركة ( احباء صهيون ) التي كانت بداية تأسيسها في عام ١٨٨٢ فاعيد تنظيمها وتجديدها تحت رآسته حيث (( تسكنت الحركة من جمع المال لاقامة المستعمرات الصهيونية في فلسطين وساعدت كثيرا في تمهيد السبيل امام الفكر والعمل الصهيوني بين يهود اوروبى الشرقية من خلال اعمالها التثقيفية (٢) )) . وقد سجل مرتزل في مذكراته فيما بعد انه لو اطلع على كتاب ( التحرر الذاتي ) لكان اكتفى به ولم يكتسب

(( الدولة اليهودية ))

(١) المصدر السابق - ص ٧٩

(٢) = - ص ٨٠

والواقعة الهامة التي تؤكد دلالة الاسلامية في تكوين افكار بنسكرو ان  
كما يؤكد اسمد رزوق ، (( لم يأت في طبعة كراسه الاولى على ذكر فلسطين ))  
كوطن محتمل للشعب اليهودي . وكان يتصور ان (( الوطن القومي اليهودي  
يمكن قيامه في اى مكان من العالم )) . فقد كتب في (التحرر الذاتي) (( يجب  
ان لا نربط انفسنا في المكان الذى قطعت فيه حياتنا السياسية ودمرت  
بمعنف ، يجب ان لا يكون هدف جهادنا (( الارض المقدسة )) انما مجرد ارض  
نملكها ، نحن لسنا بحاجة الى اكثر من قطعة ارض يقيم فيها اخواننا ولا  
يبتلى اي سيد اجنبي اقتلاعنا منها . وقد تكون قطعة الارض هذه فسي  
الولايات المتحدة ، او ولاية كذلك التي يقوم عليها باشاوات آسية التركية  
يعترف بها الباب العالي والقوى الاخرى كبلد محايد )) (١) ان المطلوب حل  
المشكلة التي خلقتها الاسلامية لليهود . ولو كان الامر يمتدح حله بدون  
وطن خاص لكان بنسكرو سيؤلفه على ذلك (( قتلوا تمكنا مثلا )) توزيع اليهود  
على كل انحاء العالم لامتن ربما بهذا التوزيع حل المشكلة . ولكن هكذا  
مستحيل )) (٢) . ويكاد الشعور بوحدة الهوية اليهودية ، بالوعي الذاتي  
والرغبة في الانتظام في حركة سياسية تبدا لهذا الوعي يظهر من تلقاء  
نفسه على ساحة الشعور لدى بنسكرو بسبب موقف الآخرين من اليهود (( لم  
ينقلع هذا الشعب عن كونه امة روحية . لذا نظر العالم الى الشعب  
اليهودي كميت يسير بين الاحياء . فآثرت هذه الحادثة النربية من نوعها  
في التاريخ على تخيلات وانطباعات الامم لان اليهود عاشوا شعب امة بدون  
وحدة او تنظيم وبدون ارض او اى رابط للوحدة )) (٣)

الاسامية كانت الوجه الآخر من العملة او من وحدة الهوية اليهودية .  
(( لا تنفصل اليهودية عبر التاريخ عن الاسلامية )) ، يخول بنسكرو (شعب  
الله المختار) ليس هو كذلك باعتباره مختارا من قبل الله ، وانميا  
باعتباره مكروها من الجميع (( ان الشخرا الذي لا يقول ان الشعب اليهودي  
هو شعب الله المختار ، المختار للكراهية العالمية لا بد ان يكون اعمى )) (٤)

الاسامية رابط الوحدة :

كانت الاسلامية بمثابة الجبل السرى الذى وحد الثقافات المتعددة فسي  
أيديولوجيا واحدة ، الايديولوجيا الصهيونية .

(١) المصدر السابق - ص ٩٥

(٢) - - - - - ص ٩١

(٣) - - - - - ص ٨٣

(٤) - - - - - ص ٨٤

ان جاكوب كلانزكين (١٨٨٢ - ١٩٤٨) المفكر الصهيوني الذي بنى من فضاء ثقافي قومي وعلماني وليبرالي ، وكان مساهلاً علنياً ضد الصهيونية الروحية وايضا ضد القومية الصهيونية الدينية ، كانت الاسلامية كما تصورها تماماً (( سبب وحي مرتزل )) وعندما اراد ان ينكرها كمضمون للوعي الذاتي اليهودي اضطر ان يحدد دورها بحيث ان احداً غيره لم يستطع ان ينفذ الى مثل هذا السبق . فقد قال ان الاسلامية كانت (( المحرك )) ، كانت المناسبة للهجرة الفكرة الصهيونية (( تماماً كما كان سقوط التفاحة بالنسبة لاكتشاف نيوتن قانون الجاذبية )) (١) . وفي الحقيقة كان هذا هو دورها الفعلي كوسيلة في تكوين الايديولوجيا الصهيونية .

ومثل الآخرين ، هو ذاته ، انت به الاسلامية الى الحومة الصهيونية . حتى انه يستمبر شتائم جون البوت ضد المندمجين الذين يرون اخوانهم يذبحون ولا يتحركون . فهو لا ينقصهم ، في نظر كلانزكين ، (( الاحساس بالحرية والشرف والسعي وراء الثروة والصدق )) لانهم (( لا يستطيعون التعبير عن غضبتنا القومية بصرخة الشار للدماء التي سفكت )) (٢) . ماذا ينقر الحياة القومية بالمعنى السلطاني ؟ الارض ، واللغة . يقول كلانزكين (( لقد بدأت الصهيونية مرحلة جديدة ، ليس لوضع حد للشتمات فحسب ، ولكن من اجل ايجاد تعريف جديد للذاتية اليهودية - تعريف علماني . انني متيقن من ان ، بناءً بلادنا سوف يضحون بانفسهم في المستقبل في سبيل الاممات القومية ، اي في سبيل الارض واللغة )) (٣) . (( ان الكفاح في سبيل مستقبل قومي لارضنا ( فلسطين ) ولغتنا والتوجه نحو وجود في المستقبل لم يتحقق بعد - هذه هي فقط المطالب التي بواسطتها يتمكن يهود المنفى ان يصبحوا امة )) (٤) .

والصهيوني الماركسي دوق بيربوروشوف ( ١٨٨١ - ١٩١٧ ) ، الذي تصور بناء مجتمع بروليتاري في فلسطين ، كانت الاسلامية سبب انتقاله من البلشفية الى الصهيونية . (( فلو كانت الاسلامية - يكتب بيربوروشوف - مواءمة تامة من الاقتراد الممتولين والمرضى نفسياً فقد لما كانت خطيرة مخيفة . ولكن للاسامية شعبية قوية بين الجماهير ، وغالباً ما ترتبط دعواتها بتحريك

(١) المصدر السابق - ص ٢١٢

(٢) - - - - - ص ٢١٣

(٣) - - - - - ص ٢٠٥

(٤) - - - - - ص ٢٠٣

مجتمعات العناصر الدنيا من دليقة السعال . هذا هو ما يولد خلل الخوف من اليهودية (١) . انها موجودة في كل مكان ، في الشرق وفي الغرب ، وبأشكال مختلفة . يقول : (( ان اللاسامية هي اساس جميع قوانين التمييز ضد اليهود ، في البلدان المختلفة سياسيا واساس المقاطعة الاجتماعية لهم في البلدان البورجوازية الديمقراطية )) .

وبياك ( حاييم نحمن بياك ) ( ١٨٧٣ - ١٩٣٤ ) اشتهر كأكبر شاعر صهيوني بعد تسميته (في مدينة الذبح ) ( ١٩٠٣ ) على اثر مذبحة كيشينيف الشهيرة ، وفي خطابه بمناسبة افتتاح الجامعة العبرية ( ١٩٢٥ ) قال : (( لقد استلمنا عبر الخطوب والتجارب المريرة ، وعبر القنوط والامال الضائعة ، وعبر الاضطهادات التي لا تحصى ، ان نتوصل الى حقيقة اننا بدون وطن محسوس وبدون اماكن للسكن خاصة بنا ، لن يكون لنا اى نوع من الحياة ، روحية كانت ام مادية ، وبدون ارض اسرائيل لن يكون هناك امل باعادة اسكان الاسرائيليين في اى مكان ابدا )) وتظهر في خطابه نزعة الهروب من اللاسامية الى مكان آمن دون اى حساب لنمط الحياة الذى يمكن ان يتحقق في الوطن الجديد : (( ولم نأت الى هنا بحثا عن الثروة او السيطرة او السلفة . كم من هذه الاشياء تستلعب هذه البلاد الصغيرة السكونية ان تمطينا ؟ اننا نريد فقط ان نجد هنا منطقة لسلنا الذمى والجسدى (٢) ومن فوق الستبة اللاسامية كان الفاشي جابوتنسكي ( فلاديمير جابوتنسكي ١٨٨٠ - ١٩٤٠ ) ، الاب الروحي لحزب مناحيم بيغن ، يدبج حجه وتبريراته في المطالبة باستخدام العنف لارد السرب من فلسطين . فقد قال امام اللجنة الملكية البريطانية ( ١٩٣٧ ) : (( ان ثلاثة اجيال من المفكرين اليهود والصهيونيين ، بينهم مفكرين عظام ، قدموا فكرا كثيرا لتحليل الموقف اليهودي ووصلوا الى نتيجة مفادها ان سببا يقاسيه اليهود هو قضية الشتات . والحقيقة المهمة باننا اقلية في كل مكان . فعداء السامية ليس موجها من الناس بل من الاشياء ، انها عقدة بصر الاجانب التي يتمرس لها الجسم الاجتماعي او الجسم الاقتصادي الذى نداني منه . . . هناك لحظات وحتى فترات كاملة من التاريخ يتخذ ( الخوف من الحياة نفسها ) بعدا جديدا لا يمكن لى شعب ان يتحملة ، وهذا هو ما نواجهه اليوم (٤) .

(١) المصدر السابق - ص ٢٤٦

(٢) = = = ص ٢٤٨

(٣) = = = ص ١٧٦ - ١٧٧

(٤) = = = ص ٤٣٢

( استاذ الفلسفة

- ١٨٨٢ )

واليهودي الملحد موراس ماير كالن ( ١٨٨٢ - ) استاذ الفلسفة  
البراجماتي ، وتلميذ الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس ، كاتباً للاسامية

هي سبب وحيه الصهيوني ، فالتجمع اليهودي كبحه حسب رأيه ، ان يتم جميع  
الناس اليهود من مختلف الفئات ومختلف الطبقات وحتى اولئك الذين  
تتنافر مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية وذلك لان الاسامية لا تفرق بين  
يهودن ويهودي اخر ، يجب ان يجتمع (( جميع الذين يسمون يهودا ، بنظر  
النظر عن الطبقة او المعتقد او البلد الذي ينتمون اليه )) والقاسم  
المشترك الذي يوحدهم هو الدفاع (( عن اليهود ضد هجمات اعداء السامية

في جميع مجالات الحياة )) (١) . فقد كتب تحت عنوان ( الوحدة اليهودية )

١٩٢٣ « ان اساس هذا اللقاء المشترك يجب ان يكون واسداً لاستيعاب البرت  
أنشتين وكذلك جيرير ديبلي [ حاخام متزمت ] وبني لبونار [ ملاكم يهودي ]  
أمريكي ] وستيفن دايز [ زعيم صهيوني أمريكي ] وليون تروتسكي [ الزعيم  
الشيوعي ] وموراس كالن [ الكاتب نفسه باعتباره براجماتياً ملحداً ] ،  
وحتى يجب ان يكون فيها مكان لسيروس آدلر [ زعيم يهودي أمريكي معادي  
للسيونية ] ، والذي سيضم هذا الخليط المتنافر من اصحاب المذاهب  
الثقافية والمواقع الاجتماعية المختلفة ، هو الحبل الاسامي (( امسا  
القاسم المشترك لهذا المنبر الجامع فهو الدفاع ، ان وحدة الملجأ  
الى جنب غد الهجمات الزائفة والبيان التي تقوم بها مسادات السامية ))  
وبعد اعتنان الفكرة ( الصهيونية ) يمكن بالدفع الانتقال الى السمل .  
( (وورا . الدفاع ، يجب ان يكون هناك برنامج بناء مشترك فيه كثير من  
اليهود ، هو برنامج الحفاظ على الثقافة والمثل العبرية العليا ...  
ومناك ايضاً بناء الوطن القومي اليهودي )) (٢) -

والحاخامون ايضاً ، وهم الذين يرغبون ان تكون غزولهم ذوماً في السماء  
لا يخرجون عن هذا الاطار . فصهيونيتهم كانت مربوطة بالحلقة الاسامية

ويمكن ان يندلق باسمهم هذا الحاخام ابا ميلل سيغلر ( ١٨٩٢ - ١٩٦٢ )

وهو من الشخصيات الصهيونية التي لعبت دوراً خليفاً في الصهيونية الأمريكية  
وفي وضع برنامج بلتيمور ( ١٩٤٢ ) بالتعاون مع دافيد بن غوريون . فهو  
يتمحور ان سلسلة من الاحداث الاسامية تمسك بكل يهودي وتشدّه الى اليهودي  
الاخر عبر مراحل التاريخ . فقد كتب تحت عنوان ( نحو وحدة يهودية فسي

امريكية ( ١٩٤٣ ) ، ( ان هناك جبلا نيينا يربط ما بين عصر فختل النزعة  
الجرمانية العنصرية [ بصرخة السادية للسامية ( ا.ب.ب. - م.ب. ) ] معناها  
قد ضاعت القدس ] ، وعصر هتلر بصرخة العنصرية ( اليهودي قذر ) وحوادث  
دمشق في العام ١٨٤٠ \* ترتبط برد الفعل الذي انتشر بعد ثورة ١٩٤٨ وحادث  
مورتارا \* في ايطاليا ، والحركة المسيحية الاشتراكية في عر بيسار ك  
وحدات تزا - ازلار في المجر \* و احياء الاتهامات الدموية في بوميمية  
ومذابح الثمانيات في روسيا وكتب التشهير باليهود ( فرنسا اليهودية \* )  
وقضية ديرفوس في فرنسا ومذابح ١١٠٣ ( كيشينيف ) وحمامات الدم الاوكرانية  
بعد الحرب الاخيرة والمذابح البشرية في البيوت في يولنده في هذه  
الحرب . هذه ايها الاصدقاء ، هي مشكلتنا الدائمة . والعمل من اجل الخلاص  
من مثل هذا الاضطهاد هو الحاجة الملحة لكل جيل من شعبنا في كل بلاد  
العالم .

\* - في شباط ١٨٤٠ اواخر عهد الادارة المصرية في سوريا ، اتهم يهود  
دمشق بانهم كانوا خلف عملية خطف حصلت لاحد الرهبان المسيحيين  
( توما الكبوشي ) ( بقصد استنزاف دمه ليصار الى استخدام دمه  
الضحية البشرية في صنع الفيلز اليهودي .

\*\* - ادغار مورتارا ، طفل يهودي عمره ٦ سنوات خطفه حرس البابا من  
قرية بولونيا في ايطاليا سنة ١٨٥٨ . وكان للحادث مضاعفات دولية  
تم بعد تشكيل ( الاتحاد العالمي ) في باريس للدفاع عن  
حقوق اليهود .

\*\*\* - في عام ١٨٨٢ اتهم اليهود في المجر بقتل طفل مسيحي من اجل  
( استنزاف دمه ) وقامت ضجة لاسامية ضد اليهود ( ثم تبين ان التهمة  
كانت كاذبة .

\*\*\*\* - ( فرنسا اليهودية ) اسم كتاب وضعه الكاتب الصحفي الفرنسي الالاسامي  
ادوارد دريمون ( ١٨٤٤ - ١٨٨٦ )

( ١ ) المصدر السابق - ص ٤٦٤ - ٤٦٥

## التكوين المصطنع للخطاب الصهيوني

عندما تستبعد اللاسامية كوسيط يتحول الخطاب الايديولوجي الصهيوني الى تركيبة من انكار ومعاني متنافرة وربما متباعدة للاستغراب والسبب في ذلك واضح زه فالايديولوجي الصهيوني لم يندلج في تمبيره من الاسس المتعارف عليها لصياغة خطاب ايديولوجي . فالايديولوجي بالمنسب المتعارف عليه يجب ان يكون عضوا في (( الشمولية الاجتماعية )) التي يحددها التوسير - (( وجود النشاط الاقتصادي في القاعدة ، والتنظيم السياسي ، والاشكال الايديولوجية )) التي تعني بنا البنية الفوقية بكاملها (( اديان ، اخلاق ، فلسفة ... الخ )) فالايديولوجية هي احد المكونات العنوية في الثلاثية الاجتماعية اذا جازت هذه التسمية 6 - اقتصاد ، سياسة ، ايديولوجيا . او هي كما يقول التوسير (( جزء من الكلية الاجتماعية )) (١) . فاليهودي لا يمكنه ان يؤلف خطابا ايديولوجيا بالمنسب المؤلف الا اذا كان اندماجيا . اما اذا شرع في الحديث كيهودي وحسب فانه سوف يلفس كلاما من مختلف الاصناف لانه يفتقد السي اسد الاسر المادية والفكرية لنشأة الخطاب الايديولوجي . وقد قال رودتسون في مقدمته لكتاب ليون ، وكان يشير الى بطلان الاسر الاجتماعية للايديولوجيا الصهيونية ، انه خلال الفين من السنين افتر اليهود الى ما يصفه بـ (( معاديات ملموسة دائمة وثابتة ومشاركة - لدى الجماعة الواحدة - هي الارس واللغة والتاريخ ... الخ )) (٢) . وفي الحقيقة كان هناك مفكرون صهيونيون ذووا بصيرة نافذة فلم تكن تخفى عليهم مثل هذه الحقائق البسيطة . لذلك كانت دعوتهم باتجاه إعادة تكوين حياة يهودية كاملة . ان (آدون دافيد غوردون) مثلا كان يرى بدقة ووعي مدهشين ان الحياة اليهودية تفتقد الى البنية التحتية والبنية الفوقية معا . فقال : (( نريد ان نخلق مستعدات وايديولوجيات ، وفننا وشعرا ، واخلاقا ودينا ، من حياة صحية وبشكل تكون مرتبطة بها وبذلك نكون قد خلقنا علاقات انسانية - صحية وولات حيوية تربط الحاضر بالماضي ما نريد ان نخلق هو الحياة - حياتنا نحن - بروحنا نحن وبطريقتنا الخاصة وبصراحة متنامية ، يجب ان نعمل بايدينا في فلسطين كل الانبياء التي تشكل مجموع الحياة ... لان في شكل هذه الحالة فقط نستطيع ان نمتلك ثقافة خاصة بنا وان تكون لنا حياة خاصة بنا )) (٣) .

(١) الايديولوجيا - المصدر السابق - ص ٧٧

(٢) المفهوم المادي - طبعة ثانية - بيروت ١٩٧٣ - ص ١٣٨

(٣) الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ٢٥٧ - ٢٥٨

اما جاكوب كلاتزكين ، وهو صاحب النزعة القومية الألمانية فقد أكد انه بدون لغة وارض لا معنى لاي شيء ديت عن القومية . فهو يكتب :  
 (( لغة وارس ، هذان هما العنصران الاساسيان للكيان القومي )) لكنهما غير موجودتين . لذلك يجب الحصول عليهما . (( ولكن ارضا ليست لنا ولنحننا ليست اليوم لغة شعبنا . نعم ان على حركتنا القومية ان تحقق هذين الهدفين في الوقت الحاضر نحاول ان نجعل حثنا في ان تصبح امة شرعيا . ان الكفاح في سبيل مستقبل قومي لارضنا ولنحننا والتوجه نحو وجود في المستقبل لم يتحقق بعد . هذه هي حقيقة المادالب التسيي بواسطتها يتمكن يهود المنفى ان يصبحوا امة ))  
 لقد استدار كلاتزكين في خطابه الكثير من المصلحات والمفاهيم القومية البورجوازية فقد تحدث عن « العائلة الواحدة » و « التاريخ المشترك » والقبول بالمصير المشترك والارادة والرغبة للقبول بهذا المصير (( ان هناك اساسين للقومية اليهودية - الالتزام التاريخي ورغبة في ذلك التاريخ )) ودعى الى فصل الدين عن القومية اسوة بفصل الدين عن الدولة في الايديولوجيات القومية البورجوازية . فالتسريف ( الروحي ) لليهودية ، يقول كلاتزكين ، (( يؤدي الى الشوفينية القومية ، والحركة القومية تكون عديمة المعنى حتى تنمي حرية الفرد - ولن يكون هناك نهضة قومية جديدة بان نناضل في سبيلها ما لم تحرر هذه النهضة وتحيي القيم الانسانية ضمن القيم القومية ))<sup>(١)</sup>.

ان هذه اللغة القومية الليبرالية كانت لغة اتجاه واسع في الايديولوجيا الصهيونية . لكن هؤلاء في حماة حماسهم القومي الألماني والليبرالي ، كانوا يتناسون ان الفكر القومي الليبرالي هو فكر الطبقة البورجوازية وهذه الطبقة غير موجودة لديهم وان هذه الطبقة ايضا نمت وتطورت نسي مجتمع مدني وهذا ، يهوديا ، غير موجود ايضا . واول من تطدى لهؤلاء بقصد تسفيه آرائهم كان زملاؤهم ، الايديولوجيون ، من اتباع الاتجاه الديني . ان اصحاب الاتجاه الديني قالوا لهؤلاء صراحة انهم يقولون كلاما اجوف ولا معنى له . لان اليهودي عندما يفكر كيهودي وليس كمواطن في البلد الذي يعيش فيه ، فلن يجد ما يفكر فيه . الا التوراة والتلمود والطلا . . . الخ . . . يقول ( ياحيل ميخائيل يانيس ١٨٤٢ - ١٩١٢ )

(١) الفكرة الصهيونية المصدر السابق ص ٢٠٣

(٢) المصدر السابق - ص ٢٠٣ - ٢٠٥



اننا اذا حذفنا الدين أصبح اى كلام عن قومية يهودية مجرد كلم فارغ  
 ((القومية التي امنلها هي تلك القومية التي روحها التوراة (١)).  
 )) عندما فقد الشعب اليهودى وطنه وتشتت في العالم ولم يند يستخدم  
 لنته القومية بقيت له وحدته القومية بفضل التوراة (٢)). ويسأل بانيس  
 وهو يوجه الكلام الى القوميين السلمايين ، ( كيف يمكن تطبيق فكرة  
 القومية السلمانية في الشعب اليهودى مع السلم ان العملية تحتاج  
 الى الحفتين الاساسيتين للقومية التقليدية ؟ فاليهود لا يعيشون على  
 ارض واحدة ولا يتكلمون لغة واحدة (٣) . ويجب (( انها قاعدة جوفاء  
 ليس فيها سوى تعابير منمقة )) (٢)

في لائحة الفكر القومي البورجوازي توجد دائما منطقة عمومات لان  
 تلك الطبقة حاولت في الاصل ان تصور مصالحها وكأنها مصالح كل مواطن  
 وحتى كل انسان في العالم تقريبا . ولذلك قد يلتبس الامر على القارئ  
 احيانا عندما يشرع صهيوني بالحديث عن قومية يهودية علمانية او غير  
 علمانية فيظنه وكان الامر حقيقي ولا يوجد ما يثير الاستغراب \* . لكن  
 ما ان يصل المرء الى تلك المفاهيم الاجتماعية الاكثر تحديدا مثل  
 الطبقات والصراع الطبقي ، حتى يتبين على الفور ان استدارة افكار  
 الآخرين وتطبيقها على الوضع اليهودى ، لا تعدو كونها تصورات تشبه  
 تقريبا المآب التسلية .

فالباركسي ( بيربوروشوف ) مثلا ، عندما نظر في وضع يهود روسيا وشرق  
 اوروبا ، لم يجد بينهم فلاحين . لذلك كان لا مفر من ان يستدل من  
 حاسبه طبقة اجتماعية كاملة (( وبما انه - يقول - ليس للامة اليهودية  
 طبقة من الفلاحين ، فان تحليلنا لمسألتها القومية سيبحث وضع  
 طبقاتها التي تقطن المدن )) (٤) . وعندما نظر فيما تبقى من الطبقات

(١) المصدر السابق - ص ٢٨٥

(٢) = = - ص ٢٨٦

(٣) = = - ص ٢٩٠

(٤) = = - ص ٢٤٦

\* خطاب الحاخام كاليكس مثلا الذي نقله الدكتور السلم (( يجب ان  
 نخجل من انفسنا . لقد كافحت جميع الشعوب الاخرى من اجل شرفها  
 الوطني ، وعليه يجدر بنا ان نبذل جهودا اكبر بكثير . الخ )

وجد عنده يهودا من البورجوازية الصغيرة أن أكبر بما لا يقاس من عدد اليهود البروليتاريين . لذلك لم يكن عنده مناس من دمج الطبقتين معا (( يمكننا اعتبار البرجوازية اليهودية الصغيرة والبروليتاريا مجموعة واحدة )) ولديه تحليل ، (( ونتيجة لظروف معينة أصبحت هذه المجموعة تشكل غالبية الشعب اليهودي )) (١) . فقد أراد ان يطبق مفاهيم ماركسية على بنى يهود مختلفة . فالبروليتاريا اليهودية عبارة عن طبقة رقيقة جدا في الاسفل وفوقها طبقة هائلة من البورجوازية الصغيرة . فالوضع اذن اثنى ما يكون (( بهم مقلوب )) قاعدته العريضة (( البورجوازية الصغيرة )) موجودة في الاعلى وليس في الاسفل . وهذا وضع يجب اصلاحه . وبما ان الماركسية تعتبر البورجوازية الصغيرة طبقة مثبوتة ، لذلك كان على بوروشوف ان يجد طريقة لتحويلها الى بروليتاريا . وقد رأى ان الحل يتمثل بـ (( عبرة البورجوازية الصغيرة التي تتحول فيما بعد الى بروليتاريا )) (٢) . فالهم المقلوب يجب نقله الى فلسطين وقلبه من جديد بحيث تصبح قاعدته في الاسفل مثل جميع الاعرامات الاخرى .

لم تكن علاقة اثرياء اليهود في الغرب ( البارونات ) في يد السون للحركة الصهيونية منذ بدايتها الاولى بخافية على بوروشوف ، وعبر الزعيم المرموق . لذلك حاول ان يجد تفسيراً لهذه السلافة ، وفي الماركسية ، كما هو معلوم لا توجد مهادنة بين بروليتاريين وبارونات مهما كانت الاسباب ، دينية او قومية او عاطفية الخ . لذلك قرر بوروشوف ان هذا الملف ناتج عن خوف البارونات من الشر الذي قد ينجم عن الاسلامية . لان هؤلاء الاغنياء لا كما توهم ، باعتبارهم يهودا لا بد ان يصيبهم بعض الادي الاسلامي . (( وهذه الطبقات الثنية من اليهود قال - تمقت هذه الجماعير اليهودية الضعيفة ولكن الاسلامية تذكرها بقرايتها لها )) واضاف (( ولو لم يكن هناك لاسامية فان فقر ويسوس المهاجرين اليهود ما كان لينال اهتماما كبيرا من البورجوازية اليهودية العالمية )) ويظهر ان مؤلف ( دراسات يسارية ) قد اخذ رأى بوروشوف على محمل الجد فظن فعلا ان البارونات كانوا خائفين من انتشار موجة الاسلامية وذلك عندما قال (( لم تكن البورجوازية اليهودية الكبيرة لشتم كثيرها بجماعير اليهود الفقيرة ... لولا التأثيرات السلبية ... )) (٣) .

(١) المصدر السابق - ص ٢٤٩

(٢) - - - - - ص ٢٥١

(٣) دراسات يسارية - المصدر السابق - ص ١٤٤

## اهداف غير مألوفة للديالوجيا الصهيونية

الصهيونية ( الحركة ) ، يقول رئيس المنظمة الصهيونية العالمية (إناحوم جولدمان) (( هي حركة عودة اليهود الى ارضهم ، التي ارض اسرائيل )) (١) . وهكذا فالصهيونية (الديالوجيا) لها هدف محوري وهو البرهان ان حياة اليهود بين الشعوب الاخرى لا معنى لها او هي (( حياة منقطة )) ، وان العودة الى فلسطين هي ( النحل الاعلى ) أي ان السجال الاديولوجي برمته يدور في الصهيونية حول ايها افضل ، ان يبقى اليهود في مكانه حيث هو ام يذهب الى مكان آخر يحتمل فيه هو واليهود الاخرين ؟ وهذا الهدف في الاديولوجيا الصهيونية ، كما هو واضح ، يختلف تماما عن اهداف الاديولوجيات المعروفة حتى اليوم ، اديولوجيات الانظمة القطاعية والبرجوازية والاشتراكية . لان جميع هذه الاديولوجيات تدور اهدافها حول تنفيذ السلطة والسياسة في المجتمع ان الاديولوجيات تتجه في المقام الاول الى امتلاك السلطة وحيازة (القدرة) في المجتمع . وهذا ما يميزها ، كما يقول باريون ، عن النظريات السياسية المحضة او الافكار الفلسفية المجردة . وتكاد لا توجد اديولوجيات الا من خلال علاقات متبادلة ، سلبا او ايجابا ، مع مؤسسات سياسية محدودة فالاديولوجيا والمؤسسة السياسية ، يقول باريون ، (( تشترط الواحدة منهما وجود الاخرى (٢) )) .

حتى انه لا يوجد مثلا في اديولوجيا البليقة البرجوازية ما هو ابرز من نقد اللاهوت ونقد مؤسسات النظام القطاعي السياسية بالاضافة الى تبرير القتل وتنصيبه حاكما وتبرير المؤسسات المقترحة حسب احكام العقل ، وفي المؤسسات الديمقراطية وشاراتها في الحرية والاعضاء والمساواة ، الخ . واذا كان كتاب سبنيوزا ( رسالة في اللاهوت والسياسة ) هو قلب الرخ في الاديولوجيات البرجوازية ، فانه على اي حال لا يتضمن ما هو ابرز من نقد (( الكتب المقدسة والكنيسة والسائد والتاريخ المقدس )) وما هو ابرز ايضا من نقد ظلها على الارض اي (( الانظمة التسلطية القائمة على حكم الفرد المطلق )) والبرهان على ان النظام الديمقراطي

(١) المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون ١٩٦٨ - المصدر السابق ص ٢٤١

(٢) ما هي الاديولوجيا ؟ المصدر السابق ص ١٠٦

١٠٨ ص -

- - - (٣)

هو انتر الانظمة اتناقا مع السقل والمليسة (١)).

وعلى نفس المنوال فان كتاب كارل ماركس ( رأس المال ) وهو محسور  
الايديولوجيات الاشتراكية والشيوعية ، يحمل الاسم الاضافي « نقد  
الاقتصاد السياسي » ولا يوجد فيه ما هو ابرز من نقد مؤسسات النظام  
البورجوازي والتبشير بمؤسسات اشتراكية تحقق عدالة اجتماعية افضل .  
فاماركسية ، كما يقول احد منظريها (( تسمى وراء مشروع سياسي : تحويل  
الاقتصاد الرأسمالي الى اقتصاد اشتراكي (٢) )) او هي ، الماركسية ، كما  
يقول لبنين (( ايديولوجيا نضال البروليتاريا الطبقي (٣) )) وليس عبثا ان  
( رأس المال ) يسمى ، او سمي في القارة الاوروبية حين صدوره ، (( تورا  
الطبقة العاملة )) (٤) .

كان محور التفكير الايديولوجي حتى اليوم الدفاع عن نظام اجتماعي او  
الثورة عليه . ومن اجل ذلك وجه الايديولوجيون خطاباتهم ، وحشدت  
الايديولوجيات المختلفة الاتباع ووجهتهم نحو العمل السياسي . اما في  
الايديولوجيا الصهيونية فان كل هذه الاهداف المألوفة غير مدروسة البتة  
وكل المساجلات التي تتعلق بشكل الحكم ومؤسسات السلطة مفقودة تماما .  
فلم يكن يشغل بال الصهيوني لا شكل النظام السياسي ولا طبيعة الدولة  
التي يحلم باقامتها في المستقبل . كل ما يشغل باله انه سوف يرحل  
او سيدعو الآخرين الى الرحيل الى مكان اخر . (( اقول بوضوح وتأكيده -  
كتب مرتزل في الدولة اليهودية - بانني اؤمن بامكان تحقيق الفكرة  
رغم انني اعترف بانني لم اكتشف الشكل الذي سنتخذه )) (٥)

- 
- (١) سبينوزا - رسالة في الموت والسياسة - ترجمة د . حسن حنفي -  
الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١ ص ٨ - ١٠ - ١١  
(٢) طرابيشي ، جورج - الماركسية والايديولوجيا - دار الطباعة والنشر  
بيروت ١٩٧١ ص ١٧٦  
(٣) المصدر نفسه - ص ١١٩  
(٤) ماركس ، كارل - رأس المال - نقد الاقتصاد السياسي - ترجمة -  
انطون حمصي - منشورات وزارة الثقافة - الكتاب الاول - الجزء الاول  
ط ٢ - دمشق ١٩٧١ - ص ٤٩  
(٥) الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ١٠٣

وبما ان كل بدال حول نمط الحياة في المجتمع المأول كان مستبعدا ،  
لذلك ترك لكل انسان حريته ان يحلم بالعيش حسب رغباته الشخصية . يقول  
جايتونستي : « ان الظاهرة المسماة الصهيونية يمكن ان تضم جميع  
الاحلام - ( مجتمعا نمونجيا ) وثقافة عبرية وربما طبقة ثانية من التوراة  
ولكن كل هذا الحنين للدمى وللحياة المخملية والفضية ليس شيئا اذا ما  
قورن بذلك الزخم المحسوس من الفاقة والالم الذي يقوينا ويدفعنا الي  
الإمام (١) » .

في جميع الخطابات الايديولوجية الصهيونية ، حتى انشاء الدولة في  
فلسطين ، لا توجد سوى مواءمة ثنائية وسيطحية عن شكل النظام الاجتماعي

أما الجوهر فكان البرهان دائما ان ( وطننا خاصا ) : اليهودي هو الحقير  
المنشود لشكلتهم : « نحن لسنا بحاجة الى اكثر من قطعة ارض يقيم  
فيها اخواننا ولا يستلج اي سيد اجنبي اقتلاعنا منها » ( ويتيت بنسكر  
: ) اننا نريد ملجأ واحدا ، لان وجود عدة ملاجئ سيبيد خلق مداليم  
تشتتنا القديمة (٢) » (٢)

او كما قال ليلنييلوم : « اتحدوا واجمعوا القوى ، فلنجمع شعبنا  
المشتت في اوروبا ونذهب الى وطننا بفرح » (٣) . « بدون وطن محسوس  
كما قال ببالك - وبدون اماكن للسكن خاصة بنا ، لن يكون لنا اي نوع  
من الحياة ، روحية كانت ام مادية » (٤) .

وكان عبد الوهاب المسيري قد لاحظ هذا الاتجاه المخوري في الايديولوجيا  
الصهيونية ، فقال ان الجميع الصهاينة يؤمنون بفكرة العودة لارض الميعاد  
لتأسيس دولة يهودية ، وهذه هي نقطة البداية والنهاية بالنسبة لهم  
جميعا « اما المحتوى الاجتماعي لهذه الدولة « فمسألة مؤجلة وليست ملحة »  
فالايديولوجية عندما وضعت في اعدائها اقامة دولة يهودية لم تحدد « شكل  
الدولة الصهيونية ولا شكل ملكية الارض ، ولا المثل الاجتماعية او  
الايديولوجية الظاهرة » او « الكباشنة » وانما تحدثت فقط عن الحمول على  
ارض فلسطين كي تكون ملكا للشعب اليهودي » ويضيف المسيري وهو يشير  
الى نقطة جوهرية في الايديولوجيا الصهيونية ، « ( ولهذا يصعب الحديث عن  
يمين او يسار داخل الحركة الصهيونية ) » (٣)

(١) الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ٤٢٢

(٢) = = = ص ٩٢

(٣) الايديولوجيا الصهيونية - المصدر السابق - ص ٢١٣ - ٢١٤

ولما كان الامر كذلك فقد شغل زعيم الحركة الصهيونية نفسه بامور  
 يمكن ان تعد طريقة ، فقد شغل ذهنه مثلا بترتيب دفعات السائرين  
 ( الى الارجننتين ، او فلسطين ) . ففي البداية يجب ان يرسل البائسون  
 ويعدم مباشرة الفقراء ، ويلبهم الاغنياء ، وفي اخر المطاف ،  
 ( المتمولون الكبار ) . وهذا فقد كان تنظيم القافلة بالنسبة  
 لدون كيشوت الليبرالي بما كس تماما التنظيم الذي اقترحه دون كيشوت  
 الاشتراكي ( بوروشوت ) . ان الذين يذهبون اولا - يقول مرتزل -  
 سيرفعون انفسهم الى مرتبة توازي مرتبة الذين سيلحقون بهم ممن  
 الاغنياء ، لذلك فالخروج سيكون طريقة للترقي الدلبي (١)  
 اما اذا اعلنت لمرتزل قذلة ارس ( وطن قومي ) ملأ بالوحوش الكاسرة  
 فان مرتزل يجهد دماغه ليخترع الحلول المناسبة ، يقول : (( فلنفرض  
 على سبيل المثال باننا اجبرنا ان نخلي بلدا ما من الوحوش ، يجب  
 علينا ان لا نقوم بهذا العمل وفقا لاسلوب الاوروبيين في القرن  
 الخامس ، كان نأخذ الرمح ونذهب كل على حدة للبحث عن الدببة ،  
 يجب علينا تأليف حملة صيد كبيرة ومن ثم نجمع الحيوانات كلها معا  
 ونلتي وسطها القنابل المتفجرة (٢) .  
 اذن في نهاية المطاف ، وعندما تزاح جميع الاسرة البراقة وغير  
 البراقة ، لا يبقى في قاع الايديولوجية سوى ركبتيين اثنتين :  
 اليهودي الخائف ( السامي ) وعدو اليهودي المخيف ( اللاسامي ) وعندما  
 شرع المفكر الصهيوني ( الايديولوجي ) في محاولة لتكوين نسق  
 ايديولوجي انطلاقا من هاتين الركبتين ( اليهودي ، وعدو اليهودي  
 المفترس ) ، فقد خلق وهذا امر طبيعي حالة من الاستغراب بين المحيطين  
 به . فالصهيوني الذي تحدث لغة الدين لبناء قومية يهودية أنصار  
 استغراب رجال الدين الآخرين ، والذي استمار لغة القومية البورجوازية .  
 انار الشك في نفوس القوميين ، ولمجرا . ويوجد عند ( ليلينبوم )  
 وصف نادر لاتباعات أولئك اليهود الذين كانوا معاصرين لبداية تكوين  
 الافكار الصهيونية . فقد كتب في ( مستقبل امتنا ) ١٨٨٣ ، ما يلي :  
 لا ينظر الينا خصوم القومية باننا قوميون متعصبون ذووا اله قومي  
 وتوراة قومية . اما القوميون فيرون فينا افرادا دوليين وطنهم حيث

(١) الفكرة الصهيونية - المصدر السابق ص ١١٠

(٢) = = = ص ١١٨

يجدون ميثقة انضل ويقول الامميون [ غير اليهود ] المتدينون باننا خالون من الايمان ، ويقول المفكرون الاحرار باننا نؤمن بكل الاشياء . السخيفة ، ويقول الليبراليون باننا محافظون ، ويقول المحافظون باننا ليبراليون ، وبعض البيروقراطيين والكتاب يرون باننا جذور الخراب والدمار والنورة بينما يقول المحرسون باننا رأسا لليونان )  
مظاهر اللسامية في اوروبا

ايمام المؤتمر الصهيوني الاول ( بال ١٨٩٧ ) قال ماركس نوردو : « اعتقد اليهودى لمدة جيل او اثنين بانه الماني او فرنسي او ايطالي او غير ذلك ، كانه تماما مثل غيره من المواطنين . . وظهرت فجأة قبل عشرين سنة وبعد فترة هدوء استمرت ما بين ثلاثين وستين سنة حملة ضد اللسامية وانتشرت في اوروبا الغربية . فتشفت لليهودى السككين والذي ظن ان اللسامية قد ذبت الى الابد كشفت الصورة الحقيقية لوضعها » . ( ٢ )

يجب ان نجل في البداية هنا ان ال ( حملة ضد اللسامية ) استجبت فجأة على الساعة الاوروبية بعد فترة من الهدوء استمرت ثلاثين وستين سنة . وواضح ان معرفة وقائع تلك الحملة يساعد على فهم ما عمتها ويوضح اكثر النتائج التي اسفرت عنها ، وفي ذات الوقت تلقي ضوءا على اولئك الذين كانوا خلفها او المستفيدين منها . وسأختار في البداية ثلاثة احداث لاساسية بارزة يمكن تسميم سائرنا على جميع المسوآت المتشابهة .

الاولى : حادثة دريفوس - على اثر هزيمة فرنسا في الحرب امام المانيا ( ١٨٧٠ - ١٨٧١ ) . اتهم دافيد فرنسي من أصل يهودى وهو برتبة نقيب واسمه دريفوس بانه كان يعمل جاسوسا لحساب الالمان ضد بلاده فرنسا وانه كان السبب في هزيمة الجيش الفرنسى امام الجيش الالمانى . فسن به في الجن بسبب هذه التهمة ونفى الى احدى الجزر النائية . وقد دامت محاكمته مدة تزيد على اثنى عشر عاما . وتبين في نهاية الامر انه كان بريئا وان الاوساط السياسية النافذة في فرنسا قد لفتت له تلك التهمة للتمويه على مسؤوليتها في الهزيمة العسكرية . وقد احدث هذه الحادثة هزة سياسية كبيرة في فرنسا واثرت في الرأى العام واتخذت

( ١ ) الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ٧٤

( ٢ ) = = = = = ص ١٣٤

كذريئة من قبل الاوساط ذات العلاقة لشن حملة سياسية واعلامية ضد اليهود في فرنسا وحتى في اوروبا عموماً ، مما ادى الى ظهور موجة شعبية عارمة عن اللاسامية في فرنسا (١) . وقد سجل مرتزل في مذكراته فيما بعد ان حادثة دريفوس هي التي جعلت منه صهيونيا .

**الثانية - حادثة تيزا - عزلا :** في عام ١٨٨٢ وقعت في النمسا حادثة عرفت باسم ( تيزا - عزلا ) وهي اسم القرية التي وقعت فيها الحادثة فقد اختفت فتاة في الرابعة عشرة من عمرها اسمها ( استير صوليموزي ) واتهم اليهود باختطافها (( واستنزاف دمها واختفاء جنتها )) (٢) . وقد تبين فيما بعد ان التهمة كانت ملفقة ، حيث قامت المحكمة بعد ان وصلت القضية الى القضاء بتبرئة اليهود من هذه التهمة . ولكن هذه الحادثة استنلت ضد اليهود وانتارت حملة في الراي العام تشابه ما حدث في حادثة دريفوس في فرنسا .

**والثالثة : - حادثة بايليس :** في عام ١٩١٢ اتهم يهودي روسي بقتل طفل مسيحي (( لكي يستخدم دمه لاعداد الفطير في عيد الفصح )) (٣) . وبمناسبة ( محاكمة بايليس ) في مدينة كييف اثار ( المئة السود ) وهو اسم يطلق على التجمع الرجعي الموالي للقيصر ، حالة من الهياج الممادى للسامية في روسيا شبيها بما حدث سابقا في كل من باريس وفيينا . وكالعادة ايضا فقد كانت التهمة ملفقة . وكان لينين قد اتى على ذكر هذه الحادثة في المشروع الذي صاغه وقدمته كتلة نيواب البلاشفة الى البرلمان الروسي ( الدوما ) للمطالبة برفع القيود القيصرية المفروضة على اليهود الروس . فقد ورد قول لينين : (( ان اللاسامية تعد جذورا على اعق ما يكون بين الفئات المالكة . والعمال اليهود يثنون تحت وطأة نير مزدوج بوصفهم عمالا وبوصفهم يهودا . ويكفي ان نعيد الى الازمان المجازر اللاسامية وقضية بايليس (٤) )) .

(١) حول الصهيونية واسرائيل - المصدر السابق - ص ٤٠

(٢) التلمود والصهيونية - المصدر السابق - ص ٩٥

(٣) دوتشمر - المصدر السابق - ص ٥٨

(٤) تصور حول المسألة اليهودية - المصدر السابق - ص ٦٦



## الحملة السادسة لليهود في الثلاثين والاعلام

اعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بدأت أجهزة سياسية وثقافية وإعلامية بشن حملة اتهامات ضد اليهود ، كانت تشدد وتوسع شيئاً فشيئاً مع الاقتراب من نهاية القرن ، بحيث ظهر في تلك الفترة التي كانت تتكون فيها الأفكار الصهيونية الأولى وكان اللاسامية هي ايدولوجية أوروبا عموماً من غربها الى شرقها . وفيما يلي أبرز الوقائع في تلك الحملة :

- عند مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٣) صدر كتاب باللغة الرومانية نسب الى حاخام يهودي اسمه ( نارفيلوس ) اعتنق الدين المسيحي وكان للكتاب عدة عناوين ، منها ( اظهر سر الدم المكتوم ) و ( طريقة استنزاف دم الاطفال الجارية عند اليهود ) وقد قيل ان اسم المؤلف مستعار لشخص مجهول (١) . هذا الكتاب تم رفعه الى النابليون الايدولوجي القائد ، أي تسميته ، اعتباراً من منتصف القرن . نقد نشر باللغة الفرنسية ( ١٨٤٦ ) على يد آثيل لوران . وفيما بعد اعيد نشره من جديد في الفرنسية بعد تنقيحه على يد ( غرينو دي موسو ) كجزء من كتابه ( اليهود واليهودية وتهود الشعوب النصرانية ) . وكتاب دي موسو هذا ترجم الى عدة لغات (( واثارت ضجة عند صدوره )) وقد كتب ( نورمان كوهين ) ، الكاتب اليهودي عن تأثير كتاب دي موسو ، فقال : (( ان كتاب دي موسو كان سيبيع الكتاب المقدس لمساعدة السامية الحديثة .. فالمؤلف على اقتناع بان العالم اخذ بالسقوط في قبضة جماعة سرية من عبدة الشيطان ، الذين يدعوم باليهود القباليين . اما قتل الاطفال المسيحيين فانه يتيح لليهود بنوع خاص اكتساب توى سحرية (٢) )) . وفي ١٨٨٦ اصدر الكاتب الصحفي اللاسامي الشهير ادوار دريمون ( ١٨٤٤ - ١٩١٢ ) كتابه ( فرنسا اليهودية ) وكان احد اجزاء نفس الكراس الذي نسب الى حاخام ناوفيلوس ( اظهر سر الدم المكتوم ) . وكان نشر كتاب دريمون بمناسبة محاكمة دريفوس الشهيرة . وقد لقي الكتاب (( نجاحاً منقطع النظير واعيد طبعه مئات المرات خلال عام واحد )) . حتى ان كاتب سيرة حياة مارتزل ( اليكس باين ) اعتبره لامن اكثر الكتب رواجاً ومبيهاً في القرن التاسع عشر (٣) .

(١) التلمود والصهيونية - المصدر السابق - ص ٧٤

- - - - - ص ٧٣

(٢)

(٣) الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق - ص ٦٠

- وفي عام ١٨٦٢ اصدر دريمون مجلة اسمها ( التلمة الحرة ) كناشئة باسم حركته اللاسامية . وحتى عام ١٨٦٩ كان دريمون قد اصدر سلسلة من المؤلفات وكلها تنمخ على نفس المنوال في مصاداة اليهود . ويمكن ايجاز الخطوط العامة لاراء دريمون اللاسامية على النحو التالي :
- يهود فرنسا كانوا متآمرين مع بيسارك في الهزيمة التي لحقت بفرنسا خلال حرب ١٨٧٠ - ١٨٧١ .
  - يهود فرنسا ليسوا فرنسيين بل هم عنصر غريب ويجب اعتبارهم ضيوف على فرنسا .
  - التجار والتمولون اليهود يشكلوا خطرا على (( الطبقة الوسطى المسيحية الناشئة )) وكذلك يشكلون في الوقت ذاته خطرا على (( مستقبل الطبقة العاملة )) في فرنسا .
  - كل مظاهر الفوضى والاضطراب في المجتمع الفرنسي سببها اليهود لانهم يتصفون (( بخصائر وميزات عرقية منحطة وغير نقية )) .
  - لا يجوز فتح المجال لاندماج اليهود في المجتمع الفرنسي ، بل يجب طردهم (( ومصادرة ممتلكاتهم واموالهم )) (١) .
- ان هذا الكاتب والصحفي الذي كان يسير في الواقع عن التصور الايديولوجي السائد لدى الاوساط الرأسمالية الفرنسية بخصوص حل المسألة اليهودية ، كان قد ساءم (( بنصيب وفير )) ، كما يقول اسد رزوق في التوجيه النظرة البرتزية نحو اعتماد الحل الصهيوني للمسألة اليهودية (٢) . اما في المانيا ، فيمكن توثيق الصلة عند السامية بكتاب ( انتمار اليهودية على الجرمانية ) . لمؤلفه وليم مار [ ١٨١٩ - ١٩٠٤ ] وهو يهودي ( مسند ) كان قد اعتنق المسيحية حديثا . وهو ابن النمشل اليهودي الالمانى ( غايزيخ مار ) وقد صدر الكتاب في فترة الازمة الاقتصادية التي حدثت في اوروبا بين عامي ١٨٧٢ و ١٨٧٣ . (( انتهت المانيا . الويل للمملوك )) . بهذا كان لشار الذي اطلقه اليهودي المنتصر وليم مار . وقد ساهى كتاب (( بست طبسات متوالية خلال اثني عشر عاما من مدوره )) وكانت قاعدة افكار مار (( تقوم على التمييز بين اليهودي والالمانى من ناحية المرق والدن )) . فقد ادعى (( ان اليهودية ما برحت تشن حربا لا هوادة فيها

(١) المصدر السابق - ص ٦١

(٢) = = = - ص ٥٧

على الجرمانية منذ العام ١٨٤٨ بقصد الاستيلاء على مقدرات ألمانيا .  
وتهودها كلياً )) . وفي عام ١٨٧٦ أصدر وليم مار منشورات انتخابية  
في برلين ، تقول (( لا تنتخبوا اليهود .. الطريق إلى انتصار الجرمانية  
على اليهودية )) . ثم أسس ( رابطة اعداء السامية ) فكان من اعدائها :  
- السهل على توحيد الالمان (( من غير اليهود )) ، والسهل على انتهاز  
الوطن الألماني من قبل (( اليهود )) .  
- الوثوق بوجه عامية استمرار (( التثليل اليهودي )) وتحرير الجرمانية  
من تسلط (( النحوذ اليهودي )) (١) .

وبسبب تأثير انكار وليم مار على اوضاع اليهود في أوروبا ، فقد كتب  
الزعيم الصهيوني ( ليلينليوم ) في ١٨٨٣ ، ثائلا (( نذكر منذ ثلاث  
سنوات عندما بدأ مار فكرة مناوأة السامية ، اننا سخرنا من فكرته  
ومن مخططاته وتلنا انها فكرة قديمة تعود الى ما قبل اربعة سنة  
ولكن لم يمر اكثر من اربعة اعوام حتى اخذت حركة اللاسامية بهذه  
تجتاح أوروبا ، وملا هذه الحركة العالم بالاحتجاجات والتظاهرات  
والحرائق والاجتماعات والخطب في البرلمان وغيرها )) (٢) .  
وفي عام ١٨٧١ كان اوغست روميلنغ ( ١٨٣٩ - ١٩٣١ ) استاذ اللاسوت  
في جامعة مونستر في ألمانيا قد أصدر كتابا بعنوان ( اليهودي  
التسلودي ) . واعتبارا من عام ١٨٧٦ اخذ كتابه المذكور (( يلبس  
ويوزع على ندان واسخ )) ثم ترجم الى «لغات كثيرة» . وفي ألمانيا  
يبيع « في ١٧ طبعة متوالية ابان ارتفاع موجة العداء للسامية  
واليهود - وقبل مجيء النازيين الى الحكم » كما قامت الجمعيات  
والاندية الدينية بالترويج للكتاب وتوزيع « الاث النسخ منه مجانا »  
واستقبلته «الصحافة الكاثوليكية» في ألمانيا والنمسا بالترحاب ،  
«فاحرز مؤلفه الشهرة والنجاح» والتفجؤ له كثير من الانتصار والمريدين  
من «النافذين» واعتبارا من طلع النماينات اصبحت هذا الكتاب يمتلئ  
بمكاتب «المرموقة في عالم البحث والتنقيب العلمي» الى جانب السروان  
الذي صادفه على صيد الانتشار الشعبي )) حتى ان روميلنغ تبين بفضل  
جهود النافذين من مريديه وكذلك « تأييد الاوساط المناوئة للحكم  
الليبرالي في النمسة » استاذنا لكرسي « اللغات السامية في جامعة  
براغ » اما الفكرة المحورية في كتاب روميلنغ فتزعم « ان تعاليم

(١) المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٣

(٢) الفكرة الصهيونية - المصدر السابق - ص ٢٥ - ٢٦

التلمود تأمر اليهود بارتكاب الذبائح [البشرية] واستنزاف  
الدماء لمنع فطير النصح الشهير. (١) . وعندما قامت السلطة في  
فيينا بتبرئة اليهود من التهمة الموجهة اليهم في حادثة (تيزا -  
عزلار) ادعى الدكتور روملنغ ان لديه برابين (( بان اليهود يرتكبون  
الذبائح التلمودية لاغراض شاذة واثنية واقسية في ديانتهم )) واعرب  
عن استعداده للسؤال امام المحكمة وتقديم مثل هذه الادلة . وعندما  
رفضت السلطات الاستجابة لدللباته راج مؤلف ( اليهودي التلمودي )  
ينرى الصحف بسلسلة من المقالات يهاجم فيها (( التلمود )) و (( الشولحان  
عاروخ )) ( كتاب فقه يهودي ) زاعما ان تعاليم التلمود (( تأمر  
اليهود بارتكاب الذبائح واستنزاف الدماء )) . وفي عام ١٨٨٢ - صمغ  
روملنغ مقالاته هذه واحداها في كتاب جديد ويقول الخاصام  
( جوزيف بلون ) الذي اقام دعوى امام محاكم فيينا ضد روملنغ  
(( بان توزيع الكتاب المتضمن مقالات روملنغ ضد التلمود والشولحان  
عاروخ وصل الى ٢٠٠ الف نسخة في السنا ان التي تتكلم الالمانية من  
الامبراطورية النمساوية والمجرية ) بينما وضع ما لا يقل عن ١٢٥ الف  
نسخة من كتابه عن الذبائح البشرية لدى الرئاسيين في متارل  
الجمهور (٢) .

ويكتب الدكتور اسد مهرزوق انه لم تكذ اسم روملنغ ترتفع نسي  
( الاوساد الصحافة ) حتى اخذت (( النقمة على اليهود تنتشر بين  
السما في الضواحي الصناعية )) بينما راج السامدون لليهود يروجون  
الشائعات بان (( الراساليين اليهود والاغنياء استلغوا تبرئة  
ساعة اخوانهم في الدين من تهمة قتل فتاة مسيحية بريئة )) . ويبدو  
ان الظروف السياسية والاقتصادية كانت مؤاتية لاستعداد النقمة على  
اليهود مما يمن السيلرة لاراء الدكتور روملنغ وجعل اقواله عن  
التلمود لا تحتل المسح بلا منازع (٣) .

ومن المفيد الاشارة الى ان روملنغ الذي كان يعمل لقب بروفييسور  
و ( استاذ اللغات السامية ) ، عندما وضع على السمك واللب اليه ان  
يمثل امام لجنة تحكيم مؤلفة من علماء ذرى مذانة غير مختلف عليها

(١) التلمود والصهيونية - المصدر السابق ص ٩٢ - ٩٤ - ٩٥

(٢) المصدر السابق ص ٩٥

(٣) = ذات الصفحة =

وان يدلي امامها باتواله وبرائيته ضد الدين اليهودي ، تملص من  
التحكيم وبذلك اثبت على نفسه التهمة التي وجهت اليه من قبل علماء  
الدين اليهود وبأنه « جامل » و « عديم الكفاءة » وحتى انه لا يعرف  
كيف « يترجم النصوص العبرية » (١) .

هناك ايضا شخصية غامضة لمع اسم صاحبها في الربع الاخير من القرن  
التاسع عشر ، كما لسبادورا بارزا في « تلغيف الكتابات ضد اليهود »  
وقد عرف ذلك الشخص الناصر تحت اسماء عدة ، فهو ( عثمان بك ) حينما  
و ( كبروه لي زاده ) حينما اخر . لكن يقال ان اسمه الحقيقي هو  
( ميلنغر ) وعلم انه طرد من مدينة البندنية عام ١٨٢٠ ومن سلسلة  
بلدان اخرى خلال الثمانينات ، « فاتبه نحو مصاداة السامية كوسيلس  
لكتب الرزق » . فراح يدبج الكراريس المداية للسامية لكي يرضها  
للبيع منتقلا من باب الى باب : من اثينة الى الاسكندرية  
وقد بقى على هذا المنوال ، يتسرع للاعتقال والسجن بسبب نشاطه  
الاشتبالي الى ان توفي حوالي عام ١٨٦٨ ) ان عثمان بك هذا « كان  
يهودي الاصل ناصب متحالا دوليا » . وقيل انه من مواليد الصرب .  
وكان يكتب بالالمانية ونشر كتبه في سويسرة « ثم التفت الى روسية  
التيصرية والمتركة المداية للسامية هناك مبادلا تقديم خدماته » (٢)  
هذا الشخص الخامس وصاحب الاسماء المتعددة في كتابنا بعنوان ( غزو  
العالم بواسطة اليهود ) وثمرة الكتاب الرئيسية تقول ان ( جمعية  
الايانس ) التابعة لفرع روتشيلد الفرنسي ، هي « منبع الشرور في العالم  
لا بل القوة الخفية وغير المتناهية وراء امكاد الدار اليهودي حول  
عنى العالم واخضاعه لسلطان المال والذهب والثروة » كما زعم اينما  
ان لدى اليهود « مجمع مسكوني » يعتقدونه ويبحثون فيه مسألة السيطرة  
على العالم « ( من التلب الشمالي الى الجنوبي ) » كما انه انما لذلك  
كتب السديد من التصريح عن « الذبائح التسودية » (٣)

وفي عام ١٩٠٢ صدر باللغة الروسية كتاب بعنوان ( بروتوكولات حكماء  
صهيون ) لمؤلف مجهول الهوية كذلك عرف تحت اسم ستندار ( سيرجي نيلوس )  
وهذا الكتاب يشبه بموتواعاته تلك الانذار التي رن لها ( ميلنغر ) من  
قبل في كتاب ( غزو العالم بواسطة اليهود ) . نكتاب ( البروتوكولات

(١) المصدر السابق ص ٩٦

(٢) = = ص ١٠٢ - ١٠٣

(٣) = = ص ١٠٣

يتحدث عن مؤامرة عالمية يديرنا اينا ( مجمع ستروني ) يهودي مؤلف من ( حكماة صهيون ) تدبها تدبير اغلال العالم وسياسات والالامسة بحكوماته والسيطرة على جميع الامم برأسة الدساتر والبال والنساء الخ . . والهدف النهائي هو (( استعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود )) . يتول المؤلف (( يجب ان يكون شعارنا - كل وسائل المنفعة والخديعة )) و (( يتحتم الانتردد لحالة واحدة في اعمال الرشوة والخديعة والخيانة اذا كانت تخدمنا في تعتين غايتنا )) (١) .

ويظهر في توافيق عدة من الكتاب انه كان موجهها للاستخدام ضد تعاليم تيار الشيوعية البلشفية في روسيا (٢) . وقد اعيد طبع الكتاب بمصر ثانية باللغة الروسية سنة ١٩٥٥ ومو عام الانتفاضة الروسية ضد التبصرة وعام المذبحة الاسلامية الشهيرة . ثم انتشر الكتاب في البلدان الاوروبية الاخرى . وحتى عام ١٩٢١ كان قد طبع باللغة الانكليزية خمس طباعات متوالية . ويبدو من احوال الشذرين الصهاينة ( الايديولوجيين ) انه في روسيا خاصة كان للصحافة دور في التحريض ضد اليهود مثل دور الكتاب او اكثر . فكما اشار سولنسكين فكان الصحافة الروسية قد بدأت منذ وقت مبكر تشن حملاتها . وكتب انحر مذابح ١٨٨١ يقال (( لقد بدأ الهجوم على اليهود مؤخرًا ، لكنه كان يحذر على مر السنين ، ينفرد السبب الحقيقي في كل هذا الى ان النشينة التي ملأت بطنهم الصحافة الروسية ضد اليهود خلال العشرين سنة الماضية القت علينا كل انواع الذنوب . التت علينا اشكالا من تهم السداسي والخداع والشروع . وقد كتبت المقالات والكتب الكثيرة بتهمة اليهود بشرب الدماء . وذلك لاثبات ان اليهود يشربون دماء الاطفال المسيحيين فهل يستغرب الامر بعد التحريض لمدة عشرين سنة على السلب والنهب وحتى القتل ، بان تنمر هذه الكلمات في النهاية (٤) )) .

(١) الحظر اليهودي - بروتوكولات حكماة صهيون - تقديم وترجمة محمد خليفة التونسي - المكتب العربي - بيروت بدون تاريخ ص ١١٨

(٢) المصدر ذاته - ص ١١٠

(٣) الشكرة الصهيونية - ص ٤٨

في وقت مبكر ومنذ مطلع القرن ١٩٠٣ قال لينين وهو يوجه الانتشار الى تلك القوى ذات المصلحة في تسيير الحملة اللاسامية ضد اليهود :

(( امن الممكن ان نلجأ الى المدة لتفسير ان القوى الرجعية في أوروبا بأسرها وفي روسيا على الأخص وهي على وجه التحديد التي تحتج على مثل ( اندماج ) اليهود وتبذل تضاريا جهودا لتكريس خصوصيتهم ؟ )) . وقد

علق اينما ايفانوف على تساؤل لينين بقوله : (( يتبين من وضع السؤال بالذات ان لينين لم يعتبر قديما هذا الواقع بأنه مصادفة (١) )) .

كيف يكون الامر مصادفة ؟ عندما تدور مباحث الكتب والصف وخطابات ابائنا البمامات ورجال الاحزاب والبرلمانات ورجال السميات والنفاسات الخ . . ، عشرات المرات واحيانا مئات المرات في السنة الواحدة ، ثم تنرجم هذه الكتب والخطابات الى مختلف اللغات وتنتقل من قلم الى قلم مثل النار في الهشيم وكلها تنادي بالويل والثبور وفي جوقة واحدة وصرخة واحدة (( ايها التذرون )) اخرجوا من أوروبا ، فهل يمثل ان يكون ذلك كله مجرد مصادفة ؟

ان وقائع الحملة اللاسامية ومن الناحية النظرية وحسب ، وفي المستوى الثقافي وحده ، توضح من وراء سريسة انها من تلك الانتكارات السائدة في المجتمعات السنية . وهذا يعني من ناحية نظرية ان القوى الاجتماعية السائدة على المستوى الاقتصادي والسياسي في تلك المجتمعات هي صاحبة المصلحة في تسيير هذه الانتكارات وسيادتها . وهذه العلاقة بين الانتكارات السائدة والقوى السائدة في البنية التحتية في المجتمع كانت اساسا لنظرية الايديولوجيات السامرة كسا وسمها ماركس وانجلز في كتابهما المشترك ( الايديولوجيا الألمانية ) . ففي كتاب الايديولوجيا الألمانية ورد تولهما : (( ان الدبقة التي هي القوة السائدة السائدة في المجتمع هي في الوقت ذاته القوة الفكرية السائدة . ان الدبقة التي تتصرف بوسائل الانتاج المادي تلك هي الوقت ذاته الاشراف على وسائل الانتاج الفكرية ، بحيث ان انتكارات اولئك الذين يفتترونها على وسائل الانتاج الذهني تخضع من وراء ذلك لهذه الدبقة السائدة . وليست الانتكارات السائدة شيئا اخر سوى التعبير المثالي عن العلاقات التي تجعل

الهيئة الواحدة طبقة سائدة ، وبكلام آخر فهي أفكار سيطرتها (١) ومن النعم ان التوى المهيمنة في الاقتصاد في التي تشكل الدولة  
 من ان يدا الدولة في التعبير السياسي عن مصلحتها . وعلى ذلك  
 اذا بنينا في المستوى الثاني ، فان الدراسة او المدرسة ، دار  
 الصحافة ودار النشر ، الحزب او الحرية السياسية ، الصحافة او الميديا  
 الثقافية ، واهل اليها في زماننا الاذاعة والتلفزيون والسينما ،  
 الخ ، هذه كلها اجهزة بين نطاق سلطات الدولة ، ولويس التوسير وهو  
 من الشراخ البارزين لنظرية الايديولوجيات الساركسية ، وله في هذا  
 المجال بالذات توضيحات ضرورية لهم تأثير الايديولوجيات ، يسمى  
 هذه الاجهزة « اجهزة الدولة الايديولوجية » ، وهذه يصفها الى جانب  
 « اجهزة الدولة القومية » باعتبارها الوسيلة الثانية التي تستخدمها  
 الدولة في ممارسة سلطاتها على المجتمع .  
 وليس الا من قبل اليوم عندما تظهر حملة من نطاق الايديولوجيا مثل  
 الحملة ضد السامية في اوربا ، وكأنها تحدث بالصدفة بسبب تناقضات  
 ثانوية في المجتمع ، او بسبب الاشكال الديمقراطية لممارسة السلطة  
 بحيث تظهر الاراء الثقافية وكأنها صادرة عن حرية الرأي . واهجهزة  
 الدولة الايديولوجية في الدولة الديمقراطية في الغرب تسمح بتسريب  
 مثل هذه الاوامر ، بسبب انتماء هذه الاجهزة الى القطاع العام  
 والتجارة . وهكذا يمكن ان يظهر الصحفي ( دريسون ) ، واستاذ الجامعة  
 ( رومنج ) ، ورجل البرلمان ( آيلوارد ) ، وعضو الحزب السياسي  
 ( وليم مار ) ، ومؤلف الكتاب ( ميلينغر ) ، الخ ، وكأنهم جميعا  
 يقولون او ينشرون آراء خاصة لا علاقة لها بسلطات الدولة . بينما الامر  
 كما يؤكد التوسير غير ذلك تماما . حيث ان « اجهزة الدولة الايديولوجية »  
 لا تختلف عن « اجهزة الدولة القومية » الا باستخدامها الرأي والندرة بدلا  
 من العصا ، وايضا لتونها تقادلا بواسطة الايديولوجيا المسيطرة (٢) بدلا من  
 قيادة الاجهزة القومية بواسطة اشخاص من ممثلي الهيئة الحاكمة

\* - هيرمان آيلوارد نائب في البرلمان الالمانى فان ينادى من غون  
 منبره البرلمانى بلرد اليهود من المانيا ( النكرة الصهيونية

(١) ماركس - انجلز - الايديولوجيا الالمانية ترجمة فؤاد ايوب

دار دمشق - بدون تاريخ - ص ٥٦  
 (٢) دراسات لانسانية - السابق - ص ٨٣

(٣) - - - - - ص ٨٩



وأكبر دليل ان الحملة اللاسامية كانت من نالان سلطات الدولة ، ان  
العداء لليهود وكذلك حوادث العنف ضد تد توتفت لهما دئمة واحدة  
ببجرد ستول الدولة القديمة في روسيا واقامة دولة جديدة في مكانها  
ليس لها مصلحة في اضهاد اليهود . ولينين تحدث في عام ١٩١٩ عن  
حركة العداء . للسامية في روسيا حديث تاريخ وذكريات ، فقال : (( عندما  
كانت السلطنة القيصرية السلطنة تعيش اياها الاخيرة ، كانت تدل  
جماعة على تأليب السام والناحين الجهلة على اليهود . وكانت الشرارة  
القيصرية المتعائلة مع اكبار الملاك المتاريين ومع الرأسماليين طندم  
المجازر ضد اليهود)) ~~الليهود~~ وبمناسبة هذه الذكريات عن اللاسامية  
في روسيا ، اهاب لينين مذكرا ان ما جرى وما يجري في اوروسيا الغربية  
ضد اليهود ما هو الا تأليف وتندليم رأسمالي تقوم به تلك الدول خدمة  
لمصالح الطبقات السائدة فيها . قال لينين (( وكثيرا ما نشاهد  
الرأسماليين في البلدان الاخرى ايضا يؤججون بذوة الحقد على اليهود  
ذرا للرماد في عين الساميل وبهدف تحويل انتباهه عن عدو الشئيلة  
الحقيقي المتمثل في الرأسمال (١) )) .

---

(١) تصور حول المسألة اليهودية - المصدر السابق ص ٧٠

حرب بين مسيحيين

انتم ، الاتباعيون والرأسماليون ، لا يمتصون البوارى من اجل الان النار على طيور البحر ، وهذه صورة أدبية ولكنها ضيقة للتشبيك من توة اليهود الاجتماعية في الصراع الدلبي الذي كان يدور على الساحة الأوروبية آنذاك ، وقد وقع الدكتور العلم بالخلا لانه ، كما يظهر نالر نقلا الى رائحة الدخان اليهودى ( الشنائم ) الذى كان يتعا عند فوق تلك المممة الطبقة ، فظن أن لك سامية هي التعبير الايدولوجي عن المصالح الاقتصادية المسيحية التي كان يهددها اليهود أو الدلبة البورجوازية اليهودية أو أنها بالاحرى هجوم ايدولوجي مسيحي ضد تهديد يهودى محتمل . حيث أخذ ذلك الصراع على المصالح كما " نال" مظهر

حركة السداد للسامية بين الأوروبيين من غير اليهود (١) . وكان ابراهيم ليون اينما وهو المرجع الثاني بعد ماركس بالنسبة

للدكتور السلام قد وقع في خلا مشابه ، عندما ظن ان الكبار اكلة لحوم البشر ، يتعلمون الكلام من فرائسهم ، فقد توهم ليون ان يتلر أو " الثانية " قد عثر على اللسامية في الزحام على سوق السدل بين

البرجوازيين الضارء مسيحيين ويهود ابان الازمة العالمية ١٩٢٩ فأخذاهما ولم تكن هي ( اللسامية ) ايدولوجيتهما بالاسل . عند كتب ليون

لانه لمن الخلا ان يحمل الرأسمال الكبير تبة اللسامية ، بل ان الرأسمال الكبير ، لم يتم سوى بالاستفادة من اللسامية الموجودة

لدى الجماهير البورجوازية الصغيرة ( المسيحية ) وقد استخدمها كنبداً اساسي في الايدولوجية الناشئة (٢)

فاللسامية في النار النوار الدلبي أنذاك كانت تشبه الى حد بعيد

اسلوب الجوار الذى يقول أكلتك يا جارة ناسدي يا كنيسة ، نند وبهت

المجارة في البداية الى أشرف خلت اليهود ، حتى أنهم وبسبب عشم

لحتم اذى كبير ولم يكونوا بشادرين على رد الاذى . وكان اول من تولى

عن التاجر والمرايى اليهودى حليقة القديم الاتباعي . كانت الدلبة

الاتباعية في روسيا وأوروبا الشرقية عند نهاية القرن التاسع عشر تشاوى وتنتقد سبلرتها على الموتف تجاه قوى مجارة هي قوى الرأسمالية

(١) - دراسات يسارية - ص ٩٨ ١٢٨

(٢) - المفهوم المادى - د - المصدر السابق - ص ١٧١

والاشتراكية المساعدة ومنذ ما يؤمل الشريك عندما يتمسك بثقة ، نقد  
حاول هؤلاء الاتباعيون توجيه الاحقاد الاجتماعية ضد اليهود "فبأجل  
التخلص من المصير المحتوم - قالت الدكتورة امين<sup>١</sup> تأجيله في انتم  
الاحوال لا يتر في أنه توجه النقمة والتمرد ضد الحليف السابق التاجر  
والمزايي والمحمول والوكيل اليهودي الذي كان احيانا يكلف من قبل  
الاتباعيين بالاحتفاظ بمفاتيح الكتلوس مما كان يشير حلق الفلاحين  
القوزاق الارثوذكس<sup>(١)</sup>

أما الجبهة الرأسمالية وهي الجبهة الاقوى من الغرب الى الشرق  
فقد كانت تنظر بعين الرعب الى جبهة الفقراء التي شرعت بالانتقام  
في مواجهتها . وسار من مصلحتها ان تسم بالتخريب أو "اليهودية العالمية"  
كل من يقف في صف الاحزاب الاشتراكية . وكانت المعركة الدلجية هنا  
تأخذ مسارها الدادي فقد كان اليهودي الفقير يقف مع جبهة الفقراء  
وكان اليهودي الغني يقف مع جبهة الاغنياء وتوجد شهادة تاريخية  
من ساحة الصراع عندما كانت المعركة الدلجية قد وصلت الى الاوج .  
نقد قتال لينين في ١٩١٣ : "انظروا الى الرأسمالية ، انهم يسعون الى  
انارة الاحقاد القومية في اوساط "الشعب الوطني" ولكنهم يسرعون اتم  
المسرفة كيف يسعون من جهتهم قضايهم الضئيلة ، ففي شركة مسامحة  
واحدة نرى جنبا الى جنب روسيا واركرانيين وبولنديين ويهودا والمانا  
ان الرأسماليين من الامم جميعا والاديان كافة متحدون ضد الشمال او  
يسعون في الوقت نفسه الى زرع الشقاق بين هؤلاء الاخيرين واضدانهم  
بواسطة الكراهية القومية<sup>(٢)</sup>

لا بد ان الرأسماليين اليهود في الغرب (البارونات وفروعهم المصرفية)  
كانوا اشد الناس انفدالا . نقد كان هؤلاء يفضلون ان يلقي اليهودي في  
الشارع لقمة سائنة للرعاة ، على ان ينتظم مع أقرانه على الجانب  
الاخر من خط المواجهة الدلجية - فلا بالنسبة لهم كان على اليهودي  
اما ان يختار الصهيونية واما ان يختار الموت . وعندما تأكد لهم  
ان يهود روسيا واوروبا الشرقية يلمحون الى حل مشاكلهم كيهود وعن  
طريق الاشتراكية اصبوا بحالة من الذعر موكما قال المسيري : "فقد انزع

(١) - المشكلة اليهودية - المصدر السابق - ص ١٠٦

(٢) - مخبر حول المسألة اليهودية - المصدر السابق - ص ١٠٦

هذا انرياء اليهود في الحرب ٦ امثال "روتشيلد" سارعوا بتحويل الحركة الصهيونية ليحولوا الشباب والعمال عن طريق الثورة (١) (٢) ولقد عملت الاسامية على قاعدة من تطلعات المصلحة المشتركة للرأسمالية والرجعية تضم اوروبا من غربها الى شرقها ، كما كان لهؤلاء <sup>حذروا</sup> الواحة للاستثمار لاحقا في المشروع الصهيوني . فقبل ان يشرع الرأسماليون في الحرب بتصدير الجيوش والرأسمال نحو افريقيا واسيا عند نهاية القرن كانوا قد حولوا بلدان اوروبا الشرقية وروسيا القيصرية الى مناطق نفوذ للاستثمارات التجارية والمالية . ولذلك فان خلق البلبلة الاجتماعية في الصراع الديبتي وتوجيه الاحقاد بشكل خاص ضد اليهود في هذه البلدان كان يخدم مصالح الرأسماليين في الحرب ومصالح حلفائهم الاتلاعيين والرأسماليين الجدد في الشرق .

كما ان الرأسمالية الغربية كانت تفتقر الفقراء اليهود المدلرودين من بلادهم لايلوون على شيء لكي تتلقفهم وتستخدمهم كقوة في مشروعها الصهيوني في فلسطين . وكان مفهوما ان دائرة المصالح يمكن ان تتنقل على حافة الدلائقات الدنيا الفقيرة والجاهلة في تلك المجنات . ومن هنا كان للاتلاعيين والرجعيين وحلفائهم من الرأسماليين مصلحة في توجيه الصراخ ضد يهودهم كذلك كان للجهلاء والرعاة مصالحهم الخفية اينما النهب والسلب . وكان يكفي ان ينسخ البوليس المبال لمثل هذه النرائز وهذا امر مفهوم في كل زمان ومكان حتى تلك فذ الامور المجرى المرسوم لها . وبهذا الصدد يقول موثي مينومين مؤلف كتاب "انحطاط اليهودية" (١) ان الجماهير البدائية في روسيا وبولندا كانت تقاد وتحرض على اضهاد اليهود لالسبب الا لاستئراق الجماهير بعملية النهب والاغتياال والشهوة والكرايمية ككي لاثنين لتدرك مستنبلها الحقيقيين - الحكومة والديبقة العليا المستخة وبذلك تظل بعيدة عن الثورة ضد النظام السائد (٢) (٣) .

كانت الاسامية صورة رمزية تعبر عن علاقة هامشية في الصراع الديبتي وقد <sup>مطلعت</sup> في حينها لافقاء علاقة اكثر اامالة ، وهي علاقة الصراع الديبتي بين قوى اجتماعية اساسية في المجتمعات الاوروبيسية . والدكتورة بدينة امين كانت السباتة من بين الباحثين السرب لكشف عن تلك العلاقات الاسابية

(١) - الايديولوجيا الصهيونية ج ٢ - المصدر السابق - ص ٦٤

(٢) - المشكلة اليهودية - المصدر السابق - ص ١٠٦

ففي ألمانيا مثلاً، عند نهاية القرن التاسع عشر حيث ظهر أكثر من  
أي مكان آخر ذلك التضام بين طالبي السلم بين البورجوازية الصغيرة  
الألمانية والبورجوازية الصغيرة اليهودية القادمة من الشرق، لاحظت  
بديعة أمين أن رياح اللاسامية لا تهب من تضاد بين المصالح الدلتيية بين  
يهود وغير يهود، وإنما من تضاد بين مصالح المان والمان الآخرين  
بصرف النظر عن الدين. وأن ذلك في الصراع يدور بين ذوي النزعات  
الرجسية وخصومهم ذوي النزعات التقدمية، كتبت (١) أن اللاسامية الجديدة  
في ألمانيا كانت مظهراً من مظاهر الصراع الدلتيي بين القوى الاجتماعية  
السائرة في طريق الزوال والقوى الاكليريكية من جهة، وبين البورجوازية  
الناعدة من جهة أخرى (٢) وقد لاحظت بسبق أن ما كان يظهر من صراعات على  
السلم والوظائف بين فئات البورجوازية صغيرة مسيحية وأخرى يهودية  
لم يكن أكثر من مظهر ثانوي لمصالح أكثر قوة لأن ذلك الصراع الهامني  
اللاسامي كان يحصل في نفس الوقت الذي كانت فيه البورجوازية اليهودية  
المالية والمصرفية تمول مشروعات بسمارك في ألمانيا قتالت (٣) وكذلك

مادى ملموس على ذلك .  
نشير الى حقيقة انه فيما كانت البورجوازية اليهودية العليا تسهم  
مساهمة نشيطة في تمويل الصناعات وفي مشاريع الخلوطة الحديدية والمناجم  
كان الصراع محتدماً في اوساط الطبقة البورجوازية الصغيرة المسيحية  
واليهودية ، حيث قدمت لبسمارك في نيسان ١٨٨١ عريضة تحمل ٢٢٥ ألف  
توقيع تطلب بمنع يهودية جديدة في اوروربا الشرقية وبإبعاد اليهود  
عن مجال التعليم وتحديد عددهم في المدارس الثانوية والمهنة الثانوية (٤)  
وفي فرنسا ، وهي منبع التأليف والنشر ضد السامية ، لم يكن الامر خلاف  
ذلك ، فقد كان الصراع الحقيقي يدور بين قوى متجابهة ، قديمة وحديثة  
أما المظهر اللاسامي فكان ستارة فقط ولم يكن الا "جزءاً" من الصراع  
الدلتيي الوحشي الدائر بين البورجوازية الكبيرة والصغيرة والارستقراطية  
نقد كتبت بديعة أمين وهي تحليل اسباب حادثة دريفوس قتالت: "ان يرتزل  
ورناقه الذين كانت تدفعهم دوافع استثمارية صرفة ... لم يكونوا  
راغبين في ان يندخلوا الى قضية دريفوس ضمن إطارها الموضوعي- الصراع

(١) - المصدر السابق - ص ١٤٨

(٢) - " - " - ص ١٤٨

بين القوى التقدمية الموالية للنظام الجمهوري والقوى الرجعية السائدة للجمهورية» وتستشهد بالمؤرخ (كارستن) فيما يخص هذه التهمة، فكتبت ان صداما مكشوفاً «بين القوى الموالية للنظام الجمهوري والقوى السائدة للجمهورية من أسس النظام القائم نفسها، قد وقع في نهاية القرن حول مسألة ما اذا كان الكاتبين الفريد دريفوس والمنتهم بالتجسس لصالح ألمانيا بريئاً أم مجرمًا». وخلال السنوات اللاحقة تصاعد ببطء الاعتراف من اجل اعادة المحاكمة وفي بداية ١٨٩٨ نشر اميل زولا كتابه الشهير «انبي انهم» دفاعاً عن دريفوس «ما اذا نستخلص من الشقاق الذي حصل في المجتمع الفرنسي بسبب حادثة دريفوس» تضيف المؤلفة «لو كان هناك حثاً لاسامية طاغية موجبة ضد اليهود في فرنسا، فقط لانهم يهود لاسامية تستطيع ان تجلس من اليهود - الاليهود يهوداً» اذا جاز القول، كما حصل لنور ووعرتزل، كما يزعم الاخير اقول - لو كانت هناك لاسامية كهذه في فرنسا فان فرنسا لما انتقلت على نفسها ولما برأت ساحة دريفوس» لقد قال بيرتزل في بداية اعتناقه الصهيونية «ان حادثة دريفوس هي التي جعلت مني صهيونياً» وبهيمية اميت تشير الى ان الصهيونيين عملوا على استثمار المبنى اللاسامي من حادثة دريفوس وغضوا الطرف عن مدانيها الاخرى «ان الصهاينة - تالت - كانوا يرفضون باصرار النظر الى هذه المسألة على انها جزء من الصراع ضد الديمقراطية وان دريفوس لم يكن الا كبش فداء» اختارته القوى الرجعية وانه كان من المحتمل جداً ان يكون هذا الكبش بروتستاني وليس يهودياً «لا بل ان الصهاينة تفاوضوا عن كون دريفوس» لقد برئت ساحته وأعيد له شرفه العسكري، وان الضابط الذي ثبتت ادانته بتهمة تزوير وثائق ادين دريفوس استناداً لها، وهو الكولونيل هنري، الموالي للقوى الرجعية، المحاذة كان قد اعتقل وانه قد انتحر وفقد شرفه العسكري الى الابد» (١)

وعند هذه النقطة ردت الدكتورة بديعة امين على صادق جلال العظم لان تصور ان اللاسامية قد ولدت من الصراع بين يهود ومسيحيين، فتساءلت بانكار هل الصهيونية هي التعبير الايديولوجي والتومي للبورجوازية اليهودية كما يعتقد الدكتور العظم ؟ . واجابت «يبدو ان من الصعب جداً ان توافق على هذا» (٢)

(١) المصدر السابق - ١٣٠

(٢) المصدر السابق ص ١٢٦

وبدئية امين وعي تدهور الى الان الاثني الاولى للذكورة الصهيونية لا من  
 اتبينة وزارة الخارجية البريئلانية (١) حيث لم يكن هناك البتة اى عدم  
 بين يهود وغير يهود (٢) حيث لم يجابه اليهود اية عداوات (٣) يمكن ان تذكر  
 مع (٤) السكان المحليين (٥) وبالمنار الى نشوء الحركة الصهيونية عند نهاية  
 القرن التاسع عشر من اجل اهداف استعمارية واضحة تتماشى وحركة اوربا  
 الامبريالية ومصالحها في الشرق الاوسط تقول شيئا متميزا وهاما وهي  
 تدع بالتكبير الى نهايته البنائية وذلك عندما تؤكد ان الحركة الصهيونية  
 لم تولد من مشكلة يهودية او لحل مشكلة يهودية وانما ولدت من المشكلة  
 الاستعمارية ولحل مشكلة استعمارية . فقالت (٦) انه لا يوجد هناك اية صلة  
 تربط بين ما يعرف بالمشكلة اليهودية وبين الحركة الصهيونية التي برزت  
 فقط في اواخر القرن التاسع عشر في خضم تصاعد الموجة الاستعمارية في  
 بلدان اوربا الغربية حين بلغ النظام الرأسمالي اعلى قمة في تدهوره  
 - المرحلة الامبريالية (٧) وهي تدل على رأيها في ان الصهيونية لم تنشأ  
 لحل مشكلة يهودية بقول (٨) وايضاً (٩) ان اليهود كانوا يهددون وانما كنا  
 يهددون نقف فوق جزيرة صغيرة (١٠) بريئلانية (١١) مجموعة ضئيلة من يهود  
 ذوعاشي اجنبي (١٢) وايضاً بقول الاستعماري البريئلاني والصحفي الشهير سايد برشاك  
 الذي كان شغله الشاغل الدعوة لفردة اليهود الى فلسطين حين قال :  
 (( لم يمكن لي اية صلات يهودية على الاطلاق ، وقد قامت عتبي لاربعاء اليهود  
 الى فلسطين على الاسس المسلحة البريئلانية بشكل بحث ، ورائد تلك  
 الحركة الوحيدة لمساعدة الحلفاء على النصر في الحرب ومن جديد تكرر  
 انتقادها لاراء ابراهيم ليون وصديق جلال المثل حول منشأ الصهيونية  
 فتؤكد (١٣) ان الحديث عن كون الحركة الصهيونية وليدا للمشكلة اليهودية  
 انما هو شرط تحسفي ومنارقة تاريخية . . . ولايزيد عن مداولة تاليفي  
 تاريات وقواعد علمية صيغت من مقومات واقع مادي ملموس مبين وتام  
 نسلا على وضع لا يملك شيئا من مقومات وأسس ذلك الواقع (١٤)  
 ووثائق التاريخ تؤكد رأي بدئية امين ضد رأي ليسون والسلم واحيانا  
 يكون لهذه الوثائق معنى رمزي بالغ الدلالة . فاني عام ١٨٩٥ عندما كان

(١) - المصدر السابق - ص ١٨١

(٢) - المصدر نفسه وذلك الصفحة

مرتزل يستحق الصهيونية وينع كتاب الدولة اليهودية " كان سبيل رودس  
بالأوروبا الامبريالية ورمزها عند نهاية القرن التاسع عشر المليونير  
الاستعماري ومؤسس روديسيا، يقول لصديقه المعني الانكليزي ستيد :

" كنت امريكي الايست أند ( حي الشمال في لندن ) وحضرت اجتماعا من اجتماعات  
الشمال المالكية ، وقد سمعت هناك خطابات نارية كانت من أولها الى  
آخرها صرخات : الخبز ، الخبز ، ، وانتهاء عودتي الى البيت كنت افكر  
بما رأيته وتبينت اوضح من السابق أهمية الامبريالية ، ان الفكرة التي  
أصبو اليها هي حل المسألة الاجتماعية ، اعني : ليكننا ننتد أربعين  
مليون من السكان ، المسألة المتقدمة من الحرب العالمية الثانية ينبغي علينا نحن  
الساسة طلاب المستعمرات ان نستولي على اراضي جديدة لنرسل اليها فائض  
المكان ولنتبني مياادين جديدة لتصريف البضائع التي تنتجها المصانع  
والمناجم ، فالامبراطورية ، وقد قلت ذلك مرارا وتكرارا ، هي مسألة  
البالون . فاذنا كنتم لا تريدون الحرب العالمية ينبغي عليكم ان تصنعوا  
امبريالية (٢) .

ففي هذا الواقع الأوروبي ، والبريطاني على رأس القائمة ، لم تكن اللاسامية  
إلا حاجة واحدة من حجج الصراعات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تخرج  
بها التارة بأسرها ، لابل انها الصوت الاضعف بين الايديولوجيات  
الاخرى : ايديولوجيا الرجل الابيض ، وتفوق الانكلوسكسون وألمانيا  
فوق الجميع ... الخ .

والمعنى الرمزي الذي اشرت اليه انه يوجد في وثائق التاريخ في لحظة  
تشكل الحركة الصهيونية ، رسالة ذات منزى واضح ، حيث لا يوجد فيها تشريفا  
اي شيء عن اليهودية ويوجد فيها كل شيء من سموات الأوروبي الابيض  
عند نهاية القرن والرسالة وجهها مرتزل رمز الصهيونية " الى رودس  
رمز أوروبا الامبريالية باعتباره " مرجع استعماري له خبرة " وقد  
ظلت فيها مرتزل من رودس أن يصادق له على مخاضه الصهيوني في استثمار  
بلد على غرار روديسيا لان مواطنة رودس ينبغي ان المشددة سيكون  
" عمليا " و " مملوء بالحجارة " ومفيد ك " تقدم البشرية " بالانسان  
لبقاء وهذا امر أهم (مفيد لبريطانيا السامي) وقد ورد في رسالة مرتزل

(١) - لينين - المختارات - مجلد (١) - جزء (٢)



قولهم : (( كيف حدث اذن ان اتجهت نحوك ، مادام الامر خارج ، لريتك ؟  
 لانه امر استثماري ، ولانه يقوم على فكرة تنمية تستغرق عشرين وثلاثين سنة  
 لكنك أنت يا سيد رودس سياسي خيالي أو خيالي عملي . وقد برعنت على هذا  
 ما أريده منك ليس ان تسألني أو تقررني تبعة من الخيالات ، بل ان تدقق  
 على المخطط الصهيوني وان تعلن التصريح التالي امام عدد من الناس : أنا  
 رودس تمت بنحس هذا المخطط ووحدته صحيحا وعمليا . انه مخطط مملوء بالحضارة  
 ممتاز بالنسبة الى الشعب الذي يتوجه المخطط نحوه . لا يقيق تقدم  
 البشرية السلام . منيد جدا لانك لترا ويريا انية المثلث )) . (١)  
 (( لانه امر استثماري )) . ولم يكن يرتزل ما يعرضه أهم من هذا الامر . و  
 ومثلما للب من حامل ايدىولوجيا الرجل الابيض ان يشره بوضع توتيه  
 على مخطله . كذلك قدم وعودا لحكام اوربا الرجعيين الآخرين ، وليتصر  
 روسيا بشكل خاص ، انه سوف يعمل من الحركة مخفف صدمة تقيهم من الاغدار  
 الطبقة المحقة بهم . وحسب شهادة الكاتب التقدمي اليهودى موسى  
 مينويفين ، فان يرتزل (( قدم وعدا مرشيا لكل من بلينته (وزير التيسر الروسى)  
 وتيسر المانيا ، ولكل مجموعة الاوغاد والرجعيين الذين كانوا يحكمون  
 اوربا : ان الصهيونية ستعني على جميع العناصر الثورية والاشتراكية  
 بين اليهود )) (٢) . وهكذا فانه اذا كان لدى يرتزل مشكلة فهي مشكلة  
 اليهود التقدميين وليست المشكلة اليهودية .

### لماذا السمس ؟ ....

ويبتى سؤال هام وهو يعني : المسافة بين منبع الفكرة الصهيونية ومنبع  
 اللاسامية والسؤال هو : لماذا اتخذت اللاسامية اسلوب العنف بشكليه  
 الايدىولوجي والتمهي ؟ . وجوابه بداية بسيطة : لان يهود اوربا في الغرب  
 وفي الشرق لم يكونوا مستعدين لتنفيذ الاهداف الشريرة التي كانت تدلها  
 منهم تلك القوى المحركة الجبارة ، قوى الاستثمار والامبريالية ولم  
 يرفضوا نقد التلوع ضد القوى التقدمية المساعدة على الساحة الاوروبية  
 وانما رفضوا ايضا وباصرار التلوع لخدمة الامبريالية في مشروعها  
 الرامي الى توليهم في فلسطين .

(١) - ش . ف عدد ٢٩ - كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤ - ص ٥٧

(٢) المشكلة اليهودية - المصدر السابق - ص ١٥٨

ولما لم يمثلوا بالتالي هي احسن فقد وضعوا في التجربة امام ما هو  
أسوأ . وكان هذا امر عادي بالنسبة لمن يسيهم الامر .  
وفي التأكيد على معنى الرفض اليهودي يمكن البدء بذكر حادثة تشتمل  
دلائها في ذاتها ، كان لوران اوليفانت ( ١٨٢٩ - ١٨٨٨ ) وهو رجل

استخبارات بري تاني من جنوب افريقيا ، مكلنا بالعمل من قبل اللورد -  
" فانسبري " ورئيس الوزراء " وزرائيلي " كلمة وصل مع جميعات اجزاء  
صهيون في روسيا . وفي سبيل تشجيع الاستيطان في فلسطين ذهب هو بنفسه  
مثلا دور " الرائد " سنة ١٨٨٢ الى فلسطين ومعه سكرتيرة يهودية .

(( نانتالي ميرزامير )) وهو مؤلف نشيد الهايتفا ( الامل ) الذي أصبح  
النشيد الوطني الصهيوني ( ثم الاسرائيلي فيما بعد ) . والدلالة <sup>(المعنى)</sup> على  
ان هذا الصهيوني ، غير اليهودي ، قضى بقية حياته في فلسطين مستوطنا  
يرجى لتكرار الاستيطان اليهودي ، في حين هاجر مؤلف النشيد الصهيوني  
الصهيوني الى الولايات المتحدة لانه لم يلبق الحياة في ارض الميعاد <sup>(١)</sup>

وتكاد تكون وقائع تاريخية مبتذلة ، ان جميع الدعوات التي وجهت لليهود  
من قبل رجال الدولة او رجال دين ، للتوجه الى " ارض الميعاد " للسلامة او  
للتلاني مع " المسيح المنتظر " او حتى لكي يصبحوا " سادة العالم "  
في مركز العالم ( ملحق القارات الثلاثة ) قد جاءت جميعها بالنقل  
الذريع . فلم يستجيب احد لدعوة كرومويل منذ منتصف القرن السابع عشر  
ولم يلحق احد بيهوشابليون عندما كان الامبراطور يتبعه لفتح فلسطين  
( ١٧٩٩ ) وقد وجه ندا " الى ورنه فلسطين الشرعيين " <sup>(٢)</sup> وعدم فيه باعادة  
" القدس القديمة ومملكتها المجيدة " وعندما نادى عليهم مجددا  
القسس البريلانيون " استفيقوا يا ابنا ابراهيم فالك ذاته ، الاب  
الساوي ، يدعوكم للرجوع الى وطنكم القديم <sup>(٣)</sup> كذلك لم يستجيب لمنزل هذه  
الدعوات احد .

وقد كتب الدكتور اسعد رزوق حول رد فعل اليهود في اوربا الغربية  
على دعوة " صهيونية الاغيار " فقال : (( ان يهود اوربا الغربية آنذاك  
لم يشاءوا جماعة اللاتنيين رأيهم ، بل رأوا في فكرة الاسترجاع دعوة  
لاعتناق المسيحية والتخلي عن دينهم . لذا تميزت استجابتهم لحساس الاغيار

(١) - الايديولوجية الصهيونية - المصدر السابق - ص ١٣٨

(٢) - الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق - ص ١٦٤

(٣) - المشكلة اليهودية - المصدر السابق - ص ١٥١

يرتفع اليهم الشديدة بالصمت او الرضا المؤبد (١). ان المشروع الذي يتتبعه عودة اليهود الى فلسطين يجب بداهة ان يؤمن به اليهود، ورجال الدولة الاستعماريون الذين يسنهم الامر تأكدوا في اكثر من مناسبة ان اليهود غير متحمسين البتة لمثل هذه العودة. وفي أوج الحماس لاعادة اليهود الى "ارض الاباء والاجداد"، عندما كان صوت الصحف يقتل بصوت التمسير وخلاصات اللوردات بخلاصات النواب في برلمانينا سنة الازمة "الشرعية" ١٨٤٠، كان اليهود وحدهم غير مباليين في الامر. وقد سجل المؤرخ اليهودي "ليسيان وولف" هذه الواقعة بقوله: "ان اليهود انفسهم كانوا غير مباليين بالامر، فلم يكثرثوا له كثيرا، حتى انهم يرتفع بينهم عام ١٨٤٠ صوت يطالب بفلسطين" (٢).

وفي عام ١٨٤١ وضع القنصل البريطاني في القدس الكولونيل تشارلز هنري تشرشل، وهو من اركان الجيوش المتحالفة ضد محمد علي، مشروعاً لتزويد اليهود في فلسطين. وارسل بذلك رسالة الى السياسي والمصرفي البريطاني اليهودي (موسى مونتفيوري) في لندن. وجاء في الرسالة ان "تجديد وجود الشعب اليهودي هدف يمكن الحصول عليه، ولكن اهم الشروط الضرورية لذلك ان يقوم اليهود انفسهم اولا بإدارة الموضوع في كل مكان وبالإجماع. وطلب الكولونيل تشرشل من مونتفيوري القيام بمساعي بين اليهود لانجاح مثل هذا المشروع. والذي حصل ان مونتفيوري عندما عرض اقتراح تشرشل على "لجنة ممثلي اللوائف اليهودية في برلمانينا" قررت اللجنة بتاريخ ١٨٤١/١١/٨ انها غير مؤهلة للقيام بالمهمة" (٣).

لم يكف الصهيونيون المسيحيون "الأغيار" عن الدفع باتجاه المشروع لكنهم بعد تأكدهم من عدم الاستجابة، غيروا لهجة النداء، فصارت المؤخرة ان ينادى اعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر باسم الله اليهود "يهوه" وليس الله المسيحيين. فلم يعد "النام الالهي" وعودة المسيح من جديد هي الرمز الروحي، بل عودة "السبا" الملك من نسل داوود الذي سوف ينتظر شعبه "هناك في فلسطين، لكي يحييهم مجد اسرائيل مجدداً" صاروا يقولون لهم: ليس من الضروري ان تسيروا مسيحيين عودوا الى فلسطين من اجل دينكم انتم. وصاروا يقرأون لهم في سفر أرميا: "اسمعوا كلمة الرب ايها الامم واخبروا في الجزاء البعيدة وتكبروا مجدداً اسرائيل يجمعهم ويحرسهم"

(١) الصهيونية وحقوق الانسان - المصدر السابق - ص - ١٦٨

(٢) المصدر السابق - ص ١٤١

(٣) اسرائيل، فنجر امريكا - المصدر السابق - ص ٢٤٠

كراع تدليحة " ( ارميا ١٠/٣١ ) . ومجددا ايضا وجدوا الرد ذاته . نبي  
 ١٨٥٤ أصدر الحاكم الأكبر في بروسيا ( الدكتور آدلر ) وهو انكليزي  
 عتيق أكثر من شيانيسبورى وذررائيلي وتوجيها دينيا قال فيه : " ان مصائر  
 اليهود بيد الله " وان الله امر ان لا يستثاث به وان لا يشار فيه  
 حتى تلك الساعة التي يختارها هو نفسه " لكن مع مرور الزمن ، كما لاحظ  
 ايخاترف بنشاد " ازداد عدد الذين يرغبون في ايقاد " يهو " المتهاون " (١)  
 ان قول اللورد شافتسبيرى ١٨٧٦ «قومية اليهود موجودة ، فلا ينبغي سوى  
 المظهر الخارجى او ريبالا الوحشة المتوج لذلك " يمكن ان يقرأ باعتباره  
 دعوة لتشكيل الحزب الصهيونى ( الحركة ) او دعوة لاجبار اليهود بوسائل اخرى  
 على الانضمام للمثل هذا الحزب . وقد لا يكون عنا ان تاريخه سبق تاريخ  
 اول مذبحة كبرى ليهود روسيا سنة ١٨٨١ . ويؤكد تاريخ الحركة اللاسامية  
 في اوربا ان هذه الحملة ضد اليهود .  
 قد ادبرت بدنة واحكام بنسجمان مع الهدف السام لاستخدام يهود اوربا  
 وهو تبالا من الغرب وجنود الشرق . فالحملة اللاسامية لم تنس هنا في  
 غرب اوربا رأس آى يهودى ولم تنير من وشه الثانوى او السياسى فقد  
 بقيت الحملة في الغرب في نطاق الايديولوجية فقط . ولم يستخدم هنا  
 جهاز الدولة القمى الادارى او البوليسى . بحيث كان الامر منسجما  
 فعلا مع الاهداف : - عصا الايديولوجية في الغرب وعصا البوليس او البوليس  
 ورعاع الناس في الشرق . وقد نقل هذه الحقيقة الموثقة عن تاريخ  
 اللاسامية الدكتور " اسعد رزون " فكتب ( ان الشعب السدادى للاسامية  
 خلال الثمانيات والتسعينات [ القرن التاسع عشر ] قد برهن رغم  
 ضيقه وضوئائه على انهذام تأثيره السياسى . وعلى الرغم من انكاه  
 الواسع النطاق ، للتعصب الشعبى والتميز الاجتماعى ضد اليهود فإنه  
 لم يؤدى الى فرض قيود قانونية عليهم في فرنسا والمانيا والامبراطورية  
 النمساوية - المجرية او غيرها من بلدان اوربا الغربية والوسلى (٢) ،  
 فالقيود القانونية والتشريعات العنصرية الجائرة . والاضطهادات التي  
 كانت تمل في كثير من الاحيان الى التهجير بالقوة او التضييق الجسدى

(١) - احذرو الصهيونية - المصدر السابق - ص ٣٤

(٢) - الصهيونية وحقوق الانسان المصدر السابق ص ٦٣٤

بواسطة مجازر جماعية يوجهها البوليس، ويشرف عليها ، كانت تابلق تحت  
 في بلدان أوروبا الشرقية عامة ، وفي روسيا القيصرية ورومانيا بنوع  
 خاص (١) عندما دارت في الشرق عما البوليس، دارت في الغرب مالمابع الكتب  
 ومالمابع الصحف . وتم استخدام استاذة بنامسات وايدولوجيين من مختلف  
 الاصناف ، كتاب وصحفيين واصحاب اسماء مزورة ومشوذين . وبدلا من تلك  
 الاقوال المسولة عن ((الشعب الذي اعلى العالم الهال)) التي لم تجد نفعا  
 حار اليهودي مجددا حسب منالوق الايدولوجيد اللاسامية لا سم ابار ومعار  
 دماء لاوجاسوس ومخرب اخلاقي وسياسي . . . والسخ .  
 وهكذا وجد اليهودي القادم من جهنم الشرق سورة مزينة ايدولوجية  
 تشبه تلك التي تركها خلف ظهره وقد زانوا انهم بهذه الدليقة يستلبون  
 توجيه . اعداد متزايدة باتجاه المشروع الصهيوني نحو الشرق . ولقد  
 اشارت الدكتورة بديعة امين الى هذا الهدف من السياسة اللاسامية  
 في أوروبا الشرقية كتبت ((ان محركي سياسات بلدان أوروبا الشرقية  
 الاستعمارية لم يكونوا ليمتنسوا عن حث اليهود على الهجرة الى فلسطين .  
 حتى عن طريق خلق كل الظروف التي تستلزم ان تحصلهم على الشعور في ان  
 البلدان الجديدة التي هاجروا اليها غربي القارة لايزيد عن كونها جحيما  
 لاقتل حرارة عن حرائق " الفيتو الشرقي " وذلك بأمل اقامة محلة اسامية  
 في الشرق الاوسط يناللقون منها لنزو آسيا )) (٢)  
 واذا كان اصحاب الطاقة الامبرياليون قد وشعوا املهم في اللاسامية لانجاز  
 الفكرة فقد كان على الزعامة الصهيونية ان تنهم لنز اللاسامية وتؤمن  
 بحسنه ، وكان هذا ما حصل فعلا فقد تم تكوين عتل الزعامة اليهودية  
 التي ستقود القطار الصهيوني في مدرسة اللاساميين وبالذات ، في مدرسة  
 دريمون \* مؤلف كتاب (( فرنسا اليهودية )) فقد اكتشف برتزل بوشي من  
 دريمون بان اللاسامية هي كلمة السر في توحيد اليهود . وقد توانف  
 ذلك مع مزاجه الخيالي وهو الذي كان في تلك الحداث من حياته يداني  
 من حالة من الاحباط بسبب شعور سيطر عليه انه ليس اكثر من " كاتب  
 قصص ومسرحيات فاشل " وقد سجل في مذكراته (( حزيران عام ١٨٦٥ )) ان  
 النشل يعود لدريمون في اخراجه من حالته النفسية (( تحرير تصورات من  
 القيود السابقة )) ، واكد انه لولا دريمون لما كان نهم مفعزى الدائرة

(١) - المصدر نفسه ص - ٦٥

(٢) - المشكلة اليهودية المصدر السابق ص ١٣

التاريخية الاسلامية وكتب : (( اجد لزاما علي التوجه بالشكر الى  
 دريمون لذلك المتدار الكبير من الحرية في تسوري الراعي للمسألة  
 اليهودية لان دريمون فنان )) (١) وعندما جاء لينع اخلاصه الجديدة موانع  
 التاييق (( سيف ١٨٩٥ )) ، كان على مقربة من احد الاسلاميين الفرنسيين  
 الكبار النائب الصحفي الفرنسي " الفونس دوداي " الذي كان يحرق في حينه  
 ( البارول ليدر " وهي لسان حال الاسلامية في فرنسا . )) ويخبرنا مرتزل  
 في بداية مذكراته اليومية التي باشر كتابتها فور ترحله الى الصهيونية  
 انه التقى يوما بدوداي فجرى بينهما الحديث عن اليهود فابخره دوداي  
 انه لاسامي في الحرف الواحد ودون تردد) عندها يبدو ان مرتزل قال له ان  
 ينوي تأليف كتاب يدور موضوعه حول اليهود . فسأله دوداي (( رواية ؟ ))  
 فأجاب مرتزل (( كلا كتاب رجال )) فلم يتحمس دوداي لذلك وقال له : ان  
 الرواية تصل الى آفاق اوسع ، فكر (( بكوخ السم توم )) وكان دوداي  
 يريد ان يوحى له باختيار حل للمسألة اليهودية على غرار الحل الذي اختاره  
 زنج الولايات المتحدة للتخلص من تضاماد الرجل الابيض وذلك بقبول  
 كثيرين منهم الهجرة الى " ليبيريا " وبناء دولة فيها تحت الحماية  
 الامريكية ، وهو مشهور رواية ( كوخ السم توم ) التي وضعتها الروائية  
 الاميركية (مارييت بيتشرستون) عام ١٨٥١ . وكانت جورج اليوت عندما درست  
 روايتها (( دايكيل ديرو ندا ) قد استوحيت الحل الليبري وكانت على علاقة  
 مع مؤلفة رواية (( كوخ السم توم )) (٢) . لكن عندما بدأ مرتزل يشرح  
 تفصيل ما ينوي كتابته (الدولة اليهودية ) ( مما اثار اهتمام دوداي  
 لدرجة انه قال : (كم هذا جميل ، كم هذا جميل ٥٠٠٠٠) لقد كان غلظ الزعيم  
 الصهيوني الاول ان يستنق الاسلامية قبل اعتناقه الصهيونية لانه لا يمكن  
 تنفيذ هذه بدون تلك . وهكذا فعل ، وكتب في مقدمة الكتاب (الدولة اليهودية)  
 الذي صدر في السام التالي ١٨٩٦ ان الاسلامية تشبه في قوتها قوة بخار  
 الماء التالي فاذا اتم استخدامهما فأنها تفعل المعجزات . . . . قال :  
 (( ان هذه القوة الاسلامية اذا ما استخدمت استخداما صحيحا ستكون  
 كافية لادارة محرك كبير يحمل مسافرين ويضائع مهما كان شكل هذا المحرك )) (٣)

(١) الصهيونية وحقوق الانسان المصدر السابق ص ٥٦ ، ٥٧

(٢) ش . ف عدد ١٥ المصدر السابق ص ٦٩

(٣) الشخصية الصهيونية المصدر السابق ص ٥٥

(٤) الفكرة الصهيونية المصدر السابق ص ١٠٢ .



لغة عن " المفهوم المادي للمسألة اليهودية "

سيكون من المناسب أن نختم هذه الدراسة ، التي بدأت بلغة  
عن كراس ماركس المبكر ، بإشارة موجزة أيضا الى كتاب ابراهيم  
ليون " المفهوم المادي للمسألة اليهودية " . لأنه هنا أيضا  
تم تحميل كتاب ليون بعض المعاني التي لاتتألف على الواقع . فقد  
نقلت دار النشر ( الدليقة ) بعض الفقرات من مقدمة  
المترجم ( عماد نويهض ) ووضعها على صفحة التلاف الأخيرة مسن  
الترجمة العربية لكتاب ليون ، وهي : " تأتي محاولة ابراهيم  
ليون هذه كتتمه لدراسة كارل ماركس الموجزة عن " المسألة اليهودية "  
وتنبع أهميتها من كونها أول محاولة علمية لتحليل دور اليهود  
الاجتماعي والاقتصادي عبر التاريخ . "

وهذا يتوافق تماما مع وصف الدكتور السليم لكتاب ليسون  
بأنه " الدراسة التاريخية الكلاسيكية للتاريخ اليهودي من زمن  
الاس التي وضعها ماركس نفسه " .

وحقيقة الأمر ان صفات كهذه لاتتألف لاعلى " المفهوم المادي  
للمسألة اليهودية ، ولا على ضوء لف المفهوم المادي ، اللهم  
الامن ناحية شكلية وجزئية وربما عائلية أيضا ، فالمرء لسف  
( ابراهيم ليون ) هو صهيوني وليس ماركسي ، فقد ولد في بيت  
صهيوني / ١٩٢٠ / . وهاجرت عائلته الى فلسطين سنة / ١٩٢٧ / ولتتها  
عادت فهاجرت مرة أخرى في السنة التالية الى بلجيكا بسبب من  
الازمة الاقتصادية في المستوطنة الصهيونية في فلسطين في ذلك  
الوقت .



وقد انتسب الممثل ليون منذ نموه ألقاره الى المنظمة الصهيونية هاشومير هاتسفير ( الحارس الفتى ) وهي أحد فروع منظمة " عمال صهيون " العالمية . وبسبب من حساسه ونشاطه ترقى الفتى ليون بسرعة لكي يصبح رئيسا للجنة الصهيونية في عزم بلجيكا وفي الفترة التي احتلت فيها الجيوش النازية الأراضي البلجيكية / ١٩٤٠ / ترك ابراهام ليون المنظمة الصهيونية وانتقل للعمل مع المنظمات اليسارية التروتسكية . وقد ألقى القبض عليه من قبل النازيين سنة ١٩٤٢ م أعدم في ١٩٤٤ وكان الأثر الوحيد الذي تركه هو كتاب " المفهوم " المأدى للسألة اليهودية " . وكان قد وضع كتابه الوحيد هذا عندما كان في الثانية والعشرين من عمره / ١٩٤٢ / .

لقد حاول ليون بالفضل ، وفي اللحظات الأخيرة من حياته ، ان يفكر بحل للسألة اليهودية خارج الصهيونية عند ان أتت أن الصهيونية لن تكون الحل المنشود . لكن قدره الشخصي كان بالمرصاد . فلم تسع له نسخة المسرقة التفسير ان يفكر بهدوء ، وأن يعيد النظر بجميع الأسس التي كانت محور احلام شبابه . ومن سوء كد ان ليون انسحب من الحركة الصهيونية لأسباب نبيلة ووجيبة . ففي الوقت الذي كانت تجري فيه مذابح اليهود كانت السلاقة قائمة بين ادارة بن غوريون في فلسطين وبين مخابرات النازيين في أوروبا (١) . ولا يمكن ان يكون ابراهام ليون ، وهو على رأس لجنة بلجيكا ، بعيدا عن الإللاخ على هذه السلاقة . ولقد عبر بالفضل عن غيبة أمسه في الصهيونية ، فكتب بأن الصهيونية قد تستأين خلق أغلبية في

(١) الأيدولوجيا الصهيونية - ج ٢ - السدر السابق ٥٢ و ٥٣ و ٥٤

فلسطين أو حتى تأسيس دولة ولكن تلك الدولة ستكون "مصلحية" وخاصة "بشكل تام" للإمبريالية الانكليزية أو الامريكية (١)، كما حصلت لديه "القناعة" ان طريق حل المسألة يسدود داخل إطار النظام الرأسمالي الذي كان يتصوره آنذاك على وشك السقوط والانهيار، فكتب: (( ان الوم الذي تحياه الصهيونية ينتج عن اعتقادها بان الصوبات الناجية عن انهيار الرأسمالية سوف تزول بقدرة ساحر بمجرد الانتقال الى فلسطين . غير ان الاسباب التي منعت اليهود من ايجاد مركز اقتصادي انما هي فترة الشتات سوف تنقف حائلا دون تحقيق ذلك (٢) .

وكان قد توصل الى قناعة مطلقة ان حل المسألة اليهودية مرتبط بانتصار الثورة الاشتراكية السالمية . وقد عبر عن ذلك بقوله : (( وتدعي الصهيونية ان بإمكانها حل المسألة اليهودية بمنزل عن الثورة السالمية . وهي تجهلها المصادر الحقيقية للمسألة اليهودية في عصرنا وتعلقها بأحلام صيانية وآمال حتماء ، انما تبرهن على أنها مثالية ايدولوجية وليسكت عقيدة علمية (٣) .

لكن ارتداد ليون عن الصهيونية ومحاولة التنكير على أسس جديدة لا يكتفي بحد ذاته لأن يجعل منه "كلا" لدراسة كارل ماركس أو مفكرا حسب الأسس التي ونسبها ماركس نفسه . فلا حداثة منه ولا الفترة القصيرة للخاية والمحفوظة بالخفاء التي حاول فيها ان يفكر خارج إطار المفاهيم الصهيونية ثم يلائم للامضات التي ألقها عليه كل من دار النشر وموء لفدراسيات

(١) السهموم السادي - ط ١ - ص ١٩٠

(٢) المصدر السابق - ص - ١٩٦

(٣) المصدر السابق - ص - ١٩٣

يسارية .

فالواقع أن ابراهيم ليون ورت عن الصهيونية الكثير من  
الأوهام والاشاطير والتقط بسبب جدانة سنه الكثير من التصورات  
الساخنة والسطورية . فتخيل أنها جوهرية . فقد ورت عن  
الصهيونية ~~والصهيونية~~ البوروشوفية الاعتقاد بأن البورجوازية  
اليهودية الصغيرة هي القوة الاجتماعية التي كانت خلف انشاء  
الصهيونية ، وذلك في محاولة منها للتفتيش عن وطن خاص بهما  
والاستمرار فيه . فقد قال : " ظهرت الصهيونية ، منذ البدء  
كردة عمل من البورجوازية الصغيرة " التي لاتزال تشكل نواة اليهودية  
التي تلتت ضربات قاسية بتصاعد موجة اللاسامية ، مما أجبرها  
على التنقل من بلد الى آخر ، والتي تحاول الآن الوصول  
الى ارض الميعاد ، حيث تستطيع أن تجد ملجأ من السواصف التي  
تجتاع العالم الحديث (١) .

وكان يظن ان المشكلة اليهودية او اللاسامية قد ولدت بشكل  
آلي نتيجة لانقياد النظام الاقطاعي وعدم قدرة النظام الرأسمالي  
الجديد على استيعاب اليهود الذين خسروا أماكن عملهم في مهنتهم  
التقليدية السابقة . وقد عبر عن ذلك بقوله : (( ان تهديم  
الاقطاعية هي في أساس المسألة اليهودية في أوروبا الشرقية ، فكلما  
كانت منطقة ما متخلفة ، تمكن اليهود بسهولة اكبر من المحافظة  
على مراكزهم التقليدية ، غير ان انحلال الرأسمالية السام  
يجعل حل المسألة اليهودية مستحيلا . وأدت البطالة والازمات  
المتتالية الى استحالة انتقال اليهود الى مهن أخرى

والى ازدهام صار في المهن التي يمارسونها ، وزادت باستمرار من عنف اللا سامية (١) . وكتب أيضا : " وظهرت اللا سامية في اوضح صورها فهي فيينا ، أحد أكبر مراكز الهجرة اليهودية قبل الحرب الامبريالية الأولى . فالبورجوازية الصغيرة التي انتشرت نتيجة لتطور رأسمالية الاحتكارات والتي أخذت تنحدر الى صفوف البرولتاريات ، تضايقت من وصول السمر اليهودي ، البورجوازي الصغير الحر في تقليدنا (٢) . وكان بسبب اعتماده على التفسير الاقتصادي وجده ، يسقط احيانا في تناقضات ملقطة للنظر فيصبح السبب ذاته ، بموجب مثل هذه النزعة الاتحادية الميكانيكية ، ينتج الذائمة وعكس الذائمة نفسها .

فتصبح الرأسمالية التي تستوعب اليهود في مكان في التسي تسود فتلفظهم في مكان آخر ، ويكتب مثلا : " فمن جهة ، ساعدت الرأسمالية على الاستيذاب الاقتصادي ، وبالتالي الاستيذاب الثقافي ومن جهة اخرى ، نان الرأسمالية ، باقتلاعها الجماهير اليهودية من مراكزها الاجتماعية التقليدية ، وحشر تلك الجماهير في المدن واثارة النعرات اللا سامية ، ساعدت على نمو القومية عند اليهود (٣) " . وكتب ايضا : " بينما كانت الرأسمالية تساعد على استيذاب اليهود في أوروبا الغربية ، كانت تقتلهم من مراكزهم الاقتصادية التقليدية في أوروبا الشرقية ، وفي تسببها تدفق اليهود نحو الشرق ، باليد اليسرى ، كانت تدمر ما صنعت به بيدها اليمنى (٤) " .

(١) المصدر السابق - ص ١٦٦

(٢) المصدر السابق - ص ١٢٠

(٣) المصدر السابق - ص ١٥٩

(٤) المصدر السابق - ص ١٥١

كما كان لدى ليون تصورات ساذجة حول الصراعات على  
المصالح الاقتصادية ، فقد كان يظن ان الصراع على الأسواق  
الداخلية يجرى بين البورجوازيات الصغيرة ، اما البورجوازيات  
الكبيرة فانها تتصارع على الأسواق الخارجية ، فقد قال : " وبينما  
تتصارع البورجوازية الكبيرة بمنف مع منافسيها على الأسواق الخارجية  
تتآكل البورجوازية الصغيرة بمنف لا يقل عن ذلك مع منافسيها  
على الأسواق الداخلية (١) " .

اما الفترة الاساسية في نظرة ليون للتاريخ اليهودي  
فكانت تتمثل في اعتقاده بخرافة تقول ان اليهود ، بسبب  
دمار دولتهم ونزوحهم عن فلسطين قبل ألفي سنة ، استمروا منذ  
ذلك الوقت يعيشون بين الأمم كغريق اجتماعي ، بمعنى أن الخلل  
الاساسي لعملهم الاقتصادي كان في التجارة والربا ، وحول  
هذا المحور الاساسي تدور المجموعة الحرة التي تقوم على  
خدمتهم ، خياطين ، نجارين ، كندرجية ... الخ .

ونزولا حتى المسؤولين الذين ينتظرون يوم السبت على باب  
الكنيسة ، اما صمودا فيقف في رأس السلم الحاخامون الذين  
يقومون بحراسة الدين والتقاليد . هذا الجسم الاجتماعي الرومي  
الملق عليه ليون اسم " الشعب - البهية " . وهو تصور كان  
قد نقله عن النورخ اليهودي (سيمون دوينوف) . ومن الواضح انه  
كان لنشأة ليون الصهيونية الأثر الحاسم في التشبع بمنشأ  
هذا التصور الوهمي ، إذ ان كل صهيوني ، وخاصة الصهيوني  
الذليل الشعب بليون ، لابد ان يتجرع الاعتقاد شيئا فشيئا  
ان يهود العالم أمة واحدة أو شعب واحد ، يريد لهم عيشهم

المشترك وثقافتهم الروحية المشتركة ولا ينقسمهم الا الارض والمال . لكي يتحولوا الى امة عادية مثل بقية الامم ، وهذا هو بالضبط ما يمكن ان يوحى به الاعتقاد بفكرة " الشعب - البتة " . وقد عبر ليون عن فكرته المحورية هذه بكتبة : " اليهود يشكلون في التاريخ ، قبل أى شيء آخر ، مجموعة اجتماعية لها دور اقتصادى محدد : انهم طبقة أو على الاصح شعب - بتة ان مفهوم البتة لا يتعارض البتة مع مفهوم الشعب ، علاوة على اليهود حافظوا على كيانهم ضمن طبقة اجتماعية ، ندد مانوا اينما بعضا من خصائصهم الدينية والعرقية واللغوية (١) " . وقد كان ليون ان هذه الصورة هي بديل " مادي " للتصورات الدينية والمثالية التي يرددها الصهيونيون عن سبب بقائهم وحفظهم من التلف عبر الصور ، مثل " الشرور الاخلاقي ، السفوق " أو " الال في الرجوع الى وطنهم الاصلي " أو " انتظار المسيح \* الموعود الذي سيثودهم الى ارض السباسباد (٢) " .

سأكتفي الآن بهذه الملاحظات الأولية عن بعض آراء ليون غير الماركسية ، لان نقد ليون ليس هدفا بحد ذاته . فالهدف له منزى آخر ، وهو يتعلق ببعض الاشارات الى التطبيق الايديولوجي الراهن في الوطن العربي وبالذات في الجانب الذي يخص الصراع العربي الاسرائيلي .

\* يقول بن غوريون : " ان ما ضمن بقاء الشعب اليهودى عبر الاجيال ، وأدى الى خلق الدولة ، هو روميا المسيح المنتظر لدى انبياء اسرائيل ... ودولة اسرائيل هي أداة لتعيش هذه الرواية عن المسيح المنتظر " .  
( انظر - الدولة والدين ص ١١٦ )

(١) المصدر السابق - ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق - ص ١٨٣ - ١٨٤ .

في الدابة الاراب التي مدرت بالسريرة لكتاب ليون (١٩٦١) لا يلاحظ  
القارئ غير التخصص أية علائم غير عادية . فابراهيم ليون عموما  
متعم لدراسة كارل ماركس " حسب منطوق المترجم ودار النشر . ويستقرأ  
القارئ الساذي ايضا تبريرا رومانتيكيا للصهيونية ليون يستند الى  
كذبة تاريخية لا يلاحظها من يجهل تاريخ يهود بولونيا ، والكذبة تقول  
" لم يكن بوسع يهود بولونيا وهم نحاي المذابح في عهد القيصرية  
وفي ظل الثورة ، وفي عهد البيض والروس والبولونيين والاوكرانيين  
والليتوانيين ، الا ان يبحثوا عن حل يائس وهو في تخيل موعوم عن  
قومية جديدة ، الصهيونية " . وهذه الكذبة يصرها المؤرخون المختصون  
وفي مقدمتهم اسحق دويتشر المناهض اليهودي الذي كان موجودا كقائد  
المليخي على الساحة البولونية ، حيث كان يهود بولونيا ضد الصهيونية (١) ،  
وكانوا يفسون اسلمهم في انتصار الثورة الاشتراكية ، في نفس الوقت الذي  
كانت تفتش فيه عائلة ليون الصهيونية وتمهاجر (١٩٢٢) في سبيل حل  
صهيوني خارج النضال الذي كان يندمج مع مساره الملايين ومن بينهم  
يهود بولونيا .

والذي كان يتبدع مثل هذه الاكاذيب عن تاريخ يهود بولونيا ، هو  
شخص اسمه " ا . جرمن " وهو يقدم ابراهيم ليون الى القراء الصرب .  
اذن ويتابع المدعو " جرمن " صاحب المقدمة ، فيقول : " في منزل ليون  
الابوي ، مثل والديه الصهيونية البورجوازية الصغيرة التلاشيكية ، ومع  
اول اعتدائه بالحقيقة ، اعس الصبي بنفسه جاذبية الوهم الصهيوني  
وكانها نمل ديني " . لذلك ~~نكاه~~ يجب جرمن ان يوحى ، فان انتساب  
الفتى ليون الى منظمة " ماشومير هاتسمير " التي تشمل على تجميع  
اليهود في بلجيكا من اجل استيطان فلسطين ، انما هو وضع انساني  
ويغفره تقريبا واقع نمالي . ويتابع السيد " جرمن " فيقول :

" كيف لا يحس قلبه الرقيق بانقسام العالم بين أغنياء ونفقراء  
 كيف لا يلف الى جانب المضطهدين ، وهو الذى يدرك بأنه تحيية  
 عصف مزدوج ؟ هكذا أصبح ليون الشاب مناعلا وقادا في صفوف  
 الشيعة الاشتراكية اليهودية (١) . وبعد ان ينتقل ليون  
 الى التروتسكية ، ينتقل معه " أ . جرمين " فيقده باعتباره  
 مكتشف " المفتاح " الضروري لفهم الدور الماضي والحاضر  
 لليهود " بواسطة " نظرية الشعب - الدبقة ، المدعومة فكريا  
 بساتها (٢) . لكن القارئ المتخصص والمدقق سوف يلاحظ انه  
 من الصعب تحديد عمر ابراهيم ليون حيث يبتى تاريخ ميلاد ،  
 ووفاته مجهولا . كما ان صاحب المقدمة " أ . جرمين " هو الاثر  
 يبتى مجهولا . والأهم من ذلك انه لا يشار الى النسبة الاسمية بالنسبة  
 الأجنبية التي تمت الترجمة استنادا اليها .  
 وكان على القارئ المتخصص ، ان ينتلـس أربع سنوات أخرى  
 حتى تصدر الدبقة الثانية من كتاب المفهوم المادى / ١٩٢٣ / لكسي  
 يتمكن من حل بعض الالغاز .  
 في الدبقة الثانية يستبدل اسم " أ . جرمين " في المقدمة  
 ذاتها باسم " أرنت مانديل " . مع بعض التوسع في ذكر وتاريخ  
 أخرى عن حياة ليون بحيث يمكن الاستنتاج انه ولد في ١٩٢٠ ، وانسب  
 الى السنامة الصهيونية وعمره عشر سنوات أو أقل وأصبح رئيسا  
 للجنة بلديكا الصهيونية في ١٩٣٦ . ثم ترك الصهيونية في ١٩٤٠  
 ووقع كتابه الوحيد " المفهوم المادى " في ١٩٤٢ وبعدما اعتقل  
 وأعدم من قبل النازيين في ١٩٤٤ . ويضم القارئ المتخصص  
 الدبقة الأولى كانت قد ترجمت عن الفرنسية ، وأيضا دون ذكر حقيقة

(١) المفهوم المادى - د . أ - ص ١١ و ١٢

(٢) المفهوم المادى - د . أ - ص ١٧



ان كتاب ليون كان قد نشر لأول مرة باللغة الانكليزية في السكسك سنة ١٩٥٢ .

والهم ان مكسيم رودنسون كان هو الذي قدم كتاب ابراهام ليون في اللغة الفرنسية (١) الى التراء الفرنسيين . وكانت دار النشر العربية ( الطليعة ) قد استقلت مقدمة رودنسون من الطبعة العربية الاولى ١٩٦٩ دون الاشارة اليها من قريب او بعيد اما في الطبعة الثانية ١٩٧٣ فتوضع مقدمة رودنسون في نهاية الكتاب تحت عنوان " تعقيب " ويوضع بعدها مباشرة مقال آخر بقلم " نانان وينشتوك " بعنوان " رد على رودنسون " ومن متبال وينشتوك يمكن ان يستنتج القارى ان ما هو تعقيب " كان في الاصل " مقدمة " للطبعة الفرنسية .

لماذا قامت دار النشر ، الطليعة ، باصدار مقدمة رودنسون عن الساحة ؟ الجواب قد يكون متعمدا في مقدمة رودنسون ذاتها . ان قراءة مدققة لمقدمة رودنسون ستؤدي الى الانطباع وكان رودنسون قد وجد في اعادة نشر " المفهوم المادى للمسالمة اليهودية " باللغة الفرنسية مناسبة لاعادة التراء في التاريخ اليهودى بالاسلوب الماركسسي بعد ان عبأ الصهاينة بـ "بؤرنة" التنافسي بالخرافات والاهام عن التاريخ اليهودى .

ومنذ البداية يقول رودنسون " انني لأحب كثيرا تبشير "مادى" الذى لم يحاول ماركس ملثقا ان يستعمله في تحديد موته في مجال التحليل الاجتماعى - التاريخى الذى هو عرضة لأكثر من معنى وكنت أفضل استخدام تبشير " ماركسسي " (٢) .

(١) المفهوم المادى - طبعة ثانية - دار الطليعة - بيروت

١٩٧٣ - ١٢٥ ص

(٢) المفهوم المادى - ط ٢ - ص ١٣٧

ومنذ البداية ايضا يثني رودنسون على ليون لانه يحاول ان يجد تفسيراً للمسألة اليهودية عن طريق " سلوك " طريق في التفكير بالتفسيمة اليهودية وبناءا وسيرورتها تختلف عن طريق الذين تتخذى انكارهم بالاساطيسر الثوبية السالية (١) .

كما انني رودنسون على ليون لانه حاول ايضا تفسير بتفسيمة اليهودية " بالتاريخ وليس خارج التاريخ " . وهذا بصرف النار عن آراء ليون واستنتاجاته السالية .

يقول رودنسون : « ربما يتكون ليون قد أخلأ في تعريفاته الخاصة ولكنه كان على حق في التمايز الاساسية الرئيسية ... ان تفسيمة اليهودية يتم بالتاريخ وليس من خارج التاريخ ، ولاحق لها بسا ي امتياز علمي أو أدبي ولم يكن هناك اية ضرورة الهية او استعرا عتلا نية لاستمرار وبناء الدين أو الشعب اليهودي كدين أو كشعب (٢) » . ان تعريف اليهود بأنهم يشكلون شعبا واحدا أو أمة واحدة أو يتحدرون من عرق واحد ، هو في نأر رودنسون تعريف بالال ولا سند له نقد " نشيت صفات السرق والشعب والأمة بكل ما في هذه الكلمات من معنى في اثناء فترة الف سنة (٣) " ويدين رودنسون السوء رخ سيدسون دوينوف بنظريته عن أمة يهودية ، التي تقول : ان اليهود خلال مرحلة التشرذ والتشتت كانوا أمة متميزة وليس جماعة دينيية تميزت وساء غيرنا من الامم " . فيوء كد رودنسون ان دوينوف يستند في نأج السالية بنظريته عن الأمة اليهودية " لانه يستند بويوسود جيم اساسوري (٤) " أو خرائي يسيش بين الامم الاخرى بالروح وليس بأسباب واقعية ملموسة .

- (١) المنهزم المادى - ط ٢٠ - ص ١٣٨
- (٢) المنهزم المادى - ط ٢٠ - ص ١٧١
- (٣) المنهزم المادى - ط ٢ - ص ١٣٨
- (٤) المنهزم المادى - ط ٢ - ص ١٣٩ - ١٤٠

فيقول رودنسن " ان تعبير ماركس الذي يقول فيه بان اليهودية قد حازت على ثباتها بالتاريخ لا بالرغم من التاريخ ، ليست مقولة صوفية او فلسفية غير معروفة المصدر ، بل هي بكل بساطة ضرورة منهجية يفرضها اى تاريخ علمي ... وينبغي تفسير التاريخ اليهودى بالعوامل التاريخية العادية " (١) . فالقائع الاقتصادية هي من " العوامل التاريخية " الاساسية ، ولكن لمتادها وحدها يشوه التاريخ اكثر مما يفسره . ولهذا فان رودنسون ينتقد اعماد ليون على عنصر وحيد في تفسير التاريخ اليهودى وهو عنصر الاعتماد فيقول : " ان دراسة المركبات الاجتماعية - التاريخية التي انرت في التاريخ اليهودى لا تبين بالضرورة صحة الرأى الذى يقول بأن العوامل الاقتصادية هي وحدها العوامل المؤثرة ، وهذا ما كان ليون يميل الى الاعتقاد به في بعض الاحيان ، وما قد يوحي به تعبير " مادی " (٢) .

وينتقد رودنسون التفسير الذى يستمد له ليون كسبب لتقاسم اليهودية واستمرارها أى تأثيرية الشعب - الدليقة " ، التي تدني ، في نظر ليون ، ان اليهود كانوا يعيشون في كل مكان وعلى الدوام أشبه ما يكونون بنزعة اجتماعية - اقتصادية خاصة بين الشعوب الاخرى ، متميزون بطريقة معيشتهم ودينهم . فيؤكد رودنسون أن مثل هذا التفسير لا ينطبق الا جزئيا على بعض التجمعات اليهودية في اماكن خاصة في اوروبا وثقلا في المرحلة التي تلت الحروب الصليبية .

---

(١) - المفهوم المادی ط٢ - ص ١٤٢

(٢) - المصدر السابق ص - ١٤٣

وبالتالي فإن تفسير ليون يتعارض مع ذلك المبدأ السابقة في أوروبا  
ويتعارض كذلك مع تاريخ اليهود في الامبراطوريات الرومانية ، والمربية  
الاسلامية ، والعثمانية . يقول رودنسون ، " وهذا التفسير ( الشعب -  
البلقة ) كان له بعض القيمة أثناء الفترة التي تلت الحملات الصليبية  
في العالم المسيحي بوجه خاص ، وذلك ضمن بعض الحدود . . . ولكن ليون  
لا يرى كيف انه بفترة واحدة قد اجتاز مائة الف عام على الأقل حيث  
لا يلبس هذا السامل اى دور كان " (١) . فاليهود ، خارج ذلك النطاق  
الحدود في بعض مناطق شرق أوروبا بعد الحروب الصليبية ، ولم يتنصر  
اسلوب معيشتهم الأولى على التجارة او تجارة المال - الريا ، بل  
كانوا يعيشون في البلاد العربية والاسلامية وفي أوروبا المسيحية قبل  
الحروب الصليبية وفي روما القديمة ، بالسمل في جميع المهن الاخرى .  
ولم يكن هناك ما يميز عن المواطنين الاخرين في جميع هذه الاحزاب  
وهذه البلدان غير اسلوب عبادتهم الخاصة بالانافة الى المسائل التي  
تتعلق بادارة شؤونهم الشخصية داخل لوائحهم . يقول رودنسون ، " وقد  
ضل ليون طريقه حول هذه النقطة عندما تأثر بالسؤرخين الذين استعانوا  
حينذاك بوثائق ومعلومات غير واثية ، ووتسوا تحت تأثير الاتجاه الذى  
يقوم على تطبيق ظروف العصر الحاضر على ذلك العصر القديم " (٢) .  
وينيف ، " وفي أوروبا الغربية ، قبل القرن الحادى عشر ، لم يرح  
" بلومكرانز " وجهة نظر جيدة ونوعا ما عميقة بين فيها كيف أن  
اليهود كانوا يعيشون بلا تفرقة مع سائر السكان الاوروبيين ويمارسون  
تقريبا نفس المهن التي كان هؤلاء يتعاملونها . وكذلك الحال في العالم

(١) - المصدر السابق - ص ١٤٤

(٢) - - - نفسه - ص ١٤٥

الاسلامي . فقد برهنت جهود " جواتين " المبروفة ان اليهود لم يكن  
هناك ما يميزهم عن السكان المسيحيين والمسلمين الا في نطاق  
الدين والملاحق الثقافية المرتبطة به مباشرة " (١) .  
فلا توجد اى اسرار او معجزات او مهمات الهية او قدرية خاصة  
وراء بقاء واستمرار الكثير من التجمعات العرقية او الطائفية ضمن  
مجتمعات اكبر . وما ينطبق على اليهود ينطبق على الكثير من  
الطوائف الاخرى في العالم وفي البلاد العربية ايضا . فالقبط ،  
والموارنة ، والدروز ... الخ ، هي طوائف موجودة منذ مئات  
السنين . والمسألة هنا ، اى من وجهة نظر ماركسية ، في غاية  
البساطة : فلان ان هذه الطوائف ، بسبب من عبادتها او اسلوب  
علاقاتها الداخلية الخاصة ، لا تسبب ضررا للجسم الاجتماعي الاكبر ،  
فان هذه الطوائف تبقى وتستمر مثلما بقي العالم بأسره واستمر .  
وقد رد رودنسون على تلك الاراء الكاذبة التي يروجها الصهيونيون  
خاصة حول كراهية العالم بأسره لليهود . فقال : لو ان ذلك صحيحا  
لكانت اليهودية قد اندثرت لامتالة . فقال : انه في جميع  
المجتمعات التي كانت تسبح بتعدد المعتقدات والايديولوجيات  
الدينية المختلفة " كان اليهود ينتظمون ويديرون انفسهم كيهود ،  
ويقدمون انفسهم للمجتمع كجساعة تسيث مع سواها من الجماعات  
الاخرى ، وكانوا يميلون الى البقاء كيهود ما دام ليس هناك سلطة  
قوية ترغمهم على التخلي عن هذا الميل . وكان حجم التجمعات  
يتنحصر من خلال علاقته بجميع انواع العوامل . ولم يحدث مطلعا أن

جرت مسابقة شديدة ودائم في جميع البلدان في آن واحد حيث يوجد يهود " أى في جميع أنحاء العالم " بقصد اقتلاع جذور هذه التجمعات التي كانت تحتويها من أساسها ، وهذا ليس بالأمر الذي يثير الدهشة ، بحكم تنوع وتعدد بنى الدول المستقلة التي عاشت في كنفها التجمعات اليهودية ، وبحكم إمكاناتها الضئيلة جدا قياسا بما نشهده الآن . وان تدخل الحكومات الارهابي غير كاف لتفسير وجود هذه التجمعات المتقطع وغير الدائم . وهكذا تتبدد " معجزة البقاء اليهودي الذي استطاع ان يحافظ على نفسه ويثير إعجاب رجال الدين المسيحيين والقوميين اليهود " (١) .

ويمجد رودنسون مرة أخرى التأكيد على هذه الحقائق التاريخية البسيطة التي تنسف جميع التفاسير والاتصاف الخرافية والمثالية التي يروجها الصهيونيون ومعهم أولئك الذين يقرأون التاريخ بطريقة غير تاريخية ، ويضيف : " مرة أخرى .. ان استمرار الهوية اليهودية في الغرب اللاتيني قبل الحروب العالمية ، وفي الممالك الاسلامي الى يومنا هذا سببه فقط هي صفة التنوع التي كانت تليق هذه المجتمعات ، وبمس العوامل الوطنية لديها ، وعدم اقصاء الدولة على فرض ايدولوجيتها المسيطرة على جميع رعاياها وامتناعها عن تدمير وازالة سائر الايدولوجيات . وضمن اطار هذه الظروف كان من الطبيعي ان ينتصر ميل التجمعات الى المحافظة على وجودها ، وان تعمل هذه التجمعات من اجل حماية مصالح أفرادها وأمانهم " (٢) .

(١) - المصدر السابق - ص ١٤٦

(٢) - - - - - ص ١٥٨

وبخصوص ولادة المشكلة اليهودية من الاسلامية الحديثة رئيس رودنسون تأكيدات ليون "الضائعة" حول الصراعات المبلقية ، بحيث ظهرت الاسلامية وكأنها تولد بشكل طبيعي في اطار عملية الانتقال من النظام الاقطاعي الى الرأسمالي وبالنسبة لرودنسون ليس الامر بمثل هذه البساطة ولا بمثل هذه الميكانيكية . لانه يجب ان يحسب حساب "توجيه الاحقاد" الشعبية ضد اليهود من قبل من ينبغي الامر . كما يجب ان يحسب حساب الوسائل الايديولوجية القابلة للاستخدام على ساحة العمل في مثل هذه الظروف . لذلك قال رودنسون : ، ان التقدم الذي احرزه الاعتماد الرأسمالي في اوروبا الغربية " عند جمل اليهود اقل فائدة عما قبل " وهذا صار " من الممكن توجيه الاحقاد الشعبية المنيقة - التي اثارته نتائج التقدم الرأسمالي الاولى - نحو هذه الاقلية التي كانت تبدو وكأنها الرمز الممسد للتقدم الرأسمالي . . ويساعد على ذلك التراث الايديولوجي المسيحي الذي يحفل بأسلحة حادة متعددة " (١) . واكد رودنسون على ان اليهودية كانت ، في النظام الرأسمالي الجديد ، في سبيلها الى الذوبان والاندماج . وان الذي اعاد اليها الحياة من جديد هما عاملان ، الاسلامية والصهيونية التي ولدت من الاسلامية . فقال : " ان الذي حافظ على استمرار اليهودية هي الاسلامية والصهيونية السياسية المماصرة التي نجمت عنها " (٢) . وانتقد رودنسون الاتجاه الذي سلكه ليون بحيث ظهرت الاسلامية وكأنها كل شيء بينما ابعد السامل الثاني ، الصهيونية ، التي تدخلت قيادتها في استقلال

---

(١) - المصدر السابق - ص ١٦٣

(٢) - = نفسه - ص ١٦٦

الاسامية وفي تسميرها واستثمار نتائجها ، فقال أن ليون "للاسف قلل من قيمة قوة شعور البحث عن هوية ما الذي دفع بكثير من اليهود الى سلوك قومي لا مجد ومخرب" (١) . ورودنسون يقصد بالدفع علاقات التحالف السرى بهدف اقتسام التماسك بين القيادة الصهيونية تحت امرة مرتزل مع ادارة البوليس القيصرى الروسى والتحالف السرى بين قيادة بن غوريون والادارة النازية لنفس الاهداف . وكان رودنسون احد المؤخرين الذين ارخوا لهذه الوقائيع ووثقوا (٢) . كما لاحظ رودنسون ان قيام دولة اسرائيل وزجها في المجابهة الدائمة بحيث ادت هذه الحالة الجديدة الى نفس النتائج الاسامية السابقة . فكتب : " ان قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ دفع باليهود لغير كل مكان الى الاحساس بالتضامن مما قوى أو اعاد اليها ( اليهودية ) خصوصية كانت قد اخذت بالانهايار والتداعسي لاقتنارها الى الاساس الثقافى والاجتماعى - وحتى الدينى " (٣) . وبما انهم كانوا قد وضعوا كل آمالهم منذ ولادة حركتهم بالاسامية ، لذلك كان عليهم هنا ان ينفذوا خلق هذه الحالة لكي يتثنى لهم البقاء في حالة من الحيوية والنشاط . وهكذا ، وبسبب انتهاكاتهم غير المسقولة لحقوق العرب ساعدوا على تأجيج الاسامية لدى العرب الساميين انفسهم . فكتب رودنسون انه " في البلدان العربية ... كانت الاسامية عمليا غير معروفة ومجهولة في السابق . وقد ساعد الصهاينة بصورة فعالة على انتشار هذه الموجة بدعايتهم المستمرة التي كانت تسمى الى قناع الجميع بان الصهيونية والديانة اليهودية - اى الجانب الوطنى فيها - تتماثل فيما بينها " (٤) .

(١) المصدر السابق - ص ١٦٦

(٢) اسرائيل واقع استعمارى - المصدر السابق - ص ٣١ - ٣٢

(٣) المفهوم المادى - ط ١ - المصدر السابق - ص ١٦٦

(٤) = = = = = - ص ١٦٧



ونفسى رودنسون ان تكون الصهيونية قد اعتمدت على  
قوة الصهيونية والتي يهودية . فالصهيونية عملت كأداة معتمدة  
مرة على هذا الجانب ومرة على ذاك ، قال " وقد حققت  
الصهيونية مدنها الرئيسي - الذى هو اقامة دولة  
يهودية في فلسطين - مستخدمة ومستفيدة من الظروف التي  
خلقتها القوى الامبريالية الأوروبية - الأمريكية في  
شئ المراحل . فاعتمدت مباشرة تارة على هذه القوى  
والأورا على تلك (١) " . والذين يدعمونهم ويوفرون لهم  
أسباب البقاء والاستمرار ليفعلون ذلك لأسباب اخلاقية  
أو انسانية ، انهم بالاحرى يحصلون على مردود استثماراتهم  
المستكرية . يقول رودنسون : " ووفر نجاح الصهيونية في  
فلسطين الفرصة للقوى الامبريالية كي تستعمل ألف أسلوب  
لكسب الأرباح الطائلة من الشرق الأوسط سواء كان  
ذلك عن طريق الدعم والتأييد أو عن طريق بيع  
الأسلحة (٢) " .

اما اذا كان بعض الناس ، أو حتى كثير من الناس ، قد  
بهرتهم أضواء الانتصارات الاسرائيلية فان رودنسون لديه  
رأى آخر . فبالما ان اسرائيل أداة تستغلها القوى الدولية  
في سبيل مكاسبها الخاصة ، لذلك فقد تكون عارا على  
اليهود وليست دليلا على تقدمهم وانتصارهم . فيكتب " ان  
وضع اليهود الراهن الذى يوحي ظاهريا بانهم المنتصرون

(١) المفهوم المادى - ط ٢ - المصدر السابق - ص ١٦٦

(٢) المصدر السابق - ص ١٦٧

في اسرائيل وأنهم قد بلنوا ذرورة الشهرة في السالم الرأسمالي .. هذا الوضع هو أكثر مأساوية في مثل هذا المجرم مما كانت عليه الحال عندما كان اليهود يعيشون - في معظم الأحيان - في جو ينفخه الذل والسهانة (١) .

ولم تكتف دار النشر ، الدليقة ، بإبادة متمدنة رودنسون ووضعها في موء خرة الكتاب تحت اسم " تمقيب " في الدبقة الثانية ، بل أتت بالانافة لذلك بشخص فوضوي من اليسار الجديد ( تروتسكي ) هو واينشتوك وجملته يرد على رودنسون . ولم يقل السيد واينشتوك شيئا ذا بال . كل ما هناك أنه موء من بما آمن به ابراهام ليون وأحزنه جدا نقدرودنسون فهو يستقد ان مفهوم " الشعب - الدبقة " الذي اتى به ليون يكشف عن " سر استمرار اليهود في تاريخهم " واينا ان الوظيفة الخاصة التي قام بها اليهود عبر تاريخهم هي التي تقدم الستاح لبقائهم كفريق اجتماعي (٢) . لذلك فهو يبدى غيظه لان رودنسون قد صاغ " تحفظات مهمة التي درجة أنها تضع موضع الاتهام : صفة مفهوم الشعب - الدبقة كمبدأ مفسر للتاريخ اليهودي (٣) " واكتفي بهذه الاشارة الى نقد واينشتوك لانه كما يظهر ونوع للتشويش على آراء رودنسون وهو أقل بكثير من مستوى التصدى لنقد رودنسون .

والسوء ال من جديد هو : لماذا أراحت دار النشر ، الدليقة ، من الواجهة رودنسون ، الماركسي البارز ، واليهودي اليسار ز والمفكر الفرنسي الرائع ، العادل والانساني ، ووضعته

(١) المصدر السابق - ص ١٦٦

(٢) المصدر السابق - ص ١٧٣

(٣) المصدر السابق - ص ١٤٧

في الواجهة بدلا منه فتى صهيوني وغير ماركسي ولا يستحسن كلمة اداراء ، الا لانه اكتشف في آخر لحالة من حياته الصغيرة ان الصهيونية حركة رهيبة وتعمل أداة للتوى التبرى وليست حلا للمسألة اليهودية ؟ .

والجواب هذه المرة موجود ليس في كتاب وانما في واقع الصراع العربي الاسرائيلي في زمن صدور " المفهوم المادى " باللثة العربية ١٩٦٩ ، ففي ١٩٦٩ كان يدور جدل بالدم والحديد والنار على جبهة السويس بين الجيش المصري والجيش الاسرائيلي وفي هذا الجدل المادى تأكد عبد الناصر ان اسرائيل والخرقة الصهيونية لاتعملان كقوة اجتماعية مستقلة وانما كتمسار وحسب لقوى دولية عظمى هائلة القوة . وفي حديث له في ١٢/٤/١٩٧٠ ، قال : " ان المخطط الذى نواجهه اوسع من مقدرة اثنين ونصف مليون اسرائيلي ، بل انه اوسع من حركة الصهيونية العالمية ودعواها ومواردها ... ان هذا المخطط كما يتضح لنا من اتساع مداه ، يحالى بتأيد نظام السيلرة العالمية " (١) . وبناء على هذا الاستنتاج وجه عبد الناصر في الاول من ايار ( ١٩٧٠ ) نداء يتضمن الانذار الى الادارة الامريكية لكي تخرج من خلف الواجهة الاسرائيلية وتقف على الحيزاد فقال : " ان الولايات المتحدة الامريكية بخطر اخرى على طريق تأكيد التفوق المسكرى لصالح اسرائيل سوف تخرض على الامة العربية موقفا لارجمة فيه ، موقفا يتعين علينا ان نستنتج منه ماضو ضرورى " ثم ندد الادارة الامريكية بالامنة العربية النوحدة على مستوى " القاعدة وعلى مستوى البمامير " والتي سوف تجعلها المسركة " " أكثر صلا بـ " (٢)

(١) الامرام - ١٩٧٠/٤/١٣

(٢) الامرام - ١٩٧٠/٥/٢



نصير بفتارة من كتاب "دراسات يسارية" حول القضية الفلسطينية  
 "بإمكاننا ان ننادي الى الصهيونية على انها الحركة القومية  
 للبورجوازية اليهودية ( البورجوازية المتوسلة والسائرة على وجه  
 التعميد ) في اوربا ، وبما ان الصهيونية تنتمي الى الفئة التأخرة  
 من الحركات القومية البورجوازية نجدها متأثرة الى اشد الحدود  
 بالحركات القومية الأوروبية الكبرى كما في البلقان وايطاليا والسابقا ،  
 وتحمل تارة السمات الرئيسية لهذه الحركات (١) . انها كذلك ردة فعل  
 قوية ضد البورجوازيات الأوروبية السحلية ( المسيحية ) التي دخلت معها  
 في مراع اعتمادى مزيج ودام . في ظل نظام التناقص المزيج . أخذ ينفذ  
 الصراع مظهر حركة السداء للسامية بين الأوروبيين من غير اليهود  
 مما دفع البورجوازية اليهودية نحو البحث عن سون ولتية خاصة بينها  
 لا يواحمها عليها احد ، ومن هنا بدأ الكلام الجاد عن "الامة اليهودية"  
 في اوساط الامة اليهودية الوسطى وارصاد السحريين عن مصالحها  
 وتلكساتها " . وكما ان البورجوازيات الأوروبية السحلية نسبت عاصم  
 الى توحيد الارز الوائنية وتوسيعها تحت لواء الدعوة القومية كذلك  
 نجحت البورجوازية اليهودية بايجاد ارض لنفسها وقامت بتوسيعها  
 باستمرار تحت لواء الدعوة القومية اليهودية وباسم الدفاع عن "الوطن  
 القدس" و "توحيد ارض الاباء والابداد" .  
 "وبما انه لم يكن بالامكان توفير مثل هذه السون الوائنية اليهودية  
 في اوربا اتجهت الانظار الى الشرق (يوناندة ، الارمنيين ، فلسطين)  
 وكان ذلك امرا طبيعييا اذ ان الحركة القومية اليهودية وصلت الى  
 مرحلة نهجها في ذروة عصر الاسبريالية والتوسع الاستعماري الاوربي في  
 اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية " .



• وثما كان من أهداف الحركات القومية البورجوازية في أوروبا  
التشأ على التبشر الذي تركه الاقتلاع وخلفته السور الوسطى  
كذلك كان هدف الحركة الصهيونية التشأ على التبشر اليهودى الذى  
اعتبرته الطبقة الجديدة من مخلفات عصور الاقتلاع والترون الوسطى  
المائلة • ومن هنا جاءت دعوة كالبشر الى لم شمل اليهود البشترين  
وجمعهم في وحدة متساكة في الارض المقدسة • (١) .

• نلاحظ هنا ان وضع البورجوازية اليهودية في أوروبا  
كان يشبه الى حد ما ، وضع البورجوايات الوانية في البلاد  
الستعمرة ( بفتح الميم ) من حيث ارتباط الاخرة بالنظام  
الراسالى للدولة الأوروبية السبارة ارتباطا عضويا وأساسيا  
ومن حيث تترك البورجوازيات الوانية على البورجوازية الانبئية  
السيدة ، وسحاولاتها تحقيق نوع من الاستقلال لنفسها ولسوتها  
الوانية • كانت البورجوازية ( الوسطى والصغيرة على  
وجه التحديد ) في وضع المستضعف والمضطهد من قبل البورجوازيات  
الأوروبية الحلة ( المسيحية ) القوية والسبارة على  
الدولة القوية ومياتها • وبسبب هذا الهدف النسبي والتبئية  
لم يكن باستطاعة البورجوازية اليهودية أخذ الدارين الاستعمارية  
لتحقيق سوتها الوانبئية اليهودية الا بالاعتماد على الدول  
الراسالية الاستعمارية الكبرى وبمساعدها وتحت اشرافها وبالتخالف  
مع مصالحها الحيوبئية • • • • • وكان التحالف بالنسبة للهيبرنية  
عن دارين الخروج من أوروبا • • • • • اما الدول الأوروبية السنية  
فتد وجدت في هذا المخرج فائدة داخلية هي امكانية التخلص من  
خائفة البورجوازية اليهودية ، وفائدة خارجية هي وجود  
دولة حلينة تابعة في منطقة حيوية • • • • • وهذا وضع يشبه

الى عدم وضع اليهود وازية الولدية الضعيفة في البلاد المستعمرة  
( بنج السيم ) من حيث علاقتها بالدول المستعمرة ( بكسر الميم )  
وبالسوق الرأسمالية العالمية . ولنذكر بهذا المبدأ انه يتأصل  
وعد بلنور الانكليزي يوجد ثمة شيء اسمه وعد ماساعون (الانكليزي  
ايضا ) للشريف حسين ولقادة الحركة الولدية العربية في  
تورتهم ضد الحكم العثماني (١)

" الدعوة الصهيونية بأفكارنا وبرامجها ، أقرب بكثير  
الى الحركات القومية الألمانية المحتوية في البلتان وألمانيا  
منها الى الثورة والتلمود . وندير بالذكر هنا ان كل حركة  
من هذه الحركات كان لها " أرضها الموعودة " و " وطنها  
الأم " و " ترابها الوطني المقدس " . وكانت تلمح الى  
" تحرير أرضها " وتوحيد وتشيد دولتها القوية عليها " .  
" وكانت كافة الحركات القومية تقول بيهود رابلسة  
" صونية - رومانية " تربط هذا الشعب بهذه الأرض بالتحديد  
وليس بخير منها .

وتقول انه ليس باستداعة الإنسان ان يشعر بالراحة الحقيقية  
الا انون أرضه او بالألمانية السيفة الا اذا تنفس " نواياها "  
( أرض ألمانيا فوق الجميع ، يملح النشيد الولدي الألماني  
المشهور " مصر فوق الجميع " ، حزب مصر الفتاة (١)  
" تشكل الدعوة الصهيونية خروجا صريحا عن الديسمن  
اليهودي . ( تماما كما تشكل الدعوة القومية العربية خروجا عن  
الاسلام في نادر الاخوان المسلمين ) ... لذلك نجد ان رجال  
الدين اليهودي المتصهين عارضوا الدعوة الصهيونية وخاصة نسي

(١) المصدر السابق ص ١٠٠ - ١٠١

(٢) المصدر السابق ص ١٢٦



## البداية (١)

" لابد من وثقة قصيرة لمناتشة الحكم العام الذي يالته  
أسعد رزوق على الحركة الصهيونية في مالح كتابه " اسرائيل الكبرى"  
حيث يقول : ولا غرو فالصهيونية من أبرز الحركات النكوصية  
في تاريخ العالم الحديث ومنذ السقد الاخير للترن التاسع عشر  
اذ ينكشف مضمونها الاخير عن تصميم دقيق على دفع عملية  
التاريخ مئات السنين وعشرات الترون الى الوراء . حتى لتأنها  
تريد للتاريخ ان يعود القهقري الى أزمنة وأماكن قديمة وتدخلنا  
في رحلته الدويلسة ، بدلا من التصالح مع التاريخ على صعيد  
التالح نحو المستقبل والانتاح على مبالاة الرغبة والزاهرة  
بكل جديد " ( اسرائيل الكبرى - ص ١٧ ) " .

" يمكن الخطأ الاساسي في هذا الحكم في عدم التمييز  
بدقة بين المضمون التاريخي الواقعي للحركة الصهيونية  
ومشاريعها وبين بعض مظاهرها الفوقية والشاربية والشكلية  
هناك اثر من مظهر يجعلنا ندان ان الصهيونية حركة  
نكوصية بالمعنى المتصود اعلاه ، استعادة ارض الابداد ،  
المودة الى التراث والقيم الروحية اليهودية ، اعادة  
بناء الهيكل ، الى آخر ذلك مما هو مسروف ... أي لم تكن  
الصهيونية تبني اقامة المجتمع اليهودي والدولة اليهودية  
على اساس المودة الى نظام الملك سليمان السياسي ، او الارتداد  
الى قديم الوصايا العشر أو العمل بالشرع الموسوي مثلا ،  
بل كانت تريد دوما اقامة دولة مرتبة بالقوى الاستعمارية

السائدة وذات محتوى بورجوازي رأسمالي عسري جدا وقائم على آخر  
منجزات الحضارة الأوروبية الحديثة في كافة الميادين (١)

• ولو كانت الصهيونية حقاً حركة نكوصية • تريد للتاريخ  
ان يعود القهقري • لفشلت منذ البداية لان قوى التاريخ  
الحية لاتعود القهقري (٢) •

• انه مع صعود الرأسمالية المستمر واشتداد التنافس  
الاقتصادي في ظلها ظهرت بوادر السداء للسامية التي تحولت  
فيما بعد الى حركة سياسية شاملة ذات ايدولوجية عرقية شبه  
متكاملة واحزاب سياسية تدبر بها • وانتشرت انكار وممارسات  
الحدا • للسامية في بقعة النبلاء السائسة في طريق  
الانحلال والافتقار ، وفي بقعة البورجوازية الصغيرة التي  
كانت اكثر الدبقات الاجتماعية تأخرًا وانفصالًا ، بالنسبة  
لمعالجها ، من جراء التنافس الاقتصادي الشاري مع البورجوازية  
اليهودية الصغيرة والوسلسي ، أما موضوع المنافسة ضد  
كان بكل بساطة لقمة الميش •

• لقد قال انجلز بان ابدال حركة السداء للسامية  
في عصره هم النبلاء • وكورسم هو نجاح رعا البورجوازية  
الصغيرة • • وكما ذكرت سابقا ادى هذا الوضع بالبورجوازية  
اليهودية الصغيرة الى البحث - تحت قيادة البورجوازية  
المتوسلسة وبتحالف مع الرأسمالية الكبيرة - عن سوتها  
المستقلة لتحرر نفسها من الحصار الاقتصادي المفروض عليها  
من قبل البورجوازيات المحلية ودولها لتكسر الميزة التي

(١) المصدر السابق - ص - ١٢٦ - ١٢٧

(٢) المصدر نفسه - ص - ١٢٨

انتهت اليها ( مقاومة لكل ما هو يهودي ، تمييز ضدهم نسبي  
كانه أوجه نشاط المجتمع من الوظائف الحكومية والاحتلات  
الاجتماعية ) .

" وكان لانتشار فكرة المداة للسامية وما تمليه من مواقف  
أثرا كبيرا في تحريك البورجوازية اليهودية الكبيرة للمدافع  
على الحركة الصهيونية ، وفي دفع البورجوازية اليهودية الواسلة  
لقيادتها . لم تكن البورجوازية اليهودية الكبيرة لتتهم  
كثيرا بجهالة اليهود الفقيرة وكفاحها اليومي من أجل لمة  
العيش لولا التأثيرات السلبية التي بدأت تفس الاثرياء اليهود  
مباشرة وتزعجهم بسبب انتشار المداة للسامية عامة (١) .

" من الموء كد ان السلام اليهودي العربي ، واستثناف  
السلاطات التجارية ، يمكنهما أن يلبسا دورا حيويا في  
صادرات اسرائيل في المستقبل (٢) .

" ان من شأن السلام اليهودي العربي ومشاركة اسرائيل  
في التطور الاقليمي أن يعدلا الوضع بفضل ايجاد ظروف أنزل  
لتطور الصناعة ومختلف فروع الاقتصاد ( في اسرائيل )  
ان مشاركة كهذه من شأنها أن تفتح سوقا واسعة لاسرائيل  
سوق عشرات الملايين من سكان الشرق الاوسط " .

هذا تعبير صريح وواضح عن المضمون الواقعي والسلمي  
لمعنى السلام العربي - الاسرائيلي . أي أن تكون السلاطة  
بين العرب المتخلفين وبين اسرائيل المتقدمة شبيهة شبا تاما

(١) المصدر السابق - ص - ١٤٣ - ١٤٤

(٢) المصدر السابق - ص - ١٠٨

التي كانت القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية وشوب أمريكا  
التي تميزت بدولها المتخلفة (١) .

تتبع التسوية السلمية بالنسبة لإسرائيل سقوط كاثانة  
الحواجز والحدودان بينهما وبين الدول العربية بحيث لا يعود هناك  
شيء اسمه قديمة بين الدافعيين وتحل محل العلاقات الطائفية  
الماضية صلات وثيقة من التعاون بدون وسلاء دوليين . . . . . لأن  
لدى إسرائيل مشاريعها الخاصة للحماية على منطقة الشرق  
الأوسط، والاعتراف عليها لصالحها " . " وقد عبرت غولدا مائير نفسها  
عن كل ذلك بقولها في إحدى المقابلات الصحفية أن السلام بالنسبة  
لها يعني أن تتمكن من الذهاب في أي وقت إلى أسواق القاهرة  
لتشتري حاجياتها إن هي شاءت ذلك " . " إن تنازلي الشخصية  
في أنه إذا تمكنت إسرائيل بواسطة تعليمها ومراوغتها وتهديداتها  
على طريقة " المفاوضات والحرب " ، من أن تحصل على سرائرة عربية  
مبدئية بالنسبة للمفاوضات والنسبة لسقوط الحواجز والحدودان  
بين الدافعيين ، فإن إسرائيل سوف تكون مستعدة للتنازل عن  
الشروط القصوى القاسية والتعجيزية التي ترفضها الآن فهي  
وجه تحقيق التسوية السلمية . " وأنها ستراجع إلى حدود الموقف  
الأمريكي كما جاء في مجلة روجرز المشهورة (٢) " .

---

(١) المصدر السابق - ص - ١٠٩ - ١١٠

(٢) شرف - عدد ٤ - سبتمبر ( أيلول ) ١٩٧١ - ص ٧٨ - ٧٩

## المصادر والمراجع

### أولا - المصادر:

- (١) = انعام (صادق جلال) ، دراسات يسارية ، دار القنينة الفلسطينية ، دار الدالينة ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- (٢) = المنعم (صادق جلال) ، الفكر السياسي المعاصر - سلسلة خالد بن الوليد دمشق ، ١٩٨١ - ١٩٨٢ .

- (٣) = مجلة شؤون فلسطينية ، عدد (٤) ، أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ .

### ثانيا - المراجع:

#### أ- المراجع العربية:

- (١) = الهندي (هاني) ، شؤون الصهيونية واسرائيل ، دار الدالينة بيروت (١٩٧١)
- (٢) = شؤون فلسطينية ، عدد ٣١ ، آب ١٩٧٤ .
- (٣) = محمود (أمين عبدالله) ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، المجلس الوطني للثقافة والآداب - الكويت ١٩٨٤ .
- (٤) = ليون (ابراهيم) ، المشهور المادي للمسألة اليهودية ، ترجمة عماد نويهض ، طبعة أولى ، دار الدالينة ، بيروت ١٩٦٩ .
- (٥) = ماركس ونقد السياسة ، ترجمة جوزيف عبدالله ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١
- (٦) = باور ، ماركس ، حول المسألة اليهودية ، ترجمة الياس مرقس ، دار الحقيقة ، بيروت ، بدون تاريخ .
- (٧) = دويتشر (اسحق) ، دراسات في المسألة اليهودية ، ترجمة مصطفى الحسيني ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧١ .
- (٨) = ايفانوف (يوري) ، احذروا الصهيونية ، منشورات نوفستي ١٩٦٦ .
- (٩) = دراسات عربية ، ١٠ آب (أغسطس) ١٩٨٣ .
- (١٠) = السروي (عبدالله) ، الايديولوجيا السرية المعاصرة ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٠ .
- (١١) = مرقس (الياس) ، الماركسية والمسألة القومية ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٠ .

- ٥٢ = الطبقات والصراع الطبقي ، ترجمة فؤاد المرعي ، منشورات دار الفجر ، بدون تاريخ ؟
- (١٣) = مرقص ( الياس ) ، الماركسية والشرق ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٨ .
- (١٤) = شوون فلسطينية ، عدد (٩) ، مايو ( أيار ) ١٩٧٢ .
- (١٥) = حمدان ( جمال ) ، اليهود انتروبولوجيا ، دار الكاتب العربي ١٩٦٧ .
- (١٦) = أمين ( بديعه ) ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٤
- (١٧) = السيري ( عبد الوهاب ) ، الايديولوجيا الصهيونية ، ج ٢ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ١٩٨٣ .
- (١٨) = رزوق ( اسعد ) ، الصهيونية وحقوق الانسان العربي ، ج ١ ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٨ .
- (١٩) = رزوق ( أسعد ) ، الدولة والدين في اسرائيل ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٨ .
- (٢٠) = لينين ، المختارات ، ج ٢ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٦٦ .
- (٢١) = لينين ، نصوص حول المسألة اليهودية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٢ .
- (٢٢) = علوش ( ناجي ) ، الماركسية والمسألة اليهودية ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٩ .
- (٢٣) = منصور ( كميل ) ، الصهيونية المستجدثة ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧١ .
- (٢٤) = رودتسون ( مكسيم ) ، اسرائيل ، واقع استعمار ؟ ترجمة احسان الحصني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٦٧ .
- (٢٥) = الفكرة الصهيونية ، النصوص الاساسية ، ترجمة لطفي الداهد وموسى عنز ، تسييف ، أسعد رزق ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٠ .
- (٢٦) = مجلة شوون عربية ، عدد ٢٦ ، نيسان ١٩٨٣ .
- (٢٧) = هوركهايمر ( ماركس ) ، بداية فلسفة التاريخ البورجوازي ، ترجمة محمد علي اليوسفي ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ .
- (٢٨) = الثوسير ( لويس ) ، دراسات لا أنسانية ، ترجمة سهيل القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨١ .

(٢٦) = صايغ ( يوسف عبدالله ) ، الاقتصاد الاسرائيلي ، طبعة ثانية ، مركز الابحاث  
بيروت ١٩٦٦ .

(٢٧) = هيلل ( مارك ) ، اسرائيل في خطر من السلام ، ترجمة ادارة التوجيه المنون  
دمشق ١٩٧٥ .

(٢٨) = المؤتمر الصهيوني السابع والمثرون ، ج ٢ ١٩٦٨ ، مركز الدراسات الفلسطينية  
والصهيونية بالاهرام ، القاهرة ١٩٧١ .

(٢٩) = انجلز ( فريدريك ) ، لود فيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية  
دار التقدم ، موسكو ١٩١٧ .

(٣٠) = بن بورات وأورى دان ، الميراج تواجه الميخ ، ترجمة ادارة التوجيه المنون  
دمشق ١٩٦٨ .

(٣١) = باريون ( باكوب ) ، ماهي الايديولوجيا ؟ ، تسريب أسد رزوق ، الدار العلمية  
بيروت ١٩٧١ .

(٣٢) = لوفيفر ( هنرى ) ، ماركس وعلم الاجتماع ، ترجمة بدر الدين قاسم الرغاسي  
منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧١ .

(٣٣) = شوون فلسطينية ، عدد ١٥ ، تشرين ثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٢ .

(٣٤) = شوون فلسطينية ، عدد ١٠ ، حزيران ( يونيو ) ١٩٧٢ .

(٣٥) = شوون فلسطينية ، عدد ١٣ ، أيلول ( سبتمبر ) ١٩٧٢ .

(٣٦) = مجلة الطلبة المصرية ، عدد ١٢ ، تشرين أول ( ديسمبر ) ١٩٧١ .

(٣٧) = الاهرام ( ١٩٦٩/٣/١ ) .

(٣٨) = الاهرام ( ١٩٦٩/٤/٢٣ ) .

(٣٩) = صايغ ( هيلدا شعبان ) ، التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل مركز الابحاث  
بيروت ١٩٧١ .

(٤٠) = مجلة الارض ، العدد الاول ( ١٩٨٣/٩/٢١ ) .

(٤١) = السياسة الدولية ، عدد ( ٣٣ ) ، تموز ( يوليو ) ١٩٧٣ .

(٤٢) = مجلة الارض ، عدد ٨ ( ١٩٨٠/١/٧ ) .

(٤٣) = مجلة الارض ، عدد ٩ ( ١٩٨٣/١١/٧ ) .

( ٤٧ )  
٤٧ = دراسات عربية ، عدد ٩ ، تموز ( يوليو ) ١٩٨٠ .

٤٨ = دراسات عربية ، عدد ٨ ، حزيران ( يونيو ) ١٩٨٠ .

٤٩ = مجلة الارض ، عدد ٥ ( ١١/٢١/١٩٨٣ ) .

٥٠ = مجلة الارض ، عدد ٦ ( ١٢/٢/١٩٨٣ ) .

٥١ = صحيفة القبس ( ١٩٨٣/٢/١٩ ) .

٥٢ = موروا ( أندريه ) ، سيرة دزرائيلي ، ترجمة متري نعمان ، المنشورات العربية ،

بدون تاريخ .

٥٣ = اسرائيل خنجر أمريكا ، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية ، دمشق ١٩٧٩ .

٥٤ = رزوني ( أسد ) ، التلمود والصهيونية ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٢ .

٥٥ = شوون فلسطينية ، عدد ٩ ، أيار ( مايو ) ١٩٧٢ .

٥٦ = الصهيونية والعنصرية بين الفكر والممارسة ، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية ،

دمشق ١٩٨٠ .

٥٧ = شوون فلسطينية ، عدد ١٥ ، تشرين ثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٢ .

٥٨ = شوون فلسطينية ، عدد ٢ ، أيار ( مايو ) ١٩٧١ .

٥٩ = كنفاني ( غسان ) ، في الادب الصهيوني ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٧ .

٦٠ = الراعي ( هاني ) ، الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية ، مركز الابحاث ،

بيروت ١٩٧٤ .

٦١ = هلسه ( تهاني ) ، دافيد بن غوريون ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٨٠ .

٦٢ = شوون فلسطينية ، عدد ٢٩ ، كانون الثاني ( يناير ) ١٩٧٤ .

٦٣ = ليون ( ابراهيم ) ، المفهوم المادي للمسألة اليهودية ، ترجمة عماد نويهض ،

طبعة ثانية ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٣ .

٦٤ = سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة حسن حنفي ، الهيئة العامة

المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١ .

٦٥ = طرابيشي ( جورج ) ، الماركسية والايدولوجيا ، دار الطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧١ .



- (٦٦) = ماركس (كارل) ، رأس المال ، نقد الاقتصاد السياسي ، ترجمة انطون بجمبي ، منشورات وزارة الثقافة ، الكتاب الاول ، ج ١ ط ٢ ، دمشق ١٩٧١ .
- (٦٧) = الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون ، تقديم وترجمة محمد خليفة التونسي ، المكتب السري ، بيروت - بدون تاريخ .
- (٦٨) = ماركس ، انجلز ، الايديولوجيا الالمانية ، ترجمة فؤاد أيوب ، دار دمشق - بدون تاريخ .
- (٦٩) = الاهرام ( ١٣ / ٤ / ١٩٧٠ ) .
- (٧٠) = الاهرام ( ٢ / ٥ / ١٩٧٠ ) .
- (٧١) = الهدى - عدد ٤٩ ( ٧ / ٨ / ١٩٨٤ )
- ب - المراجع الاجنبية :  
=====
- (١) = فادية ( ميشيل ) ، الايديولوجيا ، المنشورات الجامعية في فرنسا ١٩٧٣ .
- (٢) = أفنيري ( اوري ) ، اسرائيل بدون صهيونية ، منشورات دوسوى ١٩٦٩ .
- (٣) = بليانف ( يوري ) ، اليوم السابع كالיום الاول ، دار النشر العسكرية ، موسكو ١٩٧٩ ( مسودة غير منشورة ) .